الفرج بعد الشدة

القاضي التنوخي ج ٢

---

[١٩٧]

الفرج بعد الشدة للقاضى أبي على المحسن بن أبى القاسم التنوخى (٣٢٧ - ٣٨٤) الاصل مأخوذ عن نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية الجزء الثاني منشورات الرضى - قم دار الطباعة المحمدية بالقاهرة

---

[١٩٩]

بسم الله الرحمن الرحيم الباب السابع (من استنقذ من كرب وضيق خناق * بإحدى حالتى عمدا أو اتفاق) قال أبو على: حدثنا على ابن الحسين المعروف بالاصفهاني إملاء من حفظه، قال: حدثنى أبو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني الكاتب، قال: كان محمد بن زيد العلوى الداعي بطبرستان إذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التى قبلها ففرق في قبائل قريش قسطا على دعوتهم، وفى الانصار، وفى الفقهاء، وأهل القرآن، وسائر طبقات الناس حتى يفرغ جميع ما بقى. فجلس في سنة من السنين ففرق المال كما كان يفعل، فلما فرغ من بنى هاشم دعى بسائر عبد بنى عبد مناف فقام رجل. فقال له من أي عبد مناف أنت ؟ قال: من بنى أمية. قال: من أيهم أنت ؟ فسكت: فقال: لعلك من ولد معاوية ؟ قال: نعم، قال فمن أي ولده ؟ فأمسك. قال: لعلك من ولد يزيد ؟ قال: نعم. قال بئس الاختيار اخترت لنفسك في قصدك بلدا ولايته إلى أبى طالب، وعندك ثارهم في سيدهم وإخوتهم وبنى عمه، وقد كانت لك مدوحة عندهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك، فإن كنت جئت على جهل بهذا فما يكون بعد جهلك شئ، وإن كنت جئت متمريا فقد خاطرت بنفسك قال: فنظر إليه العلويون نظرا شديدا. فصاح بهم محمد وقال: كفوا كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثارا بالحسين بن على رضى الله عنهما، أو بأحد من أقاربه، وأى جرم لهذا ؟ ! إن الله تعالى قد حرم أن تطالب نفس بغير ما كسبت، والله لا تعرض له أحد إلا أفديته منه واسمعوا حديثا أحدثكم به يكون قدوة لكم فيما تستأنفون * حدثنى أبى، عن أبيه رضوان الله عليهما قال: حج المنصور فعرض جوهر فاخر كان لهشام بن عبد الملك فقال: هذا

---

[٢٠٠]

بعينه قد بلغني خبره أن عند ابنه محمد وما بقى منهم أحد غيره، ثم قال للربيع: إذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فأغلق الابواب كلها، ووكل بها ثقاتك من الشيعة، وافتح للناس بابا واحدا وقف عليه فلا يخرج أحد إلا من عرفته. فلما كان من الغد فعل الربيع ما أمره وتبين محمد بن هشام القصة فعلم أنه هو المطلوب، وأنه مأخوذا، فأقبل عليه محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فرآه متحيرا وهو لا يعرفه. فقال يا هذا: أراك متحيرا فمن أنت ولك أمان الله وأنت في ذمتي حتى أخلصك ؟ قال: أنا محمد بن هشام بن عبد الملك. فمن أنت ؟ قال أنا محمد بن زيد بن على بن الحسين. قال: فعند الله

أحتسب دمى إذن. قال لا بأس عليك، فإنك لست قاتل زيد، ولا في قتلك إدراك ثار. وأنا الآن بخلاصك أولى منى بتسليمك وتعذرني في مكروه أتناولك، أو قبيح أخاطبك به يكون فيه خلاصك. قال: أنت وذاك. قال فطرح رداه على رأسه ووجهه ولببه به وأقبل يجره، فلما وقع عين الربيع عليه لطمه لطمات، وجاء به إلى الربيع وقال يا أبا الفضل: إن هذا الخبيث جمال من الكوفة أكراني جماله ذاهبا وراجعا، ثم هرب منى واكرى بعض القواد الخرسانية ولى عليه بذلك بينة. قال فضم إليه حرسيين وقال لهما امضيا معه فمضيا معه فلما بعدا عن المسجد قال له تؤدى إلى حقى ؟ قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال انصرفا فانصرفا وأطلقه فقبل محمد بن هشام يده وقال: بأبى أنت وأمى الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم أخرج جوهرا له قدر فدفعه إليه وقال: تشرفني بقبول هذا. فقال يا ابن عم: إنا أهل بيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركت لك أعظم من هذا، تركت لك دم زيد بن على فانصرف راشدا، ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل، فانه مجد في طلبك فمضى وتوارى. قال: ثم أمر محمد بن زيد الداعي بطبرستان للاموي بمثل ما أمر به لسائر بنى عبد مناف وضم إليه جماعة من مواليه وأمرهم أن يخرجوه إلى الرى ويأتوه بكتاب بسلامته. فقام الاموى ومضى ومعه القوم حتى وصل إلى مأمنه. قال أبو مسلم الاصبهاني: وكان أبو مسلم محمد بن بحر

وزيد بن محمد بن زيد الداعي بطبرستان وخبرني أن هذا الخبر سمعه وشاهده من لفظ الداعي. وحدثني أبو الفرج المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه وأنا أسمع قال: قرأت في بعض الاخبار للاوائل أن الاسكندر لما انتهى إلى بلد الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره، فقال له: رسول ملك الصين يستأذن عليك. فقال ائذن له فأدخله فوقف بين يدى الاسكندر وسلم وقال: إن رأى الملك أن يستخلينى فأمر الاسكندر من بحضرته أن ينصرفوا فانصرفوا وبقى خاصته. فقال: إن الذى جئت له لا يمكن أن يسمعه غيرك. فقال: فقال فتشوه ففتش فلم يوجد معه سلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مسلولا وقال له: قف بمكانك وقل ما شئت. واخرج كل من كان عنده فقال الرسول: أنا ملك الصين لا رسوله وجئت أسألك عما تريده، فان كان مما يمكن عمله ولو على أصعب الوجوه عملته وأغنيتك عن الحرب، فقال: له الاسكندر وما أمنك منى ؟ قال علمي بأنك رجل عاقل وليست بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل، وأنك تعلم انك إن قتلتنى لم يكن ذلك سببا بأن يسلم اليك أهل الصين ملكهم، ولا يمنعهم قتلى من أن ينصبوا لانفسهم ملكا غيرى وتنسب إلى غير الجميل وضد الحزم، فأطرق الاسكندر متفكرا وعلم أنه رجل عاقل. فقال: الذى أريده منك ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلا، ونصف ارتفاعها في كل سنة. قال هل غير ذلك ؟ قال: لا. قال قد أجبتك. قال فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال: أكون قتيلا محاربا. قال: فان قنعت منك بارتفاع سنتين. فكيف يكون حالك ؟ قال: يكون أصلح مما كانت وأفسح في المدة. قال فإن قنعت منك بارتفاع سنة واحدة ؟ قال: ذلك يكون مضرا بى ومذهبا لجميع لذاتي، قال: فان قنعت منك بارتفاع الثلث كيف يكون حالك ؟ قال يكون الثلث موفرا والباقى لجيشي ولاسباب الملك. قال فقد اقتصرت منك على ذلك. فشكره وانصرف فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الارض وأحاط بجيش الاسكندر حتى

خاف الهلاك، وتواثبت أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل. فقال له الاسكندر: غدرت ؟ قال: لا. قال فما هذا الجيش ؟ قال أردت أن أعلمك أنى لم أطعك من قلة، ولا ضعف، ولا عجز، وأنت ترى هذا الجيش. وما غاب عنك أكثر ولكني رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت أن من حارب العالم الاكبر. غلب، فأردت طاعته بطاعتك، والتذلل له بالتذلل لك. فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه شئ. فانى لم أجد بينى وبينك من يستحق بالتفضيل والوصف بالعقل غيرك، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا راحل عنك، قال ملك الصين. أما إذا فعلت ذلك فلست تخسر، فلما انصرف الاسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بأضعاف ما كان، فرده عليه الاسكندر. قال: أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى فيما أجازه لى قال: حدثنى الحسين بن يحيى، قال كان لاسحاق الموصلي غلام يقال له فتح يستقى الماء لاهل داره على بغلين له دائما فقال إسحاق: قلت يوما له: أي شئ خبرك يا فتح ؟ قال: خبرى أنه ليس في هذا الدار أشقى منك ومنى. أنت تطعم أهل الدار الخبز، وأنا أسقيهم الماء. قال: فاستظرفت قوله وضحكت منه وقلت له فأى شئ تحب ؟ قال: تعتقني وتهب لى البغلين لاستقي عليهما لنفسي ففعلت * وأخبرني أبو الفرج الاصبهاني، قال: أخبرني جرمى بن أبى العلا، قال: حدثنى الزبير بن بكار عبد الاعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحمى، قال: حملت دينا وأنا بعسكر المهدى فركب المهدى يوما بين أبى عبيدالله، وبين عمر ابن بريغ وأنا وراءه في موكبه على برذون قطوف فقال المهدى ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال أبو عبيد الله: قول امرئ القيس: وما ذرفت عيناك إلا لتضر بى * بسهميك في أعشار قلب مقتل فقال هذا أعرابي قح. فقال عمر بن بزيغ: قول كثير عزة يا أمير المؤمنين. قال ما هو ؟ قال:

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل ليلى بكل سبيلى فقال له: ما هذا بشئ. وما له يرى أن ينسى ذكرها حتى تمثل له. فقلت أنا عندي حاجتك يا أمير المؤمنين. فقال. الحق بى. فقلت: ليس بى لحاق لان ليس ذلك في دابتي. فقال: احملوه على دابة. قلت: هذا أول الفتح. فحملت على دابة فلحقته قال ما عندك قلت قول الاخوص: إذا قلت أنى مشتف بلقائها * فحم التلاقي بيننا زادني سقم فقال: أحسنت حاجتك ؟ قلت: على دين. قال: اقضوا دينه فقضوا دينى. قال وذكر محمد بن عبدوس في " كتاب الوزراء ": حدث أحمد بن محمد ابن زياد قال الديان بن الصلت: كنت في خدمة الفضل بن سهل على ما كنت عليه من ثقته بى واستنابته، فدعاني في وقت من الاوقات إلى أن يضم إلى أربعة آلاف من الجند والساكرية ويقودنى عليهم ويجرينى مجرى قواده فامتنعت عليه من ذلك وأعلمته أنى لا أقوم بذلك ولا أصلح له ولا أمن أن أتقلد له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالى عنده ومنزلتي لديه. فأنكر ذلك على أشد الانكار وعاودني فيه مرارا فلم أجبه إليه. فلما رأى إقامتى على الامتناع جفاني وأعرض عنى، وامتدت الآيام على هذا السبيل حتى أدى بى ذلك إلى الاختلال الشديد، الذى أضرني فدخل على غلامي يوما فأخبرني أنه لا نفقة عنده، ولا مقدرة له في احتيالها لامتناع التجار من اعطائه لتأخر مالهم عنهم، ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا فأومأت إلى عمامة كانت عندي فأمرته ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج إليه فباعها بثمانية عشر درهما وورد على في هذا اليوم كتاب وكيلى على أهلى بمدينة السلام يعلمنى ضيق الامر فيما يحتاج إليه من إقامته للعيال وأنه التمس من التجار ألفى درهم فلم يجيبوا إليها فعظم على ما ورد من ذلك وضاقت بى المذاهب فيه. فبينما أنا قاعد عشية يومى ذلك إذ أتانى رسول الفضل يأمرنى بحضور الدار والمقام

فيها إلى وقت خروجه من عند المأمون فحضرتها بعد صلاة العتمة، وأقمت إلى

أن خرج الفضل في وقت السحر فلقيته وبين يديه خرائط محمولة فقال لى: صليت صلاة الليل ؟ فقلت: نعم. فقال: لكنى ما صليت فكن هنا حتى أصلى. فصلى ثم انفتل من صلاته فدعاني وقال: أتدرى ما هذه الخرائط ؟ قلت: لا. قال: هذه ثمان وستون خريطة وردت فقرأتها وأجبت عنها جميعها بخطى. فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق. ثم قال لى باديا: إن أبا محمد الحسن بن سهل قد دفع إلى واسط ورأى أمير المؤمنين أن يمده بدينار بن عبد الله، ونعيم بن حازم في عشرة آلاف رجل. وأن تقلد الانفاق على عسكريهما وأن يجرى لك في كل شهر عشرة آلاف درهم ولكاتبك ثلاثة آلاف درهم ولقراطيسك ألف درهم وأن يوظف لك على كل عسكر عشرة أحمال تحملك أو خمسمائة درهم عوضا عنها، ثم أمد في ذلك الوقت أن يحمل لى أرزاق ثلاثة أشهر. فما صليت صلاة الصبح حتى حمل لى اثنان وأربعون ألف درهم. وأخذ في جهاز العسكرين قال: وبعث إلى الفضل بن سهل بفرس من دوابه، وأمرني أن أبعث إلى نعيم بن حازم، وأظهر أنه خصه به، وأنه من خيله الذى يركبها. فوجهت به إلى نعيم بن حازم وأظهر السرور والابتهاج بذلك، والتعظيم له فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم، وبعث إلى بخمسين ألف درهم فكتبت بذلك إلى الفضل. فوقع على رقعتي اردد على نعيم ما أمر لك به ووهبه لغلامك واقبض لنفسك عوضا منه مائة وعشرون ألف درهم. ثم أمر بعد أيام لدينار بسبعمائة ألف درهم صلة ومعونة ولنعيم بخمسمائة ألف درهم فبعثت بها اليهما فبعث إلى كل واحد منهما بخمسين ألف درهم. فكتبت إلى الفضل رقعة أخبره فيها بما فعلاه فوقع على ظهرها اقبل من دينار ما بعث به، واردد إلى النعيم ما بعث به. واقبض لنفسك عوضا عن ذلك مائة ألف درهم. قال: ونقلنا عن مرو فلما صرنا في الطريق ورد على كتاب الفضل يأمرنى فيه: أن أحمل إلى دينار ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وإلى نعيم ألف ألف درهم فبعث إلى دينار ألف درهم وخمسين ألف درهم وبعث إلى نعيم مائة ألف درهم فقبلت من دينار ما بعث به إلى، ورددت على نعيم حسب ما كان حد لى في رقعته الاولى والثانية،

ولم أكتب بالخبر في ذلك إلى الفضل لئلا يتوهم بذلك استدعاء العوض. فكتب بذلك صاحب سركان علينا فوقع على ظهر كتابه قد علمت أنك إنما أمسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونعيم لئلا يتوهم عليك الاستدعاء للصلاة، وقد رأيت أن تقبض لنفسك عوضا من ذلك مائتي ألف درهم. قال الريان: فلم تمض سبعة وعشرون يوما حتى حصلت عندي سبعمائة ألف درهم. وذكر محمد بن عبدوس في كتابه عن جبريل بن بختشيوع الطبيب في خبر طويل أنه سمع المأمون يقول: كان لى في خراسان يوما عجيبا وأولانى الله فيه بإحسانه الجميل، وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب على بن عيسى بن ما كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة على وقع في نفوس عسكري جميعا ان طاهر ذاهب، ولحق أصحابي إضاقة شديدة وظهرت فيهم خلة، ونفذ ما كان معى ولم يبق منه قليل ولا كثير وأفضيت إلى حال كان أصلح ما فيها الهرب، فلم أدر إلى أين أهرب ولا كيف أجد، فبقيت حائرا متفكرا وأنا والله كذلك نازلا في دار أبوابها حديد، ولى متشرفات أجلس فيها إذا شئت، وعدة غلماني ستة عشر غلاما لا أملك غيرهم إذا بالقواد والجيش جميعا قد

شغبوا على، وطلبوا أرزاقهم وولغوا جميعا يشتمون وتكلموا بكل قبيح، وكان الفضل بن سهل بين يدى فأمر بإغلاق الابواب وقال لى: قم فاصعد إلى المجلس الذى يتشرف فيه إشفاقا على من دخولهم، وسرعة أخذهم إياي وتعليلا لى بالصعود. فقلت له: ويحك ما يغنى الصعود والقوم يدخلون الساعة ليأخذوني. فلئن أكون بموضعي أصلح. فقال: اصعد فو الله ما تنزل إلا خليفة، فجعلت اهزء به وأعجب منه وأحسب أنه ما قال إلا ليستجسنى وأردت الهرب من أبواب الدار، فلم يكن إلى ذلك سبيل لاحاطة القوم بالدار والابواب. كلها. فألح على إلى أن صعدت وأنا وجل فجلست في المشرفات، وأنا أرى العسكر فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتمهم وضجيجهم، ونادوني بالوعيد والشتم فأغلظت على الفضل بن سهل وقلت له:

إنك أنت جاهل، وقد غررتني فلم تدعني أعمل برأيى وليس العجب إلا ممن قبل منك، وهو في هذا يحلف أنى لا أنزل إلا خليفة وغيظي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حمقه ومواصلته الايمان مما يشاهده من الحال، وكان ما أقاسيه منه أشد مما أقاسيه من الجند، ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه وأدنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب، وثلموا فيه جزاء فذهبت نفسي جزعا، وعلمت بأنى بين أن أحترق وبين أن يصلوا إلى فيقتلوني فهممت بأن ألقى نفسي إليهم، وقدرت أنهم إذا رأوني استحيوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدى ورجلي ويناشدني أن لا أفعل، وحلف أنى لا أنزل إلا خليفة وفى يده الاصطرلاب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت، فلما علا الامر واستحكم اليأس قال لى يا سيدى: والله أتاك الفرج أرى شيئا في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا فازددت من قوله غيظا، وأمرت غلماني بتأمل الصحراء فلم يروا شيئا. وجد القوم في الهدم والحريق، حتى هممت لما دخلنى أن أرمى الفضل إليهم فقال الغلمان يا سيدى إنا نرى شيئا في الصحراء قد أقبل يلوح فنظرت فإذا شيخ وجعل يزيد تبيابا إلى أن تبينوا رجلا على بغل يلوح ثم قرب من العسكر، فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فإذا هو يقول البشرى، هذا رأس على بن عيسى معى في المخلاة، فلما رأوا ذلك أمسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لى، والسرور بالظفر والفتح فقال لى الفضل يا سيدى: ائذن لى في ادخال بعضهم. فأذنت فشرط عليهم أن لا يدخل إلا من يريد. فأجابوا إلى ذلك وسمى قوما من القواد يعدهم واحدا واحدا ففعلوا ذلك واطفأ الله عزوجل تلك الثائرة ووهب لى السلامة وقلدنى الخلافة وظفرت من أموال على بن عيسى وما في عسكره بما أصلحنا به جنودنا * وذكر أيضا في " كتابه " قال: حدثنا محمد بن مخلد، عن أبيه مخلد بن أزدى المدايني الكاتب قال: كان مخلد يلقب لبد لطول عمره فحدثني أن المأمون لما قدم العراق خطر له أن يقلد الاعمال إلى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعماله، وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت أحوال أكثرهم فخرج يوما بعض مشائخ الشيعة، وكان مغفلا فتأمل مخلدا فلم ير أسن منه فجلس إليه

فقال له: إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أتخير ناحية من نواحى الخراج صالحة المرفق ليوقع بتقليدي إياها فاختر لى ناحية من نواحى الخراج فقال: لا أعرف لك عملا أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش. فقال له أكتبه لى فكتبه له فعرض الشيعي الرقعة على لمأمون وسأله تقليده العمل. فقال له: من كتب هذه الرقعة ؟

فقال شيخ من الكتاب يحضر الدار في كل يوم. فقال هلمه فلما حضر قال له ما هذا يا جاهل ؟ تفرغت لاصحابي. فقال: يا أمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في أيديهم من الخزائن والاموال، وأما شروط الخراج وحكمه، وما يجب تعجيل استخراجه، وما يجب تأخيره، وما يجب اطلاقه وما يجب منعه، وما يجب انفاقه، وما يجب احتباسه، فلا يعرفونه وتقليدهم إياه يعود بذهاب الارتفاع فإن كنت يا أمير المؤمنين لا تثق بنا فمر إلى أن يضم إلى كل رجل منهم رجل منا فيكون الشيعي يحفظ المال ونحن نجمعه. فاستصاب المأمون كلامه وأمر بتقليد عمال السواد، وكتابه وأن يضم إلى كل واحد منهم رجلا من الشيعة وضم مخلد إلى ذلك الشيخ فقلده ناحية جليلة. ووجدت في كتاب أبى الفرج الحنطى المخزومى الكاتب أن محمد بن عبد الحميد الحسمى قال: حججت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وأنا في بعض المنازل راجعا إذ غشيتنا فقراء المدينة يستميجون، فوقفت على جارية تتصدق بوجه كأنه القمر حين استدار، ولون الشمس حين أنار، فرددت طرفي عنها واستعذت بالله من الفتنة بها، فلم تزل بين رجال الحاج وتعود إلى رحلى حتى وقفت فقلت لها: أما تستحين أن تبدين مثل هذا الوجه في مثل هذا الوقت والموضع بحضرة الخلائق فلطمت وجهها وقالت: لم أبده حتى نقضت حيلتى * أبديته وهو الاعز الاكرم ويعز ذاك على إلا أنه * دهر يجور كما تراه ويظلم قد صنته وحجبته حتى إذا * لم يبق لى طمع ومات الهيثم

أبرزته من حجبه مقهورة * والله بشهد لى بذاك ويعلم كشف الزمان قناعة في بلدة * قل الصديق بها وعز الدرهم أصبحت في أرض الحجاز غريبا * وأبو ربيعة أسرتي ومحكم قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها وأدبها وشعرها فبررتها وكتبت الابيات منها وقلت لها ما اسمك ؟ قالت: المهنأة بنت الهيثم الشيباني. وكان أبى جار النبي صلى الله عليه وسلم فزاره واعتل ونفد ماله وتوفى وتركني فقيرة فاحتجت إلى التكفف قال: ورحلنا فلما صرنا إلى الدجلة دخلت إلى مالك بن طوق مسلما فسألني عن طريقي وسفرى وما رأيته فيه من الاعاجيب فحدثته بحديث الجارية فأعجبه واستظرفه وكتب الابيات منى، فدخلت إلى منزلي بالشام فلما كان بعد مدة أتانى رسوله يستزيرنى فصرت إليه فلما كان بعد أيام من اجتماعنا كنت جالسا بحضرته فإذا خادمان قد جاءا ومعهما أكياس مختومة، وتخوت ثياب مشدودة فوضعاها إلى جانبى فقلت لمالك ما هذا ؟ قال حق دلالتك على المهناة بنت الهيثم الشيباني حتى أظفرني الله تعالى بها وهى أرسلت هذا إليك من مالها، ولك من مالى ضعفه قلت فما الخبر: قال إنك لما انصرفت أنفذت رسلا إلى البادية ممن أثق بعقولهم وأمانتهم فما زالوا يسألون عنها حتى ظفروا بها، وحملوها إلى ووليها معها فلما جاءتني رأيت منها زيادة عما كان زرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها، وجعلته أحد قوادى وأفضت عليها من دنياى حسب تمكنها من قلبى، فسألت عن سبب طلبى لها فأخبرتها خبرك، وكتبت أستزيرك لاعرفك هذا، وأقضى حقك فلما عرفت حضورك أنفذت هذا إليك، وقد أمرت لك بعشرين ألف درهم وعشر تخوت ثيابا، قال ابن عبد الحميد: فكانت أم عدة من أولاده * حدثنى أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الاصبهاني قال: كان أبو الحسن بن أبى الفضل يتقلد بلدنا فقدم عليه من بغداد شيخ من الكتاب يطلب التصرف وأورد عليه كتبا من إخوانه بالحضرة يذكرون طول عطلته وموقعه من الصناعة ويسألونه تصريفه فسلم الرجل وجلس، وأخرج اضبادة الكتب فتركها بين يديه، وكان في الامير حدة

وضجر، فاستكثر الكتب وفض واحدا وقرأه وأقبل على شغله من غير أن يقرأ باقى الكتب وضجر، وتغيظ وقال أليس كلها في معنى واحد ؟. قد والله بلينا بكم معاشر المتعطلين، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفا أو برا، ولو كانت خزائن الارض لى لكانت قد نفدت. يا هذا: مالك عندي شئ ولا تصرف، ولا لى عمل شاغر فأوده اليك، ولا في مالى فضل لبرك فدبر أمرك بمعرفتك. كل هذا والرجل ساكت إلى أن أمسك ابن أبى الفضل، فلما سكن قال الرجل: أحسن الله جزاءك، وتولى مكافأتك الحسنى، وفعل بك وصنع. قال وأسرف الرجل في شكره، والدعاء له. ثم ولى منصرفا. فقال ابن أبى الفضل: ردوه. فرد. فقال يا هذا: أتسخر بى على أي شئ تشكرني على إئاسك من التصرف، أو قطع رجائك في الصلة وضجري لك، أو تريد خداعي بهذا الفعل ؟ فقال: ما أريد خداعك وما كان من قبيح الرد غير منكر لانك حاكم، ويلحقك ضجر، ولعل الامر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك، وقد تعبت بهم، ولم أشكرك إلا في موضع الشكر، لانك صدقتني عما لى عندك في أول مجلس، فأعتقت عنقي من ذل الطمع، وأرحتني من التعب بالغدو والرواح إليك، وكشفت لى ما أدبر أمرى به، وكسوتي لم تخلق، وبقية نفقتى معى، ولعلهما يحملاني إلى بلد آخر ووجه سواك. قال: فأطرق الامير. ومضى الرجل. فرفع رأسه. وقال: ردوه، فلحقوه فردوه فاعتذر إليه، وأمر له بصلة وقال: تأخذها إلى أن أقلدك عملا يصلح لك، فانى أرى فيك مصطنعا. فلما كان بعد أيام قلده عملا جليلا، وصلحت حال الرجل معه قال أبو الفرج المعروف الاصبهاني، قال: حدثنى جحظة وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، قال: أحلت بى إضاقة أنفقت فيها جميع ما أملك حتى بقيت وليس في بيتى غير البوارى، فأصبحت يوما وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما قال

المثل، ففكرت كيف أعمل ؟ فوقع لى أن أكتب إلى محبرة بن أبى عباد الكاتب وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته وحالفه النقرس فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولا على الايدى أو المحفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم النعمة، ومواصلة الشرب وان أتطايب عليه ليدعوني فآخذ منه ما أنفقه مدة فكتبت إليه: ماذا ترى في جدى * وفى عضبا وبوارد ومشمع ليس يخطى * من نسل يحيى بن خالد وقهوة ذات لون * تحكى خدود الجرائد قال: فما شعرت إلا بمحفة محبرة تحملها غلمانه إلى دارى وأنا جالس على بابى فقلت له: لم جئت ومن دعاك ؟ قال: أنت. قلت: إنما قلت ما ترى وعنيت بيتك وما قلت لك أنه في بيتى، وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى. فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن ادخل اليك واستدعى من دارى من أريد، قلت: ذاك اليك فدخل بيت فلم ير إلا بارية. فقال يا أبا الحسن: هذا والله ضر مدقع، ثم أنفذ إلى داره فاستدعى فرشا وآلة وقماشا وغلمانا وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاؤا بالآلات الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه وهو شئ كثير الآلات وجاء شرابيه بالصوانى، والمخروطي، والفاكهة وآلة التبخير، والبخور، وألوان الانبذة وجلس يومه ذلك وليلته عندي. فشرب على غناء مغنية أحضرتها له كنت ألفتها. فلما كان من غد سلم إلى غلامه كيسا فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح مفصلة من فاخر الثياب، واستدعى محفته فجلس فيها فشيعته فلما بلغ آخر الصحن قال: مكانك يا أبا الحسن احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا تدع أحدا يحمل منه شيئا. وقال لغلمانه اخرجوا فخرجوا بين يديه وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة * وحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله العبقسى، قال: حدثنى بعض تجار أهل الكرخ ببغداد عن صديق

له قال: كنت أعامل رجلا من الخراسانية أبيع له في كل سنة متاعا يقدم به فانتفع من سمسرته

بألوف كثيرة فلما كان سنة من السنين تأخر عن الحاج، فأثر ذلك في حالى، ثم توالت على محن فأغلقت دكاني، وجلست في بيتى مستترا من دين ركبني ثلاثا أو أربع سنين، فلما كان في وقت ورود الحجاج تتبعت نفسي لاعرف خبر الخراساني طمعا لاصلاح حالى بوروده، فمضيت إلى سوق يحيى فلم اعط له خبرا، ورجعت فنزلت إلى الجزيرة وأنا تعب مغموم، وكان يوما حارا ونزلت إلى دجلة فسبحت وصعدت وأنا رطب، فابتل موضع قدمى وخطوت فعلقت برجلي قطعة رمل فانكشف سير فلبست ثيابي، وغسلت رجلى وجلست مفكرا أولع بالسير فانجر فلم أزل أجره حتى بان لى هميان من جلد فأخرجته فإذا هو مملوء فأخفيته تحت ثيابي، وجئت إلى منزلي ففتحته فإذا فيه ألف دينار عينا فقويت نفسي به قوة شديدة وقلت: اللهم لك على أنى متى صلحت حالى بهذه الدنانير وعادت، أن أتحرى خبر هذا الهميان فمن علمت أنه له رددته عليه بقيمة ما فيه من الدنانير واحتفظت بالهميان، وأصلحت أمرى مع غرمائي، وفتحت دكاني وعدت إلى رسمى في التجارة والسمسرة فما مضت على إلا ثلاث سنين حتى صار في ملكى عين وورق بألوف دنانير، وجاء الحجاج فتبعتهم لاعرف خبر الهميان فلم يعطينى أحد خبره. فصرت إلى دكاني فأنا جالس وإذا برجل قائم حيال دكاني أشعث أغبر وافى السبال، وفى خلقه سؤال الخراسانية وزيهم فظننته سائلا، فأومأت إلى دريهمات لاعطيه فأسرع الانصراف فارتبت به وقمت فلحقته فتأملته فإذا هو صاحبي الذى كنت أنتفع من سمسرته في كل سنة. فقلت له: ما الذى أصابك ؟ وبكيت رحمة له. فبكا وقال: حديثى طويل. فقلت: البيت البيت. فحملته فأدخلته الحمام، وألبسته ثيابا نظافا وأطعمته، ثم سألته عن خبره فقال: أنت تعرف حالى ونعمتي وإنى أردت الخروج إلى الحج بعد آخر سنة جئت إلى بغداد فقال لى أمير بلدي: عندي قطعة ياقوت أحمر كالكف، لا قيمة لها عظما وجلالة، ولا تصلح إلا للخليفة. فخذها معك فبعها لى ببغداد واشترى لى بها متاعا طلبه من عطر وظرف بكذا وكذا واحمل الباقي

مالا، فأخذت القطعة وهى كما قال فجعلتها في هميان من صفته كيت وكيت. قال: ووصف الهميان الذى عندي، وجعلت في الهميان ألف دينار عينا من مالى وجعلته على وسطى، فلما جئت إلى بغداد، نزلت أسبح في الجزيرة بسوق يحيى وتركت الهميان وثيابى بحيث الاحظهما، فلما صعدت من دجلة لبست ثيابي وقد غربت الشمس وأنسيت الهميان فلم أذكره إلا من غد، فغدوت لطلبه وكأن الارض قد ابتلعته فهونت على نفسي المصيبة، وقلت: لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار أغرمها فخرجت إلى الحج وقضيت حجى ورجعت إلى بلدي فأنفذت إليه ما حملته به، وأخبرته بخبرى وقلت له: خذ منى تمام الخمسة آلاف دينار فطمع وقال: قيمة الحجر خمسون ألف دينار وقبض على جميع ما أملكه من مال ومتاع وأنزل صنوف المكاره بى، وحبسني سبع سنين كنت أتردد فيها في العذاب. فلما كان في هذه السنة سأله الناس في أمرى فأطلقني فلم يمكننى المقام في بلدي، وتحمل شماتة الاعداء فخرجت على وجهى أعالج الفقر بحيث لا أعرف، وجئت مع الخراسانية أمشى أكثر الطريق، ولا أدرى ما أعمل فجئت لاشاورك في معاش أتعلق به.

فقلت يا هذا: قد رد الله عزوجل عليك ضالتك هذا الهميان الذى وصفته عندي، وقد كان فيه ألف دينار أخذتها، وعاهدت الله عز ذكره أنى ضامنها لمن يعطينى صفة الهميان، وقد أعطيتني صفته وعلمت أنه لك، وقمت فجئت بكيس فيه ألف دينار فقلت: خذها وتعيش بها ببغداد فانك لا تعدم خيرا إن شاء الله تعالى. فقال لى يا سيدى: الهميان بعنيه عندك لم يخرج عن يدك. قلت: نعم فشهق شهقة ظننت أنه قد تلف منها. وخر ساجدا فما أفاق إلا بعد ساعة ثم قال: ائتنى بالهميان، فجئته به فقال: سكين فأعطيته فخرق أسفله واستخرج منه حجر ياقوت أحمر كالكف، فأشرق البيت منه وكاد أن يأخذ بصرى شعاعه وأقبل يشكرني ويدعو لى فقلت: خذ دنانيرك فحلف بكل يمين أنه لا يأخذ منها شيئا إلا ثمن ناقة. ومحمل ونفقة تبلغه. فاجتهدت به فبعد جهد أخذ ثلثمائة دينار وأحلني من الباقي. فلما كان في العام المقبل جاءني بقريب مما كان يجيئنى به سالفا. فقلت:

ما خبرك ؟ فقال مضيت وشرحت لاهل البلد خبرى وأريتهم الحجر فجاء معى وجوههم إلى الامير وأعلموه القصة، وخاطبوه في إنصافي فأخذ الحجر ورد عل جميع ما كان أخذه منى من مال وعقار وضياع وغير ذلك، ووهب لى مالا من عنده وقال: اجعلني في حل مما عذبتك به. فأحللته وعادت نعمتي على ما كانت عليه وعدت إلى تجارتى ومعاشي وكل هذا بفضل الله عزوجل وبركتك فعل الله بك وصنع. قال: وكان يجيئنى في كل سنة إلى أن مات. حدثنى عبد الله بن محمد بن الحسن الصرورى قال: حدثنى أبى أن رجلا حج وفى وسطه هميان فيه دنانير وجواهر قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار. وكان: الهميان من ديباج أسود فلما كان ببعض الطريق نزل ليبول فانحل الهميان من وسطه فسقط ولم يعلم بذلك إلا بعد أن سار عن الموضع فراسخ فاتفق أن جاء رجل في أثره فجلس يبول في مكانه فرأى الهميان فأخذه وكان عليه دين فحفظه. قال: وكان الرجل من أهل بلدنا فأخبرني أنه لم يؤثر في قلبى ذهابه لانى استخلفته عند الله تعالى، وكنت في طريق الله عزوجل، وكانت تجارتى عظيمة وأموالي كثيرة. قال: فلما قضيت حجتى وعدت وتتابعت المحن على حتى لم أملك شيئا فهربت على وجهى من بلدي فلما كان بعد سنين من فقرى وقد أفضيت إلى أن أتصدق على الطريق وزوجتي معى وما أملك من تلك الليلة إلا دانقا ونصف، وكانت الليلة مطيرة وقد أويت في بعض القرى إلى خان خراب فضرب زوجتى الطلق فتحيرت وولدت. فقالت يا هذا: الساعة تخرج روحي فاخرج وخذ لى شيئا أتقوى به. فخرجت أخبط في الظلمة والمطر حتى جئت إلى بقال. قال: فدققت عليه فكلمنى بعد جهد فشرحت له حالى فرحمني وأعطاني بتلك القطع حلبة وزيتا وأغلاهما وأعارني غضارة جعلت ذلك فيها، وجئت أريد الموضع فلما مشيت بعيدا وقربت من الخان زلقت رجلى وانكسرت الغضارة وذهب جميع ما فيها.

فورد على قلبى أمر عظيم ما ورد على مثله قط، فأقبلت أبكى وألطم وأصبح فإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في داره فقال ويلك مالك تبكى. ما تدعنا أن ننام ؟ فشرحت له القصة فقال يا هذا: البكاء كله بسبب دانق ونصف فداخلني من الغم أعظم من الغم الاول فقلت يا هذا: والله ما عندي قدر لما ذهب منى، ولكن بكائى رحمة لزوجتي ولنفسي مما قد وقعت إليه فان امرأتي تموت الآن وولدى جوعا، ووالله العلى الاعلا، وعلى وحلف أيمانا غليظة لقد

حججت في سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئا كثيرا فذهب منى هميان فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة آلاف دينار فما فكرت فيه، وهو ذا تراني الساعة أبكى بسبب دانق ونصف فضة فأسأل الله تعالى السلامة، ولا تعايرنى فتبلى بمثل بلواى. قال فقال لى: بالله يا رجل ما كان صفة هميانك ؟ فأقبلت ألطم وقلت ما ينفعني ما خاطبتني به وما تراه من جهدي وقيامي في المطر حتى تستهزئ بى أيضا وما ينفعني وينفعك من صفة هميانى الذى الذى ضاع منذ كذا وكذا سنة ؟. قال: ومشيت فإذا الرجل قد خرج وهو يصيح بى فقال يا رجل خذ هذا فظننته يتصدق على فجئت وقلت له أي شئ تريد ؟ فقال لى صف هميانك وقبض على فلم أجد للخلاص سبيل غير وصفه له فوصفته. فقال لي أدخل. فدخلت. فقال: أين امرأتك قلت في الخان الفلاني. قال فأنفذ غلمانه فجاؤا بها فأدخلت إلى حرمه فأصلحوا شأنها وأطعموها كل ما تحتاج إليه وجاؤني بجبة وقميص وعمامة وسراويل وأدخلني الحمام سحرا، وطرحت ذلك على فأصبحت في عيشة راضية. فقال: أقم عندي أياما فأقمت عشرة أيام فكان يعطينى في كل يوم عشرة دنانير وأنا متحير في عظم بره بعد شدة جفائه فلما كان بعد ذلك قال لى: في أي شئ تتصرف قلت كنت تاجرا. قال فلي غلات وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركى ؟. فقلت افعل، فأخرج لى مائتي دينار فقال خذها واتجر فيها هاهنا. فقلت: هذا معاش قد أغناني الله يجب أن ألزمه فلزمته فلما كان بعد شهور ربحنا فجئته وأخذت حقى وأعطيته حقه. فقال لى: اجلس فجلست فأخرج إلى همیانى

بعينه وقال أتعرف هذا ؟ فحين رأيته شهقت وأغمى على فما أفقت إلا بعد ساعة ثم قلت له يا هذا ؟ أملك أنت أم بنى ؟ فقال أنا ممتحن بحفظه مئذ كذا وكذا سنة. فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته وطالبتك بالعلامة فأعطيتها أردت أن أعطيك للوقت هميانك فخفت أن تنشق مرارتك فأعطيتك تلك الدنانير التى أوهمتك أنها هبة وإنما أعطيتكها من هميانك. والدنانير المائتان قرض فخذ هميانك واجعلني في حل. قال فشكرته ودعوت له وأخذت الهميان وارتجع دنانيره ورجعت إلى بلدي فبعث الجوهر وضممت ثمنه إلى ما معى واتجرت فما مضت إلا سنيات حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالى فأنا أعيش في فضل الله تعالى وفى فضل تلك الدنانير إلى الآن. عن أبى سهل زياد القطان صاحب على بن عيسى قال: كنت مع على بن عيسى لما نفى إلى مكة ودخلنا في حر شديد وقد كدنا أن نتلف، وطاف على بن عيسى وجاء فالقى نفسه وهو كالميت من الحر والتعب وقلق قلقا شديدا وقال اشتهى على الله تعالى شربة ماء مثلوج. فقلت له يا سيدنا أيدك الله: أنت تعلم أن هذا مما لا يوجد في هذا المكان. فقال هو كما قلت، ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول، فاستروحت إلى المنى. قال فخرجت من عنده فرجعت إلى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشأت سحابة وكثفت وبرقت ورعدت رعدا متصلا شديدا ثم جاءت بمطر يسير وبرد كثير فبادرت إلى الغلمان فقلت اجمعوا فجمعوا منه شيئا كثيرا وملانا منه جررا كثيرة، وجمع منه أهل مكة شيئا عظيما قال: وكان على بن عيسى صائما فلما كان وقت المغرب خرج إلى المسجد ليصلى المغرب فقلت له أنت والله مقبل والنكبة زائلة، وهذه علامات الاقبال فاشرب الثلج كما طلبته. (قال): وجئته في المسجد بأقداح مملوئة بأصناف الاسوقة والاشربة مكبوسة بالبرد قال: فأقبل يسقى من يقرب منه من الصوفية، والمجاورين، في المسجد الحرام، والضعفاء ويشربونه ونحن نأتيه بما عندنا من ذلك وأقول له اشرب. فيقول: حتى تشرب الناس فخبئت له خمسة أرطال وقلت له لم يبق شئ. فقال الحمد لله

ليتنى كنت تمنيت المغفرة بدلا من تمنى الثلج فلعلي كنت أجاب. فلما دخل المبيت حلفت عليه أن يشرب وما زلت أداريه حتى شرب منه بقليل سويق بقية ليلته * حدثنى عبد الله بن محمد بن الحسين بن الحفا العبقسى. قال: حدثنى أبى، قال: كان مجاورني فتى من أولاد الكتاب ورث عن أبيه مالا جليلا أتلفه في القيان، وأكله إسرافا وبدارا حتى لم يبق منه شئ فاحتاج إلى بعض داره فلم يبق منها إلا بيت يأويه فحدثني بعض من كان يعاشره قال: صرت إليه يوما بعد انقطاعي عنه بنحو سنة لاعرف خبره فدخلت عليه فوجدته نائما في ذلك البيت في يوم بارد على حصير خلق، وقد توطأ وطأ كأنه حشو فراش، وقد تغطا بقطن كأنه حشو لحاف، فهو بين ذلك القطن كأنه السفرجل. فقلت ويحك: بلغت إلى هذا الحال ؟ قال هو الحد ما ترى. قلت فهل لك حاجة ؟ قال أو تقضيها. فظننته يطلب منى شيئا لنفقة فقلت: أي والله. قال اشتهى أن تحملني إلى بيت فلانة المغنية حتى أراها. يعنى المغنية التى يعشقها وأتلف ماله بسببها. قال وبكى فرققت له ومضيت إلى منزلي فجئته من ثيابي بما لبسه وأدخلته الحمام وحملته إلى بيتى، فأطعمته وبخرته وأخذت بيده وقصدنا دار المغنية فلما رأتنا لم تشك في أن حاله صلحت وأنه قد جاءها بدراهم فبشت به وسألته عن خبره ؟ فصدقها عن حاله حتى انتهى إلى ذكر الثياب وأنها لى. فقالت له في الحال: قم فقال: لم ؟ قالت لئلا تجيء ستي فتراك وليس معك شئ فتحرد على فاخرج إلى برا حتى أصعد فأكلمك من فوق. فخرج وجعل ينظر أن تخاطبه من روزنة في الدار إلى الشارع وهو جالس فقلبت عليه مرقة سكباج فصيرته آية ونكالا وضحكت فبكى وقال: يا أبا فلان: بلغ أمرى إلى هاهنا، أشهد الله وأشهدك أنى تائب عنها، فأخذت أتعظ به وقلت: أي شئ تنفعك التوبة الآن ورددته إلى بيته ونزعت ثيابي عنه وتركته بين القطن كما كان أولا، وحملت ثيابي وغسلتها وأيست منه فما عرفت له خبرا نحو ثلاث سنين، فأنا ذات يوم في باب الطاق فإذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسي فإذا به على برذون فاره، بمركب خفيف مليح، وثياب حسنة وكان قديما في أيام يساره يركب من الدواب والمراكب

أفخرها وآلته وثيابه وقماشه أفخر شئ، فحين رأني قال فلان فعلمت أن حاله صلحت وقبلت فخذه وقلت سيدى أبو فلان. قال: نعم. فقلت أي شئ هذا ؟ قال صنع الله عزوجل وله الحمد والشكر البيت. البيت. قال فتبعته حتى انتهيت إلى بابه فإذا الدار الاولى قد رممها وجصصها وطبقها وبنى فيها مجلسين متقابلين وخزائن ومستراحا وجعل ما كان في الدار من البيوت والمجالس صحنا كبيرا وقد صارت طيبة إلا أنها ليست بذلك السرور الاول، وأدخلني حجرة كان يخلو فيها قديما وأعادها كأحسن ما كانت وفيها فرش حسنة، ولكن ليس من ذلك الجنس الاول، وليس في داره إلا ثلاث غلمان وخادم قد كنت أعرفه لابيه قد رده وأقامه على حرمه، وشيخ بواب ممن كان يصحبهم قديما، ووكيل يتسوق له فجلس وأجلسني، وجاؤنا بفاكهة حسنة نظيفة قليلة في آلة مقتصدة مليحة، ثم جاؤا بعدها بطعام نظيف كاف غير مسرف ولا مقصر، فأكلنا ثم نام ولم تكن تلك عادته ومدت ستار، وأحضرت مشام ورياحين في صيوان وزبدات والجميع متوسط غير مسرف وانتبه فصلى وتبخر بقطعة ند جديدة وبخرنى بمثلها: فقلت يا سيدى: ما هذه الترتيبات التى لست أعرفها ؟. فقال: دع ما مضى وخذ ما نحن فيه وأقبل يشرب وغنى من وراء ستارة ثلاث جوار في نهاية طيب الغناء كل واحدة منهن أحسن

وأطيب من التى أتلف عليها ماله، فلما طابت نفسي ونفسه قال يا أبا فلان: تذكر زماننا الاول ؟ قلت نعم. قال أنا الآن في همة متوسطة وما أفدته من العقل والعلم بأمر الدنيا ليسليني عما ذهب منى، وهو ذا ترى فرشي وثيابى، ومركبي، فلم يكن ذلك بالعظيم المفرط ففيه جمال وبغال، وتنعم وكفاية وهو مغن عن ذلك الاسراف والتبذير وقد تخلصت من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم عاملتني فلانة المغنية لعنها الله تعالى بما عاملتني به. قلت: نعم. والحمد لله الذى كشف عنك ذلك. فمن أين هذه النعمة ؟ قال مات خادم كان مولى لابي وابن عم في يوم واحد فحصل لى من تركتهما أربعون ألف دينار وصل أكثرها وأنا بين القطن كما رأيتنى، فحمدت الله تعالى واعتقدت التوبة من التدبير السيئ، وأنا أدبر ما رزقته فعمرت هذه الدار

بألف دينار، واشتريت من الآلة والفرش والثياب والجوارى ما تراه وغيره بسبعة آلاف دينار، وسلمت إلى بعض التجار الثقات ألفى دينار يتجر لى فيها، وأودعت بطن الارض عشرة آلاف دينار للشدائد والحوادث، وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد على مقدار نفقتى هذه التى شاهدتها فما أبقى أحتاج إلى الاستزادة وما تقبل غلة إلا وعندي بقية من الغلة الاولى، وأنا أتقلب في نعم الله تعالى كما ترى، ومن تمام النعمة أن لا أعاشرك ولا أحد ممن كان يحسن لى الاسراف. يا غلمان: اخرجوه قال: فاخرجت ووالله فما أذن لى بعدها في الدخول عليه. حدثنى أبى قال بلغني من غير واحد أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة على فقر شديد، وكان ينقطع بلازمته عن طلب المعاش فيعود إلى منزله إلى فقر شديد، وكانت أمه تحتال فيما يقتاته يوما بيوم، فلما طال ذلك عليها خرج إلى المجلس يوما فأقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل، فجاءته بغضارة مغطاة فكشفها فإذا فيها دفاتر. فقال ما هذا ؟ قالت ما أنت مشغول به نهارك أجمع فكل منه ليلا. قال: فبكى وبات جائعا وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال فميا أكلوه فلما جاء إلى أبى حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدقه. فقال: ألا عرفتني فكنت أمدك ولا يجب أن تغتم فإنه إن طال عمرك فستأكل بالفقه اللوزينج بالفستق المقشر. قال أبو يوسف: فلما خدمت الرشيد واختصصت به قدم بحضرته يوما لوزينج بفستق مقشر فدعاني إليها فحين أكلت منها ذكرت أبا حنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى. فسألني الرشيد عن السبب فأخبرته * حدثنى أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي: أن شيخا من التجار كان له عند بعض القواد مال جليل فماطله واستخف به. قال فعملت على الظلامة إلى المعتضد لانى كنت تحملت عليه واستشفعت، وتظلمت إلى عبيد الله بن سليمان فلم ينجع ذلك. فقال لى بعض إخوانى: على أن أءخذ لك المال ولا تحتاج إلى الظلامة إلى المعتضد. قم معى الساعة. فقمت معه فجاء بى إلى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط

ويقرأ القرآن في مسجد، فقص عليه قصتي فقام فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي: إنك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك وإياى لمكروه عظيم هذا إذا حصل على باب الرجل صفع وصفعنا معه لم يلتفت لفلان وفلان، ولم يفكر في الوزير فكيف يفكر في هذا الفقير ؟ ! فضحك الرجل وقال: لا عليك امش واسكت. فجئنا إلى باب القائد فحين رآه غلمانه أعظموه، وأهووا لتقبيل يديه، فمنعهم من ذلك وقالوا: ما حاجتك أيها الشيخ فان صاحبنا راكب ؟ فان كان أمرا نعلمه نحن بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس إلى أن يجئ فقويت نفسي

فدخلنا وجاء الرجل. فلما رأى الخياط أعظمه إعظاما تاما وقال: لست أخلع ثيابي حتى تأمر بأمرك. فخاطبه في أمرى. فقال: والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم فتسأله أن يأخذها ورهنا بباقى ماله إلى شهر، فبادرت بالاجابه فأحضر الدراهم وحليا بقيمة الباقي فقبضت ذلك وأشهدت الخياط ورفيقي عليه إلى شهر يكون الرهن عندي على البقية فان حان الاجل ولم يسدد فأنا وكيل أبيع وآخذ مالى من ثمنه وخرجنا. فلما بلغنا إلى موضع الخياط طرحت المال بين يديه، وقلت يا شيخ: إن الله تعالى قد رد هذا المال بك. فأحب أن تأخذ ربعه، أو ثلثه، أو نصفه بطيب قلب منى. فقال ما أسرع ما كافئتني عن الجميل بالقبيح ؟ ! انصرف بمالك بارك الله لك فيه. فلت له: قد بقيت لى حاجة فقال: قل. قلت: تخبرني عن سبب طاعة هذا لك بعد تهاونه بأكثر أهل المملكة ؟ فقال يا هذا: قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلى. فألجت عليه فقال: أنا رجل أؤم واقرى في هذا المسجد منذ أربعين سنة، ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركي كان في هذه الدار، وامرأة جميلة تجتازه فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره، وهى ممتنعة تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعه منها. وتقول في جملة كلامها: قد حلف زوجي بطلاقي أن لا أبيت إلا عنده، فان بيتنى هنا حرمني مع ما يرتكبه منى من المعصية. قال فجئت إلى التركي ورفقت به وسألته تركها فضرب رأسي بدبوس فشجنى وأدخل المرأة داره فصرت، إلى منزلي فغسلت الدم وشددت الشجة وخرجت أصلى عشاء الاخرة. فلما فرغت منها

قلت لمن حضر قوموا معى إلى عدو الله هذا التركي ننكر عليه، ولا نبرح أو يخرج المرأة. فقاموا وجئنا فصحنا على بابه فخرج علينا في عدة من غلمانه وأوقع بنا، وقصدني من دون الجماعة فضربني ضربا عظيما حتى كدت أتلف منه، فحملني الجيران كالتالف فعالجني أهلى ونمت نوما ثقيلا وفقت نصف الليل فما حملني النوم للالم وفكرا للقصة فقلت: هذا قد شرب طول ليلته، ولا يعرف الاوقات فلو أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحقت بيتها قبل الفجر فسلمت من إحدى المكروهين. فخرجت إلى المسجد متحاملا وصعدت المنارة فأذنت، وجعلت أتطلع منها إلى الطريق أراقب خروج المرأة فان خرجت وإلا أقمت الصلاة لكى لا يشك في الصباح فيخرجها فما مضت إلا ساعة والمرأة عنده إلا وقد امتلا الشارع خيلا ورجلا ومشاعل وهم يقولون: من هذا الذى أذن الساعة أين هو ؟ ففزعت وسكت ثم قلت أخاطبهم لعلى أستعين بهم على إخراج المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت. فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فقلت دنا الفرج، فنزلت فإذا بدر وعدة غلمان معه فحملني وأدخلني على أمير المؤمنين فلما رأيته هبته، وارتعدت فسكن منى وقال: ما حملك عن أن تغرر بالمسلمين بأذانك في غير وقته، فيخرج ذو الحاجة في غير حينها، ويمسك المريد للصوم في وقت قد أبيح له فيه الافطار، وينقطع العسس عن الطواف والحرس. فقلت: فليؤمننى أمير المؤمنين لاصدق. قال: أنت آمن. فقصصت عليه القصة وأريته الضرب. فقال: يا بدر على بالغلام والمرأة في هذه الساعة، وعزلت في موضع، ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته، فقال لبدر: بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها، ويأمره عنى بالتمسك بها والاحسان إليها، ثم استدعاني فوقفت وجعل يخاطب للغلام وأنا قائم اسمع الكلام. فقال له: يا فلان كم جرايتك في كل سنة ؟ قال كذا وكذا قال: وكم عطاؤك ؟ قال كذا وكذا. قال فما كان لك فيهن وفى هذه النعمة العظيمة العريضة كف عن ارتكاب معاصي الله تعالى وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته بالوثوب على من أمرك بالمعروف ؟ ! قال: فأسقط

الغلام في يده ولم يدر جوابا. فقال: هاتوا جوالقا ومداق الجص وقيداه وغلاه فقيده وأغله وأدخله الجوالق وأمر الفراشين بدقة بمداق الجص وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به فغرق في دجلة. وتقدم لبدر بحمل ما في داره ثم قال لى يا شيخ أي شئ رأيت من أجناس المكروه ولو على هذا وأومى بيده إلى بدر فالعلامة بيننا أن تؤذن في هذا الوقت. فإنى أسمع صوتك وأستدعيك وافعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو يؤذيك. قال فدعوت له. وانصرفت. وانتشر الخبر عند الاولياء والغلمان فما خاطبت منهم أحدا بعدها في إنصاف أحد، أو كف عن قبيح إلا طاوعني كما رأيت خوفا من المعتضد. وما احتجت أن أو أذن إلى الآن. وجدت في بعض الكتب عن الاصمعي قال: كنت بالبصرة أطلب العلم أنا مقل، وكان على بابنا بقال إذا خرجت بكرة يقول لى إلى أين ؟ فأقول إلى فلان المحدث، وإذا عدت المساء يقول لى من أين ؟ فأقول: من عند فلان الاخباري واللغوى. فيقول يا هذا: إقبل وصيتى أنت شاب فلا تضيع نفسك، واطلب معاشا يعود عليك نفعه، واعطني جميع ما عندك من الكتب أطرحها في هذا الدن وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة وأنبذه وانظر ما يكون منه، والله لو طلبت منى بجميع ما لديك من الكتب جوزة ما أعطيتك. فيضيق صدري بمداومة الكلام حتى كنت أخرج من بيتى ليلا، وأدخله ليلا وحالى في خلال ذلك يزداد ضيقا حتى أقضيت إلى بيع آخر أساسات دارى وبقيت لا أهتدى إلى نفقه يوم، وطال شعرى واخلق ثوبي، وأتسخ بدنى وأنا كذلك متحير في أمرى إذ جاء لى خادم للامير محمد بن سليمان قال: أجب الامير. فقلت ما يصنع الامير برجل قد بلغ به الفقر إلى ما ترى ؟ فلما رأى سوء حالى وقبيح منظري رجع فأخبر الامير بخبرى. وعاد إلى ومعه تخوت ثياب ودرج فيه بخور، وكيس فيه دنانير وقال: قد أمرنى الامير أن أدخلك الحمام، وألبسك من هذه الثياب، وأدع باقيها عليك، وأطعمك من هذا الطعام، وإذا بخوان كبير فيه صنوف الاطعمة، وأبخرك لترجع اليك روحك. ثم أطلعك عليه

فسررت بذلك سرورا شديدا ودعوت له. فقمت وعملت ما قاله ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان فسلمت عليه فقربنى ورفعني ثم قال يا عبد الملك: قد اخترتك لتأديب ولدى أمير المؤمنين فاعمل على الخروج إلى بابه وانظر كيف يكون فشكرته ودعوت له وقلت: سمعا وطاعة سأخرج شيئا من كتبي وأتوجه فقال: ودعني وكن على الطريق فقبلت يده وأخذت جميع ما احتجت إليه من كتبي وجعلت باقيها في بيت وسددت بابه وأقعدت على الدار عجوزا من أهلنا تحفظها، وباكرني رسول محمد بن سليمان وأخذني إلى ذلال قد اتخذ لى وفيه ما أحتاج إليه وجلس معى ينفق على حتى وصلت إلى بغداد ودخلت على أمير المؤمنين فسلمت عليه فرد على السلام وقال: أنت عبد الملك بن قريب الاصمعي ؟ قلت: نعم. أنا عبد أمير المؤمنين ابن قريب الاصمعي قال: اعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه وثمرة فؤاده، وهو ذا أسلم اليك ابني محمد بأمانة الله فلا نعلمه ما يفسد عليه دينه فلعل أن يكون للمسلمين إماما. قلت: السمع والطاعة وأخرجه إلى وتحولت معه إلى دار قد أخليت لنا لتأديبه فيها وبها من أصناف الخدم والفرش ما يسر وأجرى على في كل شهر عشرة آلاف درهم، وأمر بأن يخرج إلي في كل يوم مائدة فلزمته، وكنت مع ذلك أقضى حوائج الناس، وأخذ عليها للرغائب، وأنفذ جميع ما يجتمع أولا فأولا إلى البصرة فابنى دارى وأشترى ضياعا وعقارا فأقمت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين

وروى الشعر. واللغة. وروى أيام الناس وأخبارهم، واستعرضه الرشيد فأعجب به وقال يا عبد الملك: أريد أن يصلى بالناس إماما في يوم جمعة فاختر له خطبة وحفظه إياها فحفظته عشرا. فخرج وصلى بالناس وأنا معه، فأعجب الرشيد به وأخذه نثار الدراهم والدنانير من الخاصة والعامة وأثنى الجوائز والصلاة على من كل ناحية فجمعت مالا عظيما. ثم استدعاني الرشيد فقال: يا عبد الملك قد أحسنت الخدمة فتمنى. فقلت: ما عسيت أن أتمنى وقد حزت آمالى فأمر لى بمال عظيم وكسوة كثيرة وطيب فاخر، وعبيد واماء، وظهر وفرش وآلة فقلت أن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى بالالمام إلى البصرة والكتابة إلى عامله بها أن يخاطب الناس الخاصة والعامة بالسلام على ثلاث أيام، وإكرامى بعد ذلك فكتب لى عنه بما أردت

---

[٢٢٣]

وانحدرت إلى البصرة وداري قد عمرت، وضيعى قد كثرت، ونعمتي قد فشت فما تأخر عنى أحد فلما كان في اليوم الثالث تأملت أصاغر من جاءني فإذا البقال وعليه عمامة وسخة، ورداء نظيف، وجبة قصيرة، وقميص طويل في رجله جرموقان وهو بلا سراويل فقال لى: كيف أنت يا عبد الملك ؟ فاستضحكت من حماقته وخطابه لى بما كان يخاطبني الرشيد. فقلت بخير وقد قبلت وصيتك وجمعت ما عندي من كتب العلم وطرحتها في الدن كما أمرت وصببت عليه من الماء للعشرة أربعة فخرج ما ترى، ثم أحسنت إليه بعد ذلك وجعلته وكيلى. أخبرني القاضى أبو على محسن بن على قال مسرور الكبير: استدعاني المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى: خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لى أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم. واذهب مسرعا لما أقول لك فإنه بلغني أن شيخا يحضر ليلا إلى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلى ودينار حتى تردوا تلك الخرائب، فاستتروا خلف بعض الجدران فإذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتوني به. قال: فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرائب فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد، وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف، فجلس على الكرسي وجعل يبكى وينتحب ويقول هذه الابيات: ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة يا يحيى بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا مع أبيات أطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له: أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال: دعوني حتى أوصى بوصية فإنى لا أوقن بعدها بحياة، ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه، ثم سرنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين قال حين رآه: من أنت ؟ وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم ؟

---

[٢٢٤]

قال الخادم ونحن نسمع يا أمير المؤمنين: إن للبرامكة أيادى خضرة عندي أفتأذن لى أن أحدثك بحالى معهما ؟ قال: قل. فقال يا أمير المؤمنين: أنا المنذر ابن المغيرة من أولاد الملوك، وقد زالت عنى نعمتي كما تزول عن الرجال، فلما ركبني الدين واحتجت إلى بيع ما على رأسي ورؤوس أهلى وبيتي الذى ولدت فيه أشاروا على بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون أمرأة وصبى وصبية وليس معنا ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد، فدعوت ببعض ثياب كنت عددتها لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فإذا أنا بمسجد مزخرف، وفى جانبه شيخ

بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين أيديهم، وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتي، وإذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم وإذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده، وإذا بامرد نبت العذار في خديه قد أقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون، في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال، مع كل خادم مجمرة من ذهب وفى كل مجمرة قطعة من عود كهئة الفهد وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدى الغلام وجلس إلى جنب يحيى ثم قال للقاضى تكلم: وزوج عائشة من ابن أخي هذا. فخطب القاضى خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر، فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمى ونظرت وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة وإثنى عشر، فإذا بمائة واثنى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من الفضة على كل صينية ألف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصنية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمى

والصينية في يدى وقمت، وجعلت أتلفت إلى ورائي مخافة ان أمنع من الذهاب فبينما أنا كذلك وقد وصلت إلى صحن الدار ويحيى يلاحظني فقال للخادم: اثنتى بهذا الرجل. فأتيته فقال: مالى أراك تلتفت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتي. فقال للخادم: أئتنى بولدى موسى. فأتاه به، فقال له: يا بنى هذا رجل غريب فخذه إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك. فقبض موسى ولده على يدى وأدخلني إلى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور. فلما أصبح دعا بأخيه العباس، وقال له الوزير: أمرنى بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام، ثم لما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد فلم أزل في أيدى القوم يتداولوني مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفى الاموات هم أم في الاحياء، فلما كان اليوم الحادى عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا: قم أخرج إلى عيالك بسلام. فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة إنا لله وإنا إليه راجعون فرفع الستر الاول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، وقال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به. فلما رفع الستر الاخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك، وإذا بصبيانى وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل إلى مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار، ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق. وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب. فلما جائتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أحجف بى عمرو بن مسعدة، وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفى دخلهما به، فلما تحامل على الدهر كنت في أخر الليل أقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم إلي وأبكى على إحسانهم. فقال المأمون: على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به

قال له: أتعرف هذا الرجل ؟ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال: كم ألزمته في ضيعته ؟ قال: كذا. وكذا. فقال له: رد إليه كل ما أخذته منه في مدته، وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده، قال: فعلا نحيب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا: قد أحسنا اليك فما يبكيك ؟ قال يا أمير المؤمنين: وهذا أيضا من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم وأندبهم حتى اتصل خبرى إلى أمير المؤمنين ففعل بى ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين ؟: قال إبراهيم بن ميمون: فرأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه، وقال: لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك، وإياهم فاشكر، ولهم فأوف، ولاحسانهم فاذكر. بلغني أنه كان رجل من أهل الكوفة من ذوى الادب والظرف يعاشر الناس وتأتيه ألطافهم فيعيش بها متسعا ثم انقلب الدهر عليه فأمسك الناس عنه وجفوه، حتى قعد في بيته والتجأ إلى عياله وشاركهن في فضل مغازلهن فاستتم ذلك عليه، وناسيه الناس ولزمه الفقر. قال: فبينما أنا ذات ليلة في منزلي على أسوء حال، وإذا بوقع حافر دابة ورجل يدق الباب فكلمته من ورائه وقلت له: ما حاجتك ؟ قال إن اخا لك لا أسميه يقرأ عليك السلام ويقول: إنى مستتر وليس آنس بكل أحد فان رأيت أن تصير إلى لنتحدث ليلتنا قلت: لعل سعدى يكون قد تحرك، ثم لم أجد شيئا ألبسه فاشتملت بإزار امرأتي وخرجت فقدم إلى فرسا مجنونا كان معه فركبته إلى أن أدخلني إلى فتى أجمل الناس فقام إلى وعانقني، ودعا بالعشاء. فأكلنا وبالشراب فشربنا، وأخذنا في الحديث فما خضت في شئ إلا وسبقني إليه حتى إذا صار السحر قال: إن رأيت أن لا تسألني عن شئ من أمرى أو تجعل هذه الزيارة بينى وبينك إذا أرسلت اليك. فقال: وهنا دارهم تقبلها ولا تردها، وأخرج إلى جرابا مملوءا دراهم ودنانير فدخلتني أريحية الشراب فقلت: اخترتني على الناس لسرك فآخذ على ذلك جزاء لا حاجة لى بالمالى فجهدني فلم آخذه. وقدم إلى الفرس فركبت وعدت إلى منزلي فدخلته مخفقا وعيالي

يتطلعن إلى ما أجئ به فأخبرتهن بخبرى وأصحبت نادما على فعلى وقد ورد على وعلى عيالي ما لم يكن في حسابنا فمكثت حينا لا يأتي رسول الرجل إلى أن جاءني بعد مدة فصرت إليه فعاودني مثل ذلك الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت مخفقا فأقبلت امرأتي على باللوم والتوبيخ فقلت لها: أنت طالق ثلاثا إذ عاودني فلم آخذ ما يعطينى. فمكثت على ذلك مدة أطول من الاولى ثم جاءني رسوله، فلما أردت الركوب قالت لى امرأتي يا مشؤم اذكر يمينك وبكاء بناتى، وسوء حالك وصرت إلى الرجل فلما مضينا إلى الشراب وأنا أحادثه إلى أن أبلج الفجر وأخرج إلى الجراب فعاودني في الكلام. فأخذته، فقبل رأسي وتنكرني على قبوله وقدم إلى الفرس وانصرفت عنه إلى منزلي فلقيت الجراب فلما رأينه عيالي سجدن لله شكرا وفتحناه فإذا هو مملوء دنانير فأصلحت من حالى، واشتريت مركوبا وثيابا حسنة وأثاثا وضيعة قدرت أن غلتها تفى بى وبعيالى بعدى واستظهرت على زماني ببقية الدنانير وانهال الناس على يظهرون الفرح بما تجدد لى وظنوا أنى كنت غائبا في انتجاع ملك وعدت مسريا. وانقطع رسل الرجل عنى فبينما أنا أسير في القرب من منزلي وإذا ضوضاء شديدة وجماعة متجمعة فقلت ما هذا ؟ فقالوا: رجل من مدينة فلان يقطع الطريق فطلبه السلطان إلى أن عرف خبره هنا فهجم عليه فخرج على الناس بالسيف يمنع عن نفسه فقربت من الجميع وتأملت الرجل فإذا هو صاحبي بعينه يقاتل الناس والشرط فينكشف الناس عنه ويكرون عليه ويضايقونه، فنزلت عن فرسي واقبلت أقوده حيث دنوت منه وقد انكشفت الناس فقلت له: بأبى أنت وأمى أنت شأنك والفرس. واطلب النجاه فاستوى على ظهره فلم يلحقوه فقبض على وأقبلوا يتهددوني حتى جاؤ إلى

عيسى بن موسي وكان لى عارفا فقالوا: أيها الامير إنا كدنا أن نأسر الرجل فجاء هذا فأعطاه فرسا فنجاه عليه، فاشتد غضب عيسى بن موسى وكاد أن يوقع بى وأنا منكر وشرحت له ما كان أفضى بى الحال إليه وما عاملني به الرجل من الجميل وإنى كافأته فقال لى: أحسنت لا بأس عليك. ثم التفت إلى الناس وقال يا حمقى هذا مستفتل بسيف قد تكلمتم عنه بأجمعكم

فكيف كان هو يدفعه عن فرسه انصرفوا. ثم خلا سبيلى فانصرفت إلى منزلي وقد قضيت زمام الفتى وخلصت النعمة بعد الشدة وأمنت عواقب الحال وكان آخر عهدي به والسلام * سرق لجعفر بن سليمان الهاشمي جوهر بالبصرة وهو أميرها فجهد أن يعرف له خبرا فخفي عليه الفاعل فأغاظه فجاء بالشرط وضربهم فجدوا في الطلب، فلما كان بعد ذلك بشهور أتاه بعضهم برجل وجده يبيع في سفط درة فاخرة من ذلك الجوهر وقد قبض عليه وضربه ضربا عظيما إلى أن أقر فأخبر جعفر بخبره فأذن له في دخوله فلما أرى الرجل جعفر استغاث به وبكى فرحمه جعفر وقال: ألم تكن طلبت منى هذه الدرة في وقت كذا فوهبتها لك. فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الغريم، وروت الفرس قريبا من هذا فذكروا أن بعض ملوكهم سخط له على حاجب سخطا عظيما فألزمه بيته وكان فيه كالمحبوس وقطع عنه أرزاقه وجرايانه وأقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له مال، ثم بلغه أن الملك قد اتخذ سماطا عظيما يحضره الناس في غد ذلك اليوم فأرسل إلى أصدقائه وأعلمهم بأن له مال ويجب أن يبعث بعض ولده ليحضره واستعار منهم دابة بسرجها ولجامها وغلاما ليسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفا ومنطقة فأعير ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته حتى جاء دار الملك، فلما رآه البوابون لم يشكوا في أنه لم يقدم على ذلك إلا بإذن الملك وتذمموا التقدم وأن يحجبوه حتى يستأذنون فدخل وهو مظهر لقوة الجأش ولم يذل حاله مع طائفة منهم يقول نفسه إلى أن وصل إلى الملك وقد أكل وهو جالس يشرب فلما رآه الملك قطب وأنرك حضوره وهم أن يأمر به وبالحجاب والبوابين فكره أن ينغص يوما قد أفرده بالسرور على نفسه وأقبل الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه قديما فازدادت حالته تمويها على الحجاب والحاشية إلى أن كاد المجلس ينصرم وغفل أكثر من كان حاضرا فيه فتقدم إلى صينية من ذهب تزن ألف مثقال مملوءة مسكا فأخذها بخفة وجعل المسك في كمه والصينية في حقه، وخرج فركب وعاد إلى منزله ورد العوارى على أهلها وباع المسك

وكسر الصينية وجعلها دنانير واتسع بها وأفاق الملك في غد من سكرته وقد سمع الذين يخدمون في الشراب يطلبون الصينية وقهرمان الدار يطالب بها ويضرب قوما من أجلها فذكر حديث الحاجب وعلم أن ما حمله على الاقدام على مثل ذلك الامر إلا من وراء شدة وضر. فقال لقهرمانه: لا تطلب الصينية فما لاحد في ضياعها ذنب قد أخذها من لا يردها ومنظره لا يتم عليه. فلما كان بعد سنة عاد ذلك الحاجب إلى شده الاضافة لنفاد الدنانير وبلغه خبر سماط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة أخرى حتى دخل على الملك فلما رآه الملك قال يا فلان: قد نفدت تلك الدنانير فقبل الارض بين يديه وبكى ومرغ خديه وقال أيها الملك: قد احتلت مرتين في أن تقتلني فأستريح مما أنا فيه من عظم الضر الذى أعانيه أو تعفوا عنى كما يليق بك وتذكر حرمتي فأعيش في ظلك وليس لى بعد هذه الكرة حيلة فرق له الملك وعفا عنه وأمر برد أرزاقه ونعمته ورده إلى حالته

الاولى في خدمته. وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: نالت عمر بن هبيرة ضائقة شديدة فأصبح ذات يوم في نهاية الكسل وضيقة الصدر والضجر مما هو فيه فقال له أهله ومواليه: لو ركبت فلقيت أمير المؤمنين فلعله إذا رآك أن يجرى لك شيئا فيه محبة، أو يسألك عن حال فتخبره. فركب ودخل على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة فخاطبه، ثم نظر يزيد فوجد عمرو قد تغير تغيرا شديدا أنكره. فقال له: أتريد الخلاء ؟ قال: لا. قال إن لك لشأنا ؟ قال يا أمير المؤمنين: اجد بين كتفي أذا لا أدرى ما هو ؟ قال يزيد: انظروا ما هو ؟ فنظروا فإذا بين كتفيه عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب عهده على العراق، وجعل يزيد يصفه بالرجولية وسعة الصدر * وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: حدثنى ميمون بن موسى، قال: خرج رجل من المتصرفين من عكسر المعتصم بالله إلى مصر. قال: فحدثني عنه بعض المتصرفين قال: نزلت في دار بالقرب منه، فحدثني:

الرجل بما كنت وقفت على بعضه قال: أصبحت ذات يوم وقد نفذت نفقتى، وتقطعت ثيابي، وأنا من الهم والغم على مالا يوصف. فقال لى غلامي: أي شئ نعمل اليوم ؟ فقلت له خذ بلجام الدابة فبعه وانه محلى، وابتع مكانه لجاما جديدا واشتر لنا خبزا سميذا، وجديا حنيذا. فقد قرمت نفسي إلى أكلها وعجل ولا تنس أيضا أن تبتاع أيضا كوز نبيذ لسروري. فمضى الغلام وجلست مفكرا في أمرى وما ألاقى وكيف أعمل. فإذا بباب الدار قد دق دقا عظيما حتى كاد أن ينكسر فإذا رهق شديد، فقلت لغلامي وكان واقفا بين يدى: أخرج فانظر ما هذا ؟ فذهب الغلام وفتح الباب فلم يفتح فكسره وامتلات الدار على غلمانا من الاتراك وغيرهم وإذا باشتاس وهو حاجب المعتصم ومحمد بن عبد الملك الزيات وقد دخلا وطرحت لهما زولية فجلسا عليها وإذا معهما حفارون قال: فلما رأيت ذلك بادرت فقبلت أيديهما فسألاني عن خبرى فخبرتهما به، وأنى خرجت من جملة آهل العسكر طمعا في التصرف وذكرت حالى وما توالت إليه فوعدت وعدا جميلا والحفارون يحفرون فالتفت اشتاس إلى محمد بن عبد الملك فقال: أنا والله جائع. فقال له محمد: وأنا والله جائع. فقلت عند ذلك يا سيداى عند خادمكما شئ قد اتخذ له فإذا أذنتما في إحضاره حضر فقالا: هات. فقدمت الجدى وما كان ابتيع فأكلا واستوفيا وغسلا أيديهما ثم قال لى أشتاس عندك من ذلك الفن شئ ؟ فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاث أقداح فجعل أحدهما يقول للآخر ظريف وما ينبغى لنا أن نضيع هذا الجميل، فبينما الحال على ذلك إذ ارتفع تكسير الحفارين فإذا هم قد كشفوا عن عشرين مرجلا دنانير وأخرجت ليتوجهوا بها إلى المعتصم، فلما نهضوا قال أحدهما للآخر فهذا الشقى الذى أكلنا طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا. فقال الآخر ماذا نعمل ؟ نحفن له حفنة من كل مرجل لا تؤثر فيه فنكون قد أعنيناه، ونصدق امير المؤمنين على الحديث. ثم قال حجرك فجعل كل واحد منهما لى حفنة من كل مرجل ثم حملا المال وانصرفا فنظرت فإذا قد حصل لى عشرين ألف دينار، فانصرفت بها إلى العراق فابتعت بها ضياعا وتركت التصرف.

وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: حدثنى أبى عن أبى قلابة المحدث قال: ضقت ضيقة شديدة فأصبحت ذات يوم والمطر يجئ كأفواه القرب والاولاد يتضورون جوعا وما عندي حبة واحدة أتقوتها فبقيت متحيرا في أمرى فخرجت فجلست في دهليز وفتحت بابى

وجعلت أفكر في أمرى ونفسي تكاد تخرج غماما أنا فيه وليس يسلك الطريق أحد لشدة المطر، فإذا بامرأة على حمار فاره وخادم أسود آخذ بلجام الحمار، والحمار يخوض في الوحل فلما صار بحذائي سلم على وقال: أين منزل فلان ؟ فقلت: هذا منزله وأنا هو. فسألتني المرأة عن مسألة فأفتيتها بها فصادف ذلك ما أحبت فأخرجت من حفها خريطة ودفعت إلى منها ثلاثين دينارا، ثم قالت يا أبا قلابة: سبحان خالقك لقد تنوق في قبح وجهك وانصرفت * وحدثني أبو القاسم التنوخى في المذاكرة بإسناد ذهب عن حفظى قال: كان أحمد بن أبى خالد بغيضا قبيح التهجم، وكان مع ذلك حرا، وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الاضخم من وجوه الكتاب فحدث قال: لما آلت بى العطلة في أيام المأمون والوزير إذ ذاك أحمد بن أبى خالد، وضاقت حالى حتى خشيت التكشف فبكرت إلى أحمد بن أبى خالد مغلسا لاكلمه في أمرى فرأيت بابه قد فتح، وخرج وبين يديه بريد المأمون، فلما نظرني أنكر بكورى وعبس وجهه وقال: في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشغلنا عن أمرنا ؟. فلم تصبر نفسي أن قلت: ليس العجب منك أصلحك الله فيما استقبلتني به، وإنما العجب منى كيف أسهرت نفسي ليلتى وأسهرت من في دارى تأميلا لك وتوقعا للصبح لاصير اليك وأبثك أمرى فأستعين بك على إصلاح حالى، وحلفت يمينا غليظة أن وقفت ببابك أو سألتك حاجة حتى تصير إلى معتذرا مما كلمتني به. وانصرفت مغموما مكروبا بما لقيني به متذمما على ما فرط منى غير شاك في العطب إذ كنت لا أقدر على الحنث، وكان ابن أبى خالد لا يلتفت إلى تبرئة قسمي فإني كذلك وقد طلعت الشمس إذ دخل بعض غلماني وقال: أحمد بن أبى خالد مقبل في الشارع، ثم دخل آخر فقال: قد دخل دارنا، ثم آخر فقال قد وقف على الباب، ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلا له. فلما استقر في مجلسه من دارى

ابتدأت أشكره على ابراره قسمي. فقال: إن أمير المؤمنين كان أمرنى بالركوب إليه في بعض مهماته فدخلت إليه وقد غلبنى السهو مما فرط منى اليك حتى أنكر ذلك فقصصت على قصتي معك. فقال: أسأت بالرجل قم: فامض إليه واعتذر مما قلته له. فقلت: أفأمضى إليه فارغ اليد. قال: فتريد ماذا ؟ قلت له: تقضى دينه قال: كم هو ؟ قلت ثلثمائة ألف درهم. قال: وقع له بذلك. قلت: يرجع بعد إلى الدين. قال: وقع له بثلثمائة أخرى. قلت: وولاية يتشرف بها. قال: وله مصرا أو غيرها مما يشتهيها قلت: ومعونة على سفره. قال: وقع له بمائة ألف درهم. قال: وأخرج التوقيع من خفه بالولاية وبسبعمائة ألف درهم فدفعه إلى وانصرف * وذكر أبو الحسين القاضى قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الخياط قال: كان في جيراني بالجانب الشرقي من بغداد رجل من الاتراك له رزق في الجند فتأخر رزقه في أيام المكتفى، ووزارة العباس بن الحسين. فساءت حاله، ورثت هيئته حتى لزم الجلوس عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسألهم ويشفعه أيضا بأن يعطيه في كل يوم خمسة أرطال خبزا يتقوت بها هو وعياله فاجتمعت عليه للخباز شئ فضاق به صدر الخباز أن يعطيه شيئا آخر فمنعه فخرج ذات يوم فجلس وهو عظيم الهم، ثم كشف لى حديثه وقال: لقد علمت أن لابد لى من مسألة الناس، وقد عملت على مسألة كل من يشترى من الخباز أن يتصدق على وقد حملني الجوع على هذا كله، لكن لما ذكرت ما في ذلك من الذل منعتني نفسي فبينما هو على ذلك إذ جاء رجل بزى نقيب يسأل عنه فدل عليه، فوجده جالسا عند الخباز فقال له: قم. فقال: إلى أين ؟ قال: إلى الديوان حتى تقبض رزقك فقد خرج لك ولصاحبك رزق شهرين، فضمني معه فلما كان بعد ساعة جاءني وقد قبض ماتئين وأربعون دينارا، فرم منزله وأصلح حاله

وحال عياله، وابتاع دابة وسلاحا، وخرج مع قائد كان برسمه وحسن حاله.

وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه بإسناده عن الفضل بن عياض قال: حدثنى رجل أن رجلا خرج بغزل له فباعه بدرهم ليشترى به دقيقا فمر على رجلين كل واحد منهما آخذ برأس أخيه، قال: ما هذا ؟ قال يصطخبان في درهم فأعطاهما ذلك الدرهم وليس له شئ غيره. فجاء إلى امرأته فأخبرها فجمعت له شيئا من البيت فذهب يبيعه فكسد عليه فمر عليه رجل ومعه سمكة قد اروحت. فقال له: إن معك شئ قد كسد ومعى شئ قد كسد فهل لك أن تبيعني هذا بذاك ؟ فبايعه، وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت فقامت المرأة تصلحها، وإذا بلؤلؤة في جوفها، فقالت له: أتعرف قدر اللؤلؤة ؟ قال: لا. ولكن أعرف من يعرفه، فانطلق بها إلى صديق له وهو في سوق الجوهر، وقال: بعها لى. قال لك بها على أربعون ألف، وإن شئت فاذهب بها إلى فلان فهو أثمن لك بها منى. فذهبت بها إليه فقال: لك بها ثمانون ألفا وإن شئت فاذهب إلى فلان فهو أثمن لك بها منى. فذهبت إليه فقال: لك بها مائة وعشرين ألفا. ولا أدرى أحدا يزيدك. قال: فحمل لى اثنى عشر بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم. فذهب بها إلى منزله ليضعها فيه فإذا رجل في الباب يسأل. فقال: هذه قصتي التى كنت عليها أدخل. فدخل فقال له: خذ نصف هذا المال. فأخذ الرجل الفقير ست بدر ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه وقال: ما أنا بمسكين ولا فقير. ولكن أرسلني اليك ربك تعالى الذى أعطاك بالدرهم عشرين قيراطا فهذ الذى أعطاك قيراط وادخر لك الباقي * وذكر أبو الحسين القاضى في كتابه القرطبلى: كان في جيراني رجل من أهل البيوتات، وكانت له نعمة فزالت له وساءت حالته، وكانت له زوجة وأربع بنات فحملت زوجته، وأخذها الطلق في الليل. قال: فلم يكن لى حيلة شئ في الدنيا فخرجت ليلا هاربا على وجهى أمشى حتى أتيت جسر النهروان فأملت أن ألقى عاملها وكان يعرفني فاسأله تصريفي في شئ. وتعجيل رزقه ببعض الشئ لانفذه إلى زوجتى، فوصلت إلى الموضع، وقد ارتفع النهار فجلست أستريح بالقرب من يقال فإذا برجل قد جاء، ووضع مخلاته وعصاه ثم قال: اعطني كذا وكذا من خبز وآدم فأعطاه فأكل ووزن له الثمن ثم فتح مخلاته ففضها وميز

ما فيها من الكتب فرأيت فيها خطابا إلى وعليه وصفة منزلي. فقلت: هذا إلى: فقال: أتدرى ما تقول ؟ قلت: نعم. قال: أفتعرف من كتبه ؟ قلت: لا. قال: فان فيه سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب من دون جميع ما معى استؤجرت وخرجت من الدينور، فقلت له: قد قلت لك الحقيقة، وإن مضيت إلى بغداد لم تجد صاحب الكتاب غيرى. فقال أما هنا إنسان يعرفك ؟ قلت: نعم. قال: قم بنا إليه. فجئنا إلى العامل فلما دخلت عليه قال لي: ما أقدمك يا أبا فلان علينا ؟ فقلت له: قبل كل شئ من أنا أعزك الله، وأين منزلي ببغداد ؟ قال: أنت أبو فلان بن فلان الفلاني، ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور في مكة كذا منها. فقلت للرجل: عرفت صدقي ؟ قال: نعم. فحدثت العامل بحديثي، وأخذت الكتاب من الرجل، وإذا هو من بعض المستورين من الدينور يذكر ابن عم كان لى فيها قد توفى بعد أن أوصى إليه انى أنا وارثه وأسمانى له ووصف مسكني ببغداد، وأن الثلث من ماله يصرف في وجوه البر، وباقى التركة لى وأنه باع أثاث المنزل وما خاف فساده وصرف الثلث منه، وبعض ما كان أوصى به وأنفذ إلى سفتجة

بالثلثين ن ذلك مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا دينار بأجل أربعين يوما على تاجر في دار القطن بالكرخ، وقال: والقصد أن تبادر إلى الدينور لتبيع العقار، والضياع أو تبيع الثلث منها لتصرفه في مهم وتتمسك بالباقي إن شئت. قال: فورد على من السرور مالا عهد لى بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للرجل: قد وجب حقك وسأحسن اليك. وشرحت له قصتي وأنه لا حبة فضة معى. فجاءني إلى البقال وقال: زن لاستاذي بكذا. وكذا. خبزا وإدما وما يريد غيرهما فتغذيت ووزن الرجل ثمن ذلك من عنده واستأجر حمارين فأركبني أحدهما وركب هو الآخر، ووزن الاجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا إلى بغداد وقصدنا دار القطن وفى النهار بقية صالحة. فأوصلت السفتجة إلى التاجر فقال: صحيحة إذا حل الاجل فاحضر للقبض. فقلت له: خذ حديثى وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له، ويرى في مروءتك، وقصصت عليه قصتي. فقال: بالله الذى لا إله إلا هو أنت صادق ؟ فحلفت له. فأخرج كيسا كان يقربه فوزن منه مال السفتجة، وأخذ خطى بذلك، وصرت من وقتى إلى السوق فاشتريت

عسلا وسكرا وشيرجا وخبزا كثيرا وحملا مشويا وما يصلح للنساء في النفاس، ومهدا وقشوة وعطرا صالحا وشيئا من الثياب وصرت إلى منزلي وقد قربت عشاء الآخرة، فوجدت كل من فيه من النساء يدعوا على ويلعننى فقدمت الحمالين ودخلت منزلي، فانقلبت الدار وانقلب الدعاء على، فصار دعاء لى، وصار الغم سرورا، ووجدت زوجتى قد ولدت ابنا وعرفت الصبيان خبر السفتجة والميراث والرجل، وأعطيت الزوجة والقابلة من الدنانير، وأقمت الرجل عندي أياما، حتى أصلحت أمرى وأمر عيالي وخلفت لهم نفقة، وأعطيت الرجل منها وأجزلت واكتريت منها حمارين لى وله واستصحبته إلى الدينور فوجدت فيه ما يخصنى ما تركه ابن عمى نحو عشرة آلاف دينار. فبعت ذلك كله، وأخذت بحصتي سفائج إلى بغداد وعدت وقد فرج الله عزوجل عنى وأصلح حالى فأنا أعيش في بقية تلك الحال إلى الآن. وذكر أبو الحسين القاضى قال: حدثنى أبى عن بعض اخوانه وأحسبه أبو يوسف بن يعقوب بن ثابت قال: أملق بعض الكتاب في أيام الرشيد حتى أفضى إلى بيع دابته، ونقض داره فلم يبق فيها إلا بيت يأوى إليه هو وولده، فانقطع عن الناس وانقطعوا عنه دهرا، وكان الرشيد يولى أعمال اذربيجان وأرمينية في كل سنتين أو ثلاثا رجلا فاضلا فمرة عين رجلا هاشميا فاضلا فطلب كاتبا فارها يصطنعه وشاور فيه صديقا له من الكتاب، فوصف له هذا الرجل المتعطل، ووعده بإحضاره وصار إليه فطرق الباب عليه فوجده لما دخل إليه على حال من الفقر لا يتهيأ له معها القاء أحد فبعث إليه من منزله بخلعة من ثيابه ودابة وغلام وبخورا ودراهم، وركب معه إلى الهاشمي فلقيه بها فاستجوبه الهاشمي، فوجده بارعا في صناعته، فاستكتبه وقرر جرايته، وأمر له بمال معجل معونة له على سفره، وأمره بالقدوم على اذربيجان فعاد الرجل إلى منزله وأصلح من حاله وخلف نفقة لعياله وشخص إلى تلك البلد فلما بلغ الوالى المصروف الخبر رحل عن البلد،

وأخذ غير الطريق الذى بلغه أن الكاتب سلكه وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف الناحية خرج إليه الكاتب المعزول ولقيه وسأله عن صاحبه. فلما أعلمه بشخوصه إلى دار السلام أنكر ذلك فقال له: الكاتب المعزول مل بنا إلى موضع نجلس فيه نتحدث ونرى رأيك فمالا ونزلا وطرح لهما ما جلسا عليه فقال: أعزك الله لا تنكر انصراف

صاحبي فانه رجل كبير المقدار وأخاف من مهانة تلحقه فشخص إلى دار السلام، وقد خلف قبلى مائة ألف درهم فاقبض ذلك وأكتب لنا كتابا بإزاحة علته وانفصال ما بيننا وبينك، ونحن ننصب لك من يرفع الحساب رفع من لا يغيب ولا يستعصى عليه. فقبل كاتب الوالى ذلك، وركبا وقد زال الخلاف بينهما إلى تقبيض تلك الاشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه، وكتب الكاتب الرشيد بإزاحة علته، وانفصال ما بينهم وبينه، وخرج الكاتب لاحقا لصاحبه، وخلف من يسلم الحساب، فاتصل ظاهر الخبر بالهاشمي الوالى فكتب إلى كاتبه ينكر عليه فكتب إليه إنى قد بلغت من الامر مبلغا مرضيا إذا وقفت عليه. فلما صار إلى الناحية عرفه ما جرى فحسن موقعه منه وتبرك به، وغلب على عقله فكسب مالا عظيما فلما مضت عليه ثلاث سنين صرف الهاشمي وخلفه الذى كان قبله واليا، وبلغ الهاشمي الخبر. فقال لكاتبه ما الرأى ؟ فقال: نفعل به مثل ما فعل بنا، وأقيم أنا ومعى مثل ما كان أعطانا فأعطيه إياه، وآخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه والحق بك. ففعل ووافى الكاتب الذى كان مصروفا فتلقاه الكاتب في الموضع الذى كانا التقيا فيه في مبدأ الامر فعدلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه صاحبه له وسأله قبول ذلك، والكتابة بمثل ما كان كتب له إلى الرشيد. فامتنع من قبول ذلك، وكتب له بانفصال ما بينهما إلى الرشيد كتابا وكيدا وقال: أراك رجلا فاضلا فطنا، وأرى صاحبك عاقلا، وقبول هذا لا يكون مكافأة له بل يكون كأنه بيع له وشراء منه. ولكن قد تذكرت أمرا أجمع لنا ولكم من هذا. قال ما هو ؟ قال اعقد بيننا وبين صاحبك صهرا ونكون إخوة وأصدقاء. قال: فعل الله بك وصنع فما في الدنيا أكرم ولاية منك. فعقد بينهما الصهرين وسارا إلى مقصدهما

ودخل الكاتب بغداد، وقد حصل الهاشمي صاحبه وأخبره الخبر فحمد ربه وأمضى عقده في المصاهرة فصار الكاتب من أرباب الاحوال وعاد إلى أفضل ما كان عليه قبل محنته * وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: حدثتني جدتى أم أبى قالت: كان زوجي يعقوب بن على قد نهض إلى مصر وتصرف بها وعمل وتعطل وأقام هناك وأضقنا إضاقة شديدة وعرضنا بيع ضيعة لنا فلم نجد لها ثمنا، وتأخر كتابه عنا وانقطع خبره حتى توهمنا أن حادثا حدث عليه، وكان أولاده صغارا فكنت أحتال وأنفق عليهم حتى لم يبق لى في المنزل شئ وحضر وقت عمارة الضيعة فاحتجنا إلى بزر ونفقة فتعذر ذلك علينا حتى كدنا أن نتعطل ويفوت وقت الزراعة فأصبحت يوما وبى من الغم من اجتماع هذه الاحوال أمر عظيم ووجهت إلى بعض من كنت أثق به وأتوهم أنى لو سألته اسعافنا بالكثير من ماله أن لا يخالفنا لاقترض منه شيئا لذلك. فرد رسولي واعتذر وعرفني الرسول أنه قال: إذا بعثت لهم ما طلبوا والضيعة لم تعمر ولم يحصل لهم غلة وزوجها لم يعرف له خبر فمن أين تردون على المال ؟ قال: فكدت أموت غما وامتنعت من الطعام يومى وليلتي فأصبحت فما انتصف النهار حتى ورد على كتاب زوجي بسلامته، وذكر السبب في تأخر كتابه وبسفنجة أنفذها طى كتابه بمائتي دينار، وذكر ثيابا أنفذها مع آخر من أهل البصرة مبلغها خمسون دينارا فعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة وحنست حالى. وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه أيضا قال: روى أن سعيد بن العاص قدم الكوفة عاملا لعثمان بن عفان وكان يتعشى عنده من القراء رجل قد ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك قد بلغنا عن أميرنا هذا كرم فاذكر له حالك فلعله أن ينيلنا شيئا فلم يبق للصبر فينا بقية فقال: ويحك لا تخلقي وجهى فقالت: فاذكر له ما نحن فيه على كل حال فلما كان بالعشاء أكل عنده ولما انصرف الناس ولم يقم الرجل فقال له سعيد: أظن جلوسك لحاجة فاذكرها فخجل

الرجل فقال سعيد لغلمانه: تنحوا. ثم قال: يرحمك الله أنا وأنت فاذكر حاجتك فخجل فنفخ سعيد المصباح فأطفأه ثم قال: رحمك الله لست ترى وجهى فاذكر حاجتك. قال: أصلح الله الامير أصابتنا حاجة وأحببت ذكرها لك قال: فإذا أصبحت فأت فلانا وكيلى. فلما أصبح الرجل لقى الوكيل فقال إن الامير قد أمر لك بشئ فهات من يحمله معك. فقال: ما عندي من يحمل معى وما أظن الامير إلا قد أمر لى بقوصرة تمر وقد ذهب ماء وجهى، ولو كان دراهم أو دنانير لاعطانيها يد بيد. فلما كان بعد أيام قالت له امرأته يا هذا قد بلغ بنا الامر إلى ما ترى ومهما أعطاك الامير فخذه نتقوت به أياما فاذهب والق وكيله. فلقيه فقال أين أنت لقد أخبرت الامير أن ليس لك من يحمل ما أمر به لك. فأمرني أن أوجه معك من يحمل ذلك. قال ثم أخرج إلى أناس من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم وقال: امضوا معه فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة وأخرج منها دراهم فدفعها للسودان وقال انصرفوا. قالوا: إلى اين نحن عبيدك إنه ما حمل مملوك لامير هدية فرجع المملوك إلى مالكه قال: فصلحت حال الرجل واستظهر في أمر دنياه * وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه عن الاصمعي قال: لزمت باب الرشيد وكنت أقيم عليه طول نهاري، وأبيت بالليل مع الحراس أسامرهم وأتوقع طالع سعدى حتى كدت أموت قرا وهزالا وأنا أتصبر وأتذكر عاقبة الصبر وما وراءه من الفرج وآمل صلاح حالى باتفاق محمود، فبينما أنا ذات يوم وقد أثر في السهاد خرج بعض الحجاب فقال: هل بالباب أحد يحسن الشعر ؟ فقلت الله أكبر رب مضيق فكه اليسر أنا ذاك الرجل.. ؟ أخذ بيدى وقال ادخل فانه ختم لك بالسعادة ولعلها ليلة تكون فزت فيها بالغنى فقلت بشرك الله بالخير، ودخلت فواجهت الرشيد في البهو جالسا واخدم وقوفا على رأسه وجعفر بن يحيى البرمكى إلى جانبه، فوقف بى الحاجب حتى يسمع تسليمى فسلمت ثم قال: تنح قريبا لتسكن نفسك إن كنت وجدت للردعة حسنة فقلت في نفسي إن سكت فهى فرصة تفوتنى إلى

آخر الدهر فلا أعتاض عنها إلا كمدا حتى يضيق على الضريح. فقلت بصوت إضاءة: كرم أمير المؤمنين وبهاء مجده مدبران لمن نظر إليه من آذية النفس يسألنى أيده الله فأجيبه أم ابتدى فأصيب. فتبسم إلى جعفر وقال ما أحسن من استدعى الاحسان وأحرى به أن يكون محسنا ثم قال لى أشاعر أنت أم راوية للشعر ؟ قلت: راوية قال لمن قلت لكل أمر ذى جد وهزل بيد أن يكون محسنا قال (أنصف الفارة من رماها) ما معنى هذه الكلمة ؟ قلت لها وجهان: زعمت التبابعة أنه كان لها رماة لا يقع سهامها في غير الحدق فكانت تكون في الموكب الذى فيه الملك على الجياد البلق فخرج فارس معلم بعذبات سمور وقلنسوة فنادى أين رماة الحدق ؟ فقالت العرب انصف الفارة من رماها. والوجه الآخر: المرتفع من الجبل الشاهق فمن ضاهاه بفعاله فقد رماه وما أحسب هذا هو المعنى لان المرماة كالمعطاة، فكما أن المعطاة للنديم هو أن يأخذ كأسا كذلك المراماه ترميها وترميه قال أصبت أرويت للحجاج شيئا ؟ قلت الاكثر قال أنشدني قوله (ارقنى طارق هم طارق) فمضيت فيها مضى الجواد تهدر أشداقي. فلا بلغت مدحه لبنى أمية ثنيت عنان اللسان لا مداحة للمنصور. قال: أعن عمد أو غير عمد ؟ فقلت بل عن عمد قال تركت كذبه إلى صدقه بما أصف المنصور من مجده. قال جعفر: بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف. ثم التفت إلى الرشيد وقال: أرويت لعدى ابن الرفاع ؟ قلت الاكثر قال انشدني قوله * بانت سعاد

فاخلفت ميعادها * فابتدرت بها تهدر أشداقي. فقال لى جعفر: يا هذا أنشد على مهل لن تنصرف إلا غانما. فقال الرشيد: هل قطعت على لتشركي في الجائزة ؟ قال: فطابت نفسي وقلت أفلا ألبس أردية البتة على العرب وأنا أرى الخليفة والوزير يتشاطران المواهب لى فتبسم ومضيت فيها. ثم قال: أرويت لذى الرمه شيئا ؟ قلت: الكثير قال أنشدني قوله * أمن حذر الهجران قلبك يطمح * فقلت هي عروس شعره. قال فأية لجهة قلت قوله: (ما بال عينك منها الماء ينسكب) ؟ قال: امض فيها فمضيت حتى انتهيت إلى وصفة جميلة. قال جعفر: تغنى علينا ما تسع من مسامرة الشين بجمل أجرب. فقال الرشيد: اسكت فهى التى سلبتك تاج

ملكك وإن عجتك عن قرارك، ثم جعلت جلودها سياطا لتضرب بها أنت وقومك عند الغضب. فقال جعفر: الحمد لله عوفيت من غير ذنب قال الرشيد: أخطأت في كلامك لو قلت أستعين الله قلت صوابا. إنما يحمد الله عزوجل ويستعان على الشدائد. ثم قال: إن لاجد مللا، وهذا جعفر ضيف عندنا فسامره في ليلتك فإذا أصبحت فان تابعي يلقاك بثلاثين ألف درهم ثم قام. وقربت إليه النعل فجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله. فقال: أرفق ويلك أحسبك قد عقرتني. فقال جعفر: قاتل الله العجم لو كانت سديه ما أحتاج أمير المؤمنين إلى هذه الكلفة. فقال، هذه نعلي ونعل أبائى ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره. فمضى. فقال جعفر: لو لا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يجوز أن آمر فيه بمثل ما أمر لك لامرت لك بثلاثين ألف درهم ولكن قد أمرت بتسعة وعشرين ألف درهم فإذا أصبحت فاقبضها فما صليت ظهر الغد إلا في منزلي وقد صرف لى المال فأيسرت ولازمتها، وزال ما كنت فيه من الضر وأتى الاقبال. وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: بلغني عن عمرو بن مسعدة أنه قال: كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى إذا نزلت الرقة قال يا عمرو، ما ترى الرجحى قد احتوى على الاهواز وهى سلة الخير وجميع المال قبله وطمع فيها وكتبه متصلة بحملها وهو يتعلل ويتربص بى الدوائر ؟ فقلت: أنا أكفى أمير المؤمنين هذا، وأنفذ من يضطره إلى حمل ما عليه. فقال: ما يقنعنى هذا. فقلت فيأمر أمير المؤمنين بأمره ؟ فقال فاخرج إليه بنفسك حتى تصفده بالحديد فتحمله إلى بغداد وتقبض على جميع ما في يده من أموالنا وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالا فقلت السمع والطاعة. فلما كان في غد دخلت عيله فقال ما فعلت فيما أمرتك به ؟ فقلت أنا على ذلك. قال أتريد أن تجئ في غد مودعا ؟ قلت السمع والطاعة. فلما كان في غد جئته مودعا فقال: أريد أن تحلف لى أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا فاضطربت من ذلك إلى أن حضنى واستحلفني أن لا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام فخرجت

حتى قدمت بغداد فلم أقم فيها إلا ثلاثة أيام وانحدرت في زلال أريد البصرة، وجعل لى في الزلال خيش واستكثرت من الثلج لشدة الحر، فلما صرت بين جرجاى وحبل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح يا ملاح ؟ فرفعت سجف الزلال وإذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافى القدمين خلق القميص فقلت للغلام أجبه فأجابه. فقال يا غلام أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التى ترى وقد أحرقتني الشمس وكادت تتلفنى وأريد حبل فاحملوني معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم. قال: فشتمه الملاح وانتهره فادركتني رقة عليه وقلت خذوه معنا فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه فلما صار

معنا في الزلال وانحدرنا نتقدم فدفعت إليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا، وعاد إلى الدنيا فحضر وقت الغذاء وتقدمت وقلت للغلام هاته يأكل معنا. فجاء وقعد على الطعام فأكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل. فغسلت يدى وتذممت أن أمر بقيامه فقلت قدموا له الطشت فغسل يده وأردت بعدها أن يقوم لانام، فلم يفعل فقلت يا شيخ: أي شئ صناعتك ؟ قال حائك أصلحك الله. فقلت في نفسي هذه الحياكة علمته سوء الادب فتناومت عليه ومددت رجلى فقال: قد سألتنى عن صناعتي وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت أنا جنيت على نفسي هذه الجناية ولابد من احتمالها أتراه الاحمق لا يرى زلالي وغلماني ونعمتي وأن مثلى لا يقال له هذا. فقلت كاتب: فقال كاتب كامل أو كاتب ناقص ؟ فإن الكتاب خمسة فأيهم أنت فورد على من قول الحائك موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته، وكنت متكئا فجلست ثم قلت: فصل الخمسة. قال: نعم. كاتب خراج: يحتاج أن يكون عالما بالشروط، والطسوت، والحساب، والمساحة، والبثوق، والفنون، والرتوق. وكاتب أحكام: يحتاج أن يكون عالما بالحلال، والحرام، والاحتجاج. والاجماع، والاصول، والفروع. وكاتب معونه: يحتاج إلى أن يكون عالما بالقصاص

والحدود، والجراحات، والمواثبات، والسياسات. وكاتب جيش: يحتاج أن يكون عالما بحلى الرجال، وشيات الدواب، ومدارات الاوليا وشيئا من العلم بالنسب، والحساب. وكاتب رسائل: يحتاج أن يكون عالما بالصدور، والفصول، والاطالة، والايجاز، وحسن البلاغة. والخط. قال فقلت: إنى كاتب رسائل. قال فاسألك عن بعضها ؟ قلت قل: فقال لى أصلحك الله: لو أن رجلا من إخوانك تزوج أمك فأردت أن تكاتبه مهنئا فكيف كنت تكاتبه. ففكرت في الحال فلم يخطر ببالى شئ، فقلت ما أرى للتهنئة وجها قال: فكيف تكتب إليه تعزيه ؟ ففكرت فلم يخطر ببالى شئ. فقلت أعفنى قال قد فعلت. ولكنك لست بكاتب رسائل. قلت أنا كاتب خراج. قال: لا بأس لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك فحلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا وحلفت الرعية بالله أنهم لقد جاروا وظلموا وقالت الرعية قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقفوا على قراح شكله قاتل قثاء كيف كنت تمسحه ؟ قلت: كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم أضربه في مثله. قال إن شكل قاتل القثاء أن يكون زاويتاه محدودتين وفى تحديده تقويس. قلت فأخذ الوسط فاضربه في العرض قال إذا ينثنى عليك العمود فأسكتنى. فقلت: ولست كاتب خراج. قال: فإذا ما أنت ؟ قلت: أنا كاتب قاض. قال أرأيت لو أن رجلا توفى وخلف أمرأتين حاملتين إحداهما حرة والاخرى سرية فولدت السرية غلاما والحرة جارية فعدت الحرة إلى ولد السرية فأخذته وتركت بدله الجارية فاختصما في ذلك فكيف الحكم بينهما قلت لا أدرى. قال: فلست بكاتب قاض، قلت: فأنا كاتب جيش. فقال: لا بأس أرأيت لو أن رجلين جاء إليك لتحليهما وكل واحد منهما إسمه واسم أبيه كاسم الآخر إلا أن أحدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق الشفة السفلى كيف كنت تحليهما ؟ قلت فلان الاعلم، وفلان الاعلم، قال إن رزقها مختلفان وكل واحد منهما يجئ في دعوة الآخر.

قلت لا أدرى. قال: فسلت بكاتب جيش. قلت: أنا كاتب معونة. قال: لا تبالي لو أن رجلين رفعا إليك قد شج أحدهما الآخر شجة موضحة، وشج الآخر شجة مأمونة كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت: لا أدرى. قال لست إذا كاتب معونة أطلت لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا. قال فصغرت إلى نفسي وغاظني فقلت: قد سئلت عن هذه الامور ويجوز أن لا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي فإن كنت عالما بالجواب فقل. فقال: نعم. إن الذى تزوج أمك فتكتب إليه أما بعد: فإن الامور تجرى من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم، بل هو تعالى مختار لهم ما أحب وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضها، وأن القبور أكرم الازواج وأستر العيوب والسلام. وأما قراح قاتل قثاء فتمسح العمود حتى إذا صار عدادا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة. وأما الجارية والغلام: فيوزن لبن الاثنتين فأيهما كان أخف فالجاريه له. وأما الجنديان المتفقا الاسمين فإن كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الاعلم، وإذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الافلح. وأما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية، ولصاحب المأمونة نصف الدية، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليغا فقلت: ألست زعمت أنك حائك ؟ فقال أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة وأنشأ يقول: ما مر بؤس ولا نعيم * إلا ولى فيهما نصيب فذقت حلوا وذقت مرا * كذاك عيش الفتى ضروب نوائب الدهر أدبتني * وإنما يوعظ الاديب قلت فما الذى بك من سوء الحال ؟ قال: أنا رجل كاتب دامت عطلتي، وكثرت عيلتى، وتواصلت محنتي، وقلت حيلتى، فخرجت اطلب تصرفا فقطع على الطريق فصرت كما ترى فمشيت على وجهى فلما لاح لى الزلال استغثت بك قلت فإنى قد خرجت إلى إلى متصرف جليل احتاج فيه إلى جماعة مثلك، وقد أمرت لك بخلعة حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك،

وتنفذ منها إلى عيالك، وتقوى نفسك بباقيها، وتصير معى إلى عملي فأوليك أجله فقال: أحسن الله جزاك إذا تجدني بحيث أسرك ولا أقوم مقام معذر إليك إن شاء الله، وأمرت بتقبيضه ما رسمت له فقبضه وانحدر إلى الاهواز معى فجعلته المناظر للرجحى والمحاسب له بحضرتي، والمستخرج لما عليه فقام بذلك أحسن قيام وعظمت حاله معى وعادت نعمته إلى أحسن ما كانت عليه. قال مؤلف هذا الكتاب: بلغني لعمرو بن مسعدة في زلاله هذا خلاف حدثنى به عبد الله بن الحسن العبسى وهو يذكر أن أهل أمه أقرباء لبنى مازنة الذين كانوا أبناء البصرة، وأهل النعم بها. قال. حدثنى أبى قال: سمعت شيوخا يتحدثون أن عمرو بن مسعدة كان مصعدا من واسط إلى بغداد في حر شديد وهو جالس في زلال، فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله عليك إلا نظرت إلى. قال: فكشفت سجف الزلال فإذا شيخ ضعيف حاف حاسى، فقال له: قد ترى ما أنا فيه ولست أجد من يحملني فابتغ الاجر في وتقدم إلى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم إلى أن أبلغ بلدا يطرحوني فيه. قال عمرو: فرحمته وقلت حذوه فأخذوه فغشى عليه، وكاد يموت لما لحقه من الشمس والمشى. فلما أفاق قلت له يا شيخ ما حالك، وقصتك ؟ فبكى وقال: قصتي طويلة. فسليته من بكائه وطرحت عليه قميصا ومنديلا، وأمرت له بدراهم فاستمسك وشكرني وحمد الله جلت عظمته فقلت له: لابد أن تحدثني بقصتك ؟ فقال: أنا رجل كانت لله على نعمة، وكنت صيرفيا فابتعت جارية بخمسمائة دينار فعشقتها عشقا عظيما فكنت لا أفارقها إلا ساعة واحدة، فإذا خرجت إلى الدكان أخذني الجنون والهيمان حتى أعود إليها فأجلس معها بقية يومى، فدام ذلك حتى تعطل دكاني وبطل كسبى، وأقبلت أنفق رأس مالى حتى لم يبق منه قليل ولا كثير، وأنا مع ذلك الحال لا أطيق أن أفارقها بقدر ما أقعد

في الدكان لا تعيش، وحبلت الجارية وأقبلت أنقض دارى وأبيع أنقاضها حتى فرغت من ذلك، ولم يبق لى حيلة وضربها الطلق فقالت لى:

يا هذا هو ذا أموت فاحتل ما تبتاع به عسلا ودقيقا وشيرجا وإلا مت. فبكيت وحزنت وخرجت على وجهى وجئت لاغرق في الدجلة، فذكرت حلاوة الروح والنفس وخوف العقاب في الآخرة، ثم خرجت على وجهى إلى النهروان، وما زلت أمشى من قرية إلى قرية حتى بلغت خراسان فصادفت من عرفني، فتصرفت في صناعتي ورزقني الله جلت عظمته، فأثريت واتسعت حالى وكتبت ستة وستين كتابا لاعرف خبر منزلي فلم يعد إلى الجواب فلم أشك أن الجارية قد ماتت فقطعت المكاتبة فتراخت السنون حتى حصل معى ما قيمته عشرون ألف دينار. فقلت: قد صارت لى نعمة فلو رجعت إلى وطنى، فابتعت بالمال كله متاعا من خراسان وأقبلت أريد العراق من طريق فارس والاهواز فلما حصلت بينهما خرج على القافلة اللصوص فأخذوا جميع ما فيها ونجوت بثيابي وعدت فقيرا كما خرجت من بغداد. فدخلت الاهواز وبقيت فيها متحيرا حتى كشفت خبرى لبعض أهلها ممن لا أعرفه فأعطاني ما تحملت به إلى واسط، ونفدت نفقتى فمشيت إلى هذا الموضع وقد كدت أتلف فاستغثت بك، ولى منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة. فعجبت من محنته ورفقت به وقلت له: إذا صرنا إلى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر إلى فإنى آمر بتصريفك فيما يصلح لمثلك مما تعيش. فشكر ودعا لى، ودخلت بغداد ومضت على ذلك مدة نسيته فيها. فبينما أنا يوما قد ركبت أريد دار المأمون، فإذا بالشيخ على بابى راكبا بغلا فارها بمركب محلى ثقيل وغلامين أسودين بين يديه كأنهما مماليكه، وثياب حسنة فلما رأيته رحبت به وقلت له ما الخبر ؟ فقال: طويل. فقلت عد إلى فلما كان من الغد جاءني فقلت له. عرفني خبرك، فقد سررت بحسن ظاهر حالك، فقال: إنى لما صعدت من زلالك قصدت دارى فوجدت حائطها الذى يلى الطريق كما خلفت غير أن باب الدهليز مجلو نظيف وعليه دكتان وبغال مع شاكرية. فقلت: إنا لله ماتت جاريتي ويملك الدار بعض الجيران فباعها لرجل من أصحاب السلطان فقدمت على رجل بقال كنت أعرفه في المحلة فإذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون من فلان البقال ؟ فقال: ابنه. فقلت: ومتى مات أبوك ؟ قال منذ عشرين

سنة. قلت هذه الدار لمن ؟ قال لابن داية أمير المؤمنين وهو الآن صاحب جهبذة وصاحب بيت ماله. فقلت بمن يعرف ؟ قال بابن فلان الصيرفى فسماني. فقلت: هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار أبيه. فقلت وهل يعيش أبوه ؟ قال: لا. قلت أفتعرف عن حديثهم شيئا ؟ قال: نعم. حدثت أن هذا الرجل كان صيرفيا جليلا وافتقرو أن أم هذا الفتى ضربها الطلق فخرج أبوه يطلب لها شيئا ففقد وهلك. فقال أبى: فجاءني رسول أم هذا الغلام تستغيث بى فقمت لها بحوائج الولادة. ودفعت لها عشرة دراهم فما أنفقتها حتى قيل قد ولد لامير المؤمنين الرشيد مولود وقد عرض عليه جميع المراضع فلم يقبل ثديهن، وقد طلب له الحرابر فجاؤه بغير واحدة فما أخذ ثدى واحدة منهن وهم في طلب مرضع فأرشدت الذى طلب الداية إلى أم هذا، فحملت إلى دار الرشيد وحين وضع فم الصبى على ثديها قبله فأرضعته. وكان الصبى هو المأمون وصارت عندهم في حالة جليلة، ووصل إليها منهم خير عظيم. ثم خرج المأمون إلى خراسان فخرجت

هذه المرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف أخبارهم إلا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت حاشيته، وقد رأينا هذا قد جاء رجلا وأنا لم أكن رأيته قط. وقد كان أبى قد مات فقالوا: هذا ابن فلان الصيرفى وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها. فقلت له: أفعندك علم من أمه أهى حية أم ميتة ؟ فقال: هي حية تمضى إلى دار الخليفة أياما وتكون عند ابنها أياما وهى الآن هنا. فحمدت الله على هذه الحالة وجئت حتى دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن، وفيه مجالس كثيرة مفروشه بفرش ظاهرة، وفى صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم، وفى ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الاموال والتخوت والشواهين، يقبضون ويقبضون، وبصرت بالفتى فرأيت شبهي فيه. فعلمت أنه ابني فجلست في غمار الناس إلى ان لم يبق في المجلس غيرى فأقبل إلي فقال: يا شيخ هل من حاجة تقولها ؟ قلت: نعم، ولكنها لا يجوز أن يسمعها غيرك. ثم أومأ إلى غلمان كانوا قياما حوله فانصرفوا فقال: قل أعزك الله. قلت أنا أبوك. فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني

بحرف ووثب مسرعا وتركني في مكاني فلم أشعر إلا بخادم قد جاءني وقال: قم يا سيدى. فقمت معه حتى بلغت ستارة منصوبة في دار لطيفة وكرسي بين يديه والفتى خارج الستارة على كرسى آخر فقال أجلس أيها الشيخ. فجلست على الكرسي ودخل الخادم فإذا بحركة خلف الستارة فقلت: أظنك تريد أن تختبر صدق قولى من جهة فلانة ؟ وذكرت اسم جاريتي أمه. فإذا أنا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت إلى وجعلت تقبلني وتبكى وتقول: مولاى والله. قال فرأيت الفتى قد بهت وتحير فقلت للجارية ويحك ما خبرك ؟ فقالت: دع خبرى ففى مشاهدتك لما تفضل الله جلت عظمته على كفاية عن أن أخبرك. فقل ما كان خبرك أنت ؟ قال فقصصت عليها خبرى منذ خروجي من عندها إلى يومى ذلك وقصيت ما كان قصه على ابن البقال وشرحت ذلك كله بحضرة الفتى ومستمع منه. فلما استوفى الحديث خرج وتركني في مكاني فإذا بخادم قال: يا مولاى يسألك ابنك أن تخرج إليه. قال فخرجت فقال لى: معذرة إلى الله واليك يا أبت من تقصيري في حقك، فإنه جاء أمر لم يظن مثله يكون، فالآن هذه النعمة لك، وأنا ولدك وأمير المؤمنين يجتهد بى منذ دهر أن أترك الجهبذة وأتوفر على خدمته فما فعلت تمسكا بصنعتي، والآن فإنى أسأله أن يرد عملي اليك وأخدمه أنا غيرها عاجلا وأصلح أمرك. فأخذت إلى الحمام وتطيبت وجاؤني بخلعة لبستها، وخرجت إلى حجرة والدته فجلست فيها ثم انه أدخلني على أمير المؤمنين وحدثه حديثى ثم انه امر لى بخلع وهى هذه ورد إلى العمل الذى كان لابنى وأجرى لى في كل شهر من الرزق. كذا، وكذا. وقلد ابني أعمالا هي أجل من عمله. وأضعف لى أرزاقه فجئت لاشكرك على ما عاملتني به من الجميل، وأعرفك بتجدد النعمة. قال عمرو: فلما أسماني الفتى عرفته وعلمت أنه ابن داية أمير المؤمنين كما قال: وحدثني محمد بن عبد الله بن الحسين السقطى، قال: حدثنى محمد بن زكريا الانصاري، قال: غلست يوما إلى الربد أريد مسجد الزيادتين بشارع المربد

لوعد كان على فيه وكانت الريح قوية وبين يدى بأذرع رجل يمشى، فلما بلغنا دار رياح قلعت الرياح ستر آجر وجصا على رأس حائط فرمت بها عليه فلم أشكك في اتلافه، وأرتفعت غبرة عظيمة أفزعتني

فرجعت، فلما سكنت عدت أسلك الطريق، ولم أر الرجل فعجبت وتممت طريقي حتى دخلت مسجد الزيادتين فرأيت أهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رأيت في طريقي متوجعا للرجل وشاكرا لله تعالى سلامتي. فقال رجل منهم يا أبا الخطاب: أنا الذى وقعت على السترة وذاك أنى قصدت هذا المسجد لما وعدت، فلما سقطت السترة ولم أحس لها بضرر لحقني ووجدت نفسي سالما قائما فحمدت الله تعالى، وتحيرت ووقفت حتى انجلت الغبرة، فتأملت الصورة فإذا في السترة باب كبير وقد اتفق أن وقع راسى وسائر جسدي في موضع الباب فخرجت منه وسقطت باقى السترة حوالى فلم يضرني شئ فتخطيت على المنهدم وسبقتك إلى هاهنا * وحدثني: أن الفتح بن خاقان اجتاز على بعض القناطر وهو متصيد وقد انقطع عن عسكره وانخسفت القنطرة من تحته فغرق فرآه اكار وهو لا يعرفه فطرح نفسه عليه وخلصه، وقد كان أن يتلف ولحقه أصحابه فأمر للاكار بمال عظيم وتصدق بمثله فدخل عليه البحترى فأنشده قصيدته التى أولها: * متى لاح برق أو بدا طلل قفر * إلى أن قال: لقد كان يوم النهروان عظيمة * أطلت ونعما جرى بهما الدهر أجزت عليه عابرا فتشاعبت * أواديه لما أن طغى فوقه البحر وزالت أواخر الجسر وانهدمت به * قواعده الظلماء وما ظلم الجسر فما كان ذلك الهول إلا عناية * بدا طالعا من تحت ظلمانها البدر فان ننس نعمى الله فيك فحظنا * أضعنا وأن نشكر فقد وجب الشكر فقال له الفتح: الناس يهنونا بنثر وأنت بنظم وأجزل صلته. وحدثني أبى بكر محمد بن عبد الله الرازي المعروف بابن حمدون، عن الحسن بن محمد الانباري الكاتب. قال: كان لى أيام مقامي بارجان رجل

تاجر يعرف بجعفر بن محمد فكنت آنس به يحدثنى قال: كنت أحج دائما وأنزل بالكوفة على رجل حسيني فقير مستور فألطفه وافتقده فتأخرت عن الحج سنة ثم عدت فوجدته مثريا فسألته عن سبب غنائه فقال: كان قد اجتمع معى دريهمات على وجه الدهر ففكرت عام أول في أن أتزوج فإنى كنت عزبا كما علمت، ثم قلت على فرض الحج قد تعين على فرأيت أن أقدم أداء الفروض وأتوكل ان الله تعالى إن سهل لى بعد ذلك ما أتزوج به. فلما حججت طفت طواف الدخول فأودعت رحلى وما كان معى بيتا من خان وقفلت بابه وخرجت إلى منا، فلما عدت وجدت الباب مفتوحا فارغا فتحيرت ونزلت بى شدة ما رأيت مثلها قط. فقلت هذا أمر عظيم لثوابي فما وجه الغم، واستسلمت لامر الله تعالى وجلست في البيت لا حيلة لى ولا تطيب نفسي بالمسألة فاتصل مقامي ثلاثة أيام ما طعمت فيها شيئا فلما كان في اليوم الرابع بدا بى الضعف سحرا، وخفت على نفسي وذكرت قول جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له. فخرجت حتى شربت منها ورجعت لاريد الباب باب إبراهيم لاستريح فيه، وكان في الطريق بقية من سدفة فعثرت في الطريق بشئ أوجع أصبعي فانكببت عليه لامسكه فوقعت يدى على هميان ادم أحمد كبير فأخذته فلما حصل في يدى ندمت وعلمت أن اللقطة حرام، وقلت إن تركته الآن كنت المضيع له، وقد لزمنى أن أعرفه ولعل صاحبه إذا رجع إليه أن يهب لى شيئا أقتاته حلالا. فجئت إلى بيتى وحللته في المصباح فإذا هي دنانير صفر تزيد على ألف دينار فشددته ورجعت إلى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع منه شى فليأتني بعلامته ويأخذه. فانقضى يومى أنادى ما جاءني أحد، وأنا على حالى في الجوع وبت في بيتى ليلتى كذلك، وغدوت إلى الصفا والمروة فعرفته عندهما يومى حتى كان ينقضى فلم يأتنى أحد فضعفت ضعفا شديدا فخشيت على نفسي فرجعت متحاملا مقبلا حتى جلست على باب إبراهيم فقلت قبل انصراف الناس قد ضعفت عن الصياح، وأنا ماض اجلس على باب

إبراهيم فمن رأيتموه يطلب شيئا قد ضاع منه فارشدوه إلى، فلما قربت المغرب وأنا في

الموصع إذا بخراسانى مجتاز ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف ما ضاع منك ؟ فأعطاني صفة الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت: إن أرشدتك إلى من يعطيك إياه تعطيني مائة دينار ؟ قال: لا. قلت فخمسين. قال: لا. فلم أزل أنازل إلى أن بلغت إلى دينار واحد فقال لا إن أراد من هو عنده إيمانا واحتسابا وإلا فهو الضر وولى لينصرف، فورد على أعظم وارد وهممت بالسكوت، ثم خفت الله تعالى وأشفقت أن يفوتنى الخرساني فصحت به ارجع. فرجع فأخرجت الهميان فدفعته إليه فمضى فجلست ومالى قوة على المشى إلى بيتى فما غاب عنى حينا حتى عاد فقال لى من أي البلاد أنت ؟ ومن أي الناس أنت ؟ فاغتظت منه غيظا عظيما فقلت وما عليك هل بقى لك عندي شئ ؟ قال: لا. ولكني أسألك بالله العظيم من أي الناس والبلاد أنت تعرفني ولا تضجر فقلت: من أهل الكوفة. فقال: ومن أيهم أنت ؟ واختصر. قلت: رجل من ولد الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام فقال ما حالك ومالك ؟ فقلت ما أملك من الدنيا شيئا إلا ما تراه على وقصصت عليه قصتي وما كنت طمعت فيه من صلاحها بما تعطينيه من الهميان، وما انتهيت إليه من الضعف وشدة الجوع. فقال أريد أن تعرفني صحة نسبك وحالك حتى أقوم بأمرك كله. قلت: ما أقدر على المشى لشدة الضعف ولكن اعرض الطواف وصح بالكوفيين وقل رجل من بلدكم علوى بباب إبراهيم يريد الجيئة بينكم من ينشط لحال هو فيها فمن جاء معك فهاته فغاب غير بعيد وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق أنهم كلهم يعرفون باطن حالى فقالوا: ما تريد أيها الشريف ؟ فقلت هذا رجل يريد أن يعرف حالى ونسبي لشئ بينه وبينئ فعرفوه ما تعرفونه من صحة نسبي فوصفو له طريقتي وعزمي فمضى وجاء وأخرج الهميان بعينه كما كنت سلمته له فقال: يا هذا خذ هذا بأسره بارك الله لك فيه: فقلت: ما يكفيك ما عاملتني به حتى تستهزئ بى، وأنا في حال الموت: فقال: معاذ الله هو والله لك. فقلت فلم بخلت على بدينار منه ثم وهبت الجميع لى. فقال: ليس الهميان لى فما كان لى أن أعطيك منه شيئا قل أم كثر، وإنما أعطانيه رجل من بلدي وسألني أن أطلب

بالعراق أو بالحجاز رجلا علويا حسينيا فقيرا مستورا فإذا علمت هذا من حاله أغنيته بأن أسلم إليه هذا الهميان كله ليصير أهلا لنعمة تنعقد له فلم تجتمع لى هذه الصفة في أحد، فلما أجتمعت فيك لما شاهدته من الامانة والفقر والعفة والصبر، وصح عندي نسبك أعطيتك إياه فقلت: إن كنت تحب استكمال الاجر فخذ منه دينارا وابتع لى دراهم واشتر لى منها ما آكله وصر به الساعة إلى هاهنا. فقال لى اليك حاجة فقلت: قل. فقال: أنا رجل موسر والذى أعطيتك ليس لى فيه شئ كما عرفتك، وأنا أسألك أن تقوم معى إلى رحلى فتكون في ضيافتي إلى الكوفة وتتوفر دنانيرك عليك. فقلت ما بى حركة فاحتل في حملي كيف شئت فغاب وجاء بمركوب فأركبنيه إلى رحله وأطعمني في الحال ما كان عنده وقطع لى من الغد ثيابا وكان يخدمني بنفسه، وعادلنى في عماريته إلى الكوفة فلما بلغنا أعطاني من عنده دنانير أخرى وقال لى ضفها على ما عندك قال وفارقته وأنا أدعو إليه وأشكره ولم أمس الهميان بل أنفق من الدنانير

التى أعطانيها الرجل باقتصاد إلى أن اتفقت لى ضيعة رخيصة فابتعتها بما في الهميان فأغلت وأثمرت وأنا بعافية.

الباب الثامن من أشفى على أن يقتل * فكان الخلاص إليه أعجل وجدت في كتاب أبى الفرج المخزومى الحنطى: أن إبراهيم بن المهدى لما طال استتاره عن المأمون ضاق صدره فخرج ليلة من موضع كان مستخفيا فيه يريد موضعا آخر في زى امرأة، وكان عطرا فعرض له حارس فلما شم رائحة الطيب ارتاب به فكلمه، فلما علم أنه رجل ضبطته فقال خذ خاتمي فثمنه ثلاثون الف دينار وخلنى فأبى وتعلق به فحمله إلى صاحب الشرطة فأتى به المأمون فلما دخل عليه بالحالة التى هو عليها جلس المأمون مجلسا عاما وقام خطيب بحضرته يخطب بفضله وما رزقه الله جلت عظمته من الظفر بابراهيم، ولما دخل إبراهيم بين يديه سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام. فقال إبراهيم، يا أمير المؤمنين إن ولى الثار محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناولته يد الاقدار بما مدله من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعل الله عفوك فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذى ذنب دوني، فإن تؤاخذ فبحقك وإن تعفو فبفضلك ثم قال: ذنبي إليك عظيم * وأنت أعظم منه فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه إن لم أكن في فعالى * من الكرام فكنه وقال أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل فإن عفوت فمن * وإن جزيت فعدل فرق له المأمون وأقبل على أخيه أبي إسحق وابنه العباس والقواعد وقال ما ترون في أمره ؟ فقال بعضهم يضرب عنقه. وبعضهم قال: يقصص لحمه إلى أن يتلف. وبعضهم قال تقطع أطرافه ويترك إلى أن يموت. فكل أشار بقتله وإنما اختلفوا في الصفة فقال المأمون لاحمد بن أبى خالد ما تقول أنت يا أحمد ؟

فقال يا أمير المؤمنين: إن قتلته وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيرا، وإن عفوت لم نجد مثلك عفى عن مثله فأيما أحب اليك أن تفعل فعلا تجد لك فيه شريك أو تنفرد بالفضل ؟ ! فأطرق المأمون مليا ثم رفع رأسه. فقال: أعد ما قلت يا أحمد ؟ فأعاد فقال بل منفرد بالفضل ولا رأى لنا في الشركة فكشف إبراهيم المقنعة عن رأسه وكبر تكبيرة عالية وقال قد عففى والله أمير المؤمنين بصوت كاد الايوان أن يتزعزع، وكان إبراهيم طويلا ادم جعد الشعر جهير الصوت فقال له المأمون: لا بأس عليك يا عم وأمر بحبسه في دار أحمد بن أبى خالد فلما كان بعد شهر أحضره المأمون فقال اعتذر من ذنبك. فقال يا أمير المؤمنين ذنبي أجل من أن أتفوه فيه بعذر، وعفو أمير المؤمنين أعظم من أن أنطق بشكر ولكني أقول: تفديك نفسي أن تضيق بصالح * والعفو منك بفضل خلق واسع إن الذى خلق المحارم حازها * في صلب آدم للامام السابع ملئت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم أشفع اليك بشافع ورحمت أطفالا كافراخ القطا * وحنين والدة يقلب جازع فقال المأمون: لا تثريب عليك يا عماه قد عفوت عنك فاستأنف الطاعة ورد ماله وضياعه فقال إبراهيم يشكره رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى أمنت منك وقد خولتني نعما * نعم الحياتان من موت ومن عدمي فلو بذلت دمى أبغى رضاك به * والمال حتى اسل النعل عن قدمى ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعرها كنت لم تلم وقام علمك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم فقال المأمون: إن من الكلام كلاما كالدر وهذا منه. وأمر له بخلع ومال قيل انه ألف الف درهم. وقال له

إن أبا إسحاق وولدى أشارا بقتلك. فقال إبراهيم فما قلت لهما يا امير المؤمنين ؟ قال قلت لهما إن قرابته قوية ورحمه ماسة وقد ابتدأنا بأمر فينبغي أن نستتمه فان نكث فالله مغير ما به. قال إبراهيم:

لقد نصحنا لك ولكن أبيت إلا ما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت، فقال المأمون: قد مات حقدى بحيات عذرك، وقد عفوت عنك وأعظم من عفوى عنك أنى لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين * ووجدت في بعض الكتب أنه لما حصل إبراهيم بن المهدى في قبضة المأمون لم يشكك هو وغيره أنه مقتول فأطال حبسه في مطمورة بأسوأ حال وأقبحها. قال إبرهيم: فآيست من نفسي ووطنتها على القتل وتعزيت عن الحياة حتى صرت أتمنى القتل للراحة من العذاب وما أؤمله في الآخرة من حصول الثواب فبينما أنا كذلك إذ دخل على أحمد بن أبى خالد مبادرا فقال: اعهد فقد أمرنى أمير المؤمنين بضرب عنقك. فقلت أعطني دواتا وقرطاسا فكتبت وصية ذكرت فيها كلما احتجت إليه واسندتها إلى المأمون ونهضت فتطوعت ركعات ومضى أحمد وفرغت من الصلاة وجلست أتوقع القتل فعاد إلى أحمد بعد ساعتين وقال أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول أنا أحمد الله جلت عظمته الذى وفقني لصلة رحمك والصلح وقد أمنك ورد عليك نعمك وجميع ضياعك وملكك فانصرف إلى دارك. قال: فبدأت أدعى للمأمون فغلبني البكاء والانتحاب وهو يطالبني بالجواب وأنا غير متمكن منه. فقال لى أحمد: لقد رأيت منك عجبا أخبرك انى امرت بضرب رقبتك فلم تجزع، ولم تبك ثم اخبرتك بتفضل امير المؤمنين عليك وصفحه عنك فلم تتمالك من البكاء ؟ فقال: اما السكوت عن الخبر الاول فلاني لم اتوهم منذ ظفر بى ان اسلم من القتل، فلما ورد على ما لم اشك فيه لم اجزع ولم ابك واما بكائى عند الخبر الثاني فو الله شأنه ما هو لسرور بالحياة، ولا لرجوع النعمة ولا بكائى إلا لما كان منى في قطيعة رحم من بعد استحقاقي منه للقتل يخولنى مثل هذا الصلح الذى لم يسمع به في جاهلية ولا إسلام. فقد استحق امير المؤمنين الثواب من الله تعالى في صلة رحمه وإظهاره إحسانه عند إساءتى وحلمه عند جهلي، وفضله عند نقضى وجوابي هو ما شهدت وسمعت. فرجع إلى المأمون واخبره ثم عاد إلى بالمال والخلع ومركوب فانصرفت به إلى دارى ونعمتي * وقال على ابن هشام بن قبراط الكاتب ببغداد بإسناد ذكره يحدث عن احمد بن يوسف الكاتب قال كنت اشرب مع المأمون وانادمه وانا اتقلب له في ديوان المشرق وديوان الرسائل قبل وزاتى له وكان كثيرا ما انادمه على

الانفراد وربما يجمع بينى وبين البريدى، فلما رضى عن ابراهيم بن المهدي ونادمه صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيري ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستاير وربما حضر اسحق بن ابراهيم الموصلي فنحن ذات يوم على شرب ومعنا اسحاق إذ غنى ابراهيم بن المهدى فقال: صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها أيام من غلبا فاستعاده المأمون مرارا وبان لى في وجهه الغيظ والغضب والهم وزوال الطرب ولم يفطن ابراهيم وترك المأمون القدح الذى كان في يده ونهض فظنناه يريد الوضوء ثم عاد فما شعرنا إلا وقد استدعانا إلى مجلس آخر فإذا هو جالس على سرير الخلافة بقلنسوة وثياب الهيبة وبين يديه اسحاق بن ابراهيم المصعبى وجلة القواد فاستدعى ابراهيم بزيه فحضر باخس صورة وأقبحها وعليه

ثياب المنادمة يفضحه بذلك. فلما وقف بين يديه قال: يا ابراهيم ما حملك على الخروج علي والخطبة لنفسك بالخلافة ؟ قال أحمد بن يوسف وقد كنت لما أبطأ المأمون عن مجلس الشرب عرفت الصورة، فلما استدعاني جئت وقد لبست ثياب العمل ومحيت ثياب المنادمة، فلما سئل ابراهيم ذلك بمثل ذلك المجلس علمت أن الصوت قد ذكره، فأقبل عليه إبراهيم بوجه ضيق وقلب ثابت فقال يا أمير المؤمنين: لست اخلو من أن أكون عندك عاقلا أو جاهلا، فان كنت جاهلا فقد سقط عنى اللوم من الله تعالى ثم منك. وإن كنت عاقلا فيحسن أن تعلم أنى قد علمت أن محمدا أخاك مع أمواله وذخائره وأموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والاعمال التى كانت في يديه وارتفاعها ومحبة بنى هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وأنت أمير من أمرائه، فكيف أثبت أنا لك وأنا في قوم أكثر رزق الرجل ثلاثون درهما في الشهر وقد غلبنى على بغداد بن أبي خالد العياد وأصحابه يقطعون ويضربون ويحبسون ويطلقون، ووالله جل شأنه، وحق رسول الله وحق جدى العباس ما دخلت فيما دخلت فيه إلا لابقى هذا الامر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت الحسن ابن سهل قد حمله البطر والرفض على أن يخرج الخلافة عنك، فاردت ضبط الامر إلى أن أتقدم فتسلمته. قال: فرأيت المأمون وقد اصفر وجهه فقال

على بيناء الخادم. فاحضر فقال رقعة سلمتها اليك بمرو قبل رحيلي عنها وأمرتك بحفظها فهاتها فمضى وجاء بسفط ففتحه وأخرج منه الرقعة فإذا مكتوب بخط المأمون لئن أظفرني الله عزوجل بابراهيم بن المهدي لاسألنه بحضرة الاولياء والخاصة من أهل بيتي وأجنادى عن السبب الذى دعاه إلى الخروج على فان ذكر أنه إنما أراد بذلك حفظ الامر على أهل بيتى لما جرى في أمر على بن موسى لاخلين سبيله ولاحسن إليه، ولئن ذكر غير ذلك من العذر كائنا ما كان لاضربن عنقه. قال أحمد بن يوسف: ولم يكن بحضرته كاتب غيرى فدفعها إلى وقال يا أحمد ادفعها إليه. ثم قال يا عم خذ براءتك من أحمد وعند إلى مجلسك الذى خلفتك فيه. قال فسلمنا الرقعة إليه وعدنا إلى مجلسنا وموضعنا فطرح ابراهيم نفسه مغشيا عليه فما شعرنا إلا بالمأمون قد رجع بثياب بذلته فقمنا وجلس مجلسنا وقال: ارجعوا إلى ما كنا فيه وأتممنا يومنا ذلك. وجدت في بعض الكتب ان كسرى ابرويز ركب يوما فرسه الشبندير فتلكأ عليه فجذب عنانه فانقطع فأحضر صاحب السروج وقال: يكون عنان مثلى ضعيفا ينقطع اضربوا عنقه. فقال أيها الملك: اسمع وانصف. قال: قل. قال: ما بقاء جلدة تنازعها ملكان ملك الناس وملك الدواب، قال: زه. زه أطلقوا عنه وأعطوه اثنى عشر ألف درهم وعفا عنه * وذكر محمد ابن عبدوس في كتابه قال. لما صار الرشيد إلى طوس واشتدت علته اتصل خبره بالامين فوجد ببكر بن المعتمر ودفع إليه كتابا إلى الربيع بن الفضل واسماعيل بن صبيح وغيرهما يأمرهم بالقفول إلى بغداد إن حدثت الحادثة بالرشيد والاحتياط على ما في الخزائن وحمله، وقد كان الرشيد جدد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره من مال وأثاث وخزن وكراع وغير ذلك فلما ورد بكر بن المعتمر أوصل كتبا ظاهرة كانت معه بعيادة الرشيد، وكانت الكتب الباطنة مخفاة فاتصل خبرها بالرشيد فأحضره وطالبه بالكتب الباطنة فجحدها. قال: فذكر عبيدالله بن عبد الله بن طاهر. قال: حدثنى أبى قال:

كنت مع الرشيد بطوس لما ثقلت علته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون حينئذ بمرو، وقد ظفر الرشيد بأخى رافع بن الليث. فأحضر

ذلك اليوم ومعه قرابة له فخلع الرشيد على بكر وصرفه إلى منزله. ثم أمر بإحضاره ومطالبته بالكتب فجحدها فأمر بحبسه ثم جلس الرشيد مجلسا عاما في مضرب خز أسود، استدارته أربعمائة زراع، وقبابه مغشاة بخز أسود وهو جالس في فازة خز أسود في وسط المضرب، والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة، والاوتاد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وعليه فتك قد استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعلة، وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفتك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لما به وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه، والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال للفضل: مر بكرا باحضار ما معه من الكتب السرية فأنكرها وقال: ما كان معى إلا الكتب التى أوصلتها. فقال للفضل: توعده وأعلمه ان لم يفعل قتلته فأقام ينكر وقال: ما كان معى إلا الكتب التى أوصلتها. فقال الرشيد بصوت: قنبوه. فنحى بكر وجئ بالقنب وقنب من قرنه إلى قدمه. قال بكر: فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الاقرار فأنا على ذلك حتى أحضر هارون أخى رافع وقرابته الذين كانوا معه وقال أيتوهم رافع أنه بغلبنى والله لو كان معه عدد نجوم السماء لالتقطهم واحدا بعد واحد حتى أقتلهم عن آخرهم، فقال الرجل: الله الله يا أمير المؤمنين فان الله تعالى يعلم، وأهل خراسان أنى برئ من أخى منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق الله تعالى في وفى هذا الرجل. فقال له قطع الله لسانك. فسكت فقال: آخى الثالث أنت والله منذ كذا وكذا تدعو الله تعالى بالشهادة فلما رزقنها على يدى أشر خلقه أخذت في الاعتذار فاغتاظ الرشيد وقال: على بجزارين فقال له قرابتي يا هارون. إفعل ما شئت. فانا نرجو أن نكون نحن وأنت بين يدى الله تعالى في أقرب مدة فتعلم كيف يكون حالك. فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضوا عضوا فو الله ما فرغ منهما حتى توفى الرشيد. فقال بكر وأنا أتوقع القتل بعدهما

حتى أتانى غلام لابي العتاهية قد بعث به مولاه، وكتب في راحته شيئا أرانيه فإذا هو: هي الايام والعبر * وأمر الله ينتظر أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر فوثقت بالله، وقويت نفسي. ثم سمعت واعية لا أفهم معناها فإذا الفضل بن الربيع قد أقبل إلى فقال: حلوا أبا حامد ليس هذا يكفيني فحللت ودعا لى بخلع فجعلت على ثم قال: أعظم الله أجرك في أمير المؤمنين وأخذ بيدى، وأدخلني بيتا فإذا الرشيد مسجى فيه، وكشفت عن وجهه فلما رأيته ميتا سكتت. فقال: هيه هات الكتب الباطنة التى معك، وكنت اتخذت صندوقا للمطبخ قد ثقبت قوائمه وجعلت الكتب فيها، وجعلت الجلد فوقها، فشق الجلد وكسرت القوائم وسلمت الكتب إلى أصحابها، وأخذت الاجوبة وانصرفت * قال مؤلف هذا الكتاب: وقد أتى أبو الحسين القاضى في كتابه بهذين البيتين لابي العتاهية، ولم يذكر القصة وزاد بين البيت الاول والبيت الثاني بيتا، وهو هذا: فلا تجزع وإن عظم البـ * لاء ومسك الضر حدثنى إبراهيم بن على النصيبى المتكلم قال: جماعة من أهل نصيبين: إنه كان بها أخوين ورثا عن أبيهما مالا جليلا، فاقتسماه فأسرع أحدهما في انفاق حصته فلم يبق له شئ حيت احتاج إلى ما في أيدى الناس، وثمر الآخر حصته فزادت وعرض له سفر في تجارته. فجاءه أخوه الفقير فقال يا أخى: إنك تحتاج إلى أن تستأجر غلاما في سفرك، وأنا أحتاج أن أخدم الناس فاجعلني بدل غلام تستأجره، فيكون ذلك أصون لى ولك. فلم يشك الاخ أن أخاه قد تأدب، وأن هذا أول إقباله، وآثر أن يصون أخاه، ورق عليه فأخذه معه. فكان للاخ الغنى حمار يركبه، وقد استأجر بغالا لاحماله فركب أخوه أحدها والمكارى أحدها، وساروا فلما استتم بهم السفر حصلوا في جبل في الطريق فيه عين ماء فقال

الاخ الفقير للاخ الغنى لو نزلت هاهنا وأرحنا دوابنا وسقيناها من هذا الماء وأكلنا ثم ركبنا. فقال: افعل فنزل التاجر

على باب الكهف الذى في الجبل وأدخل متاعه إليه وبسط السفرة ليأكل، وأخذ أخوه الفقير والمكارى الدواب ومضيا ليسقياها وانتظر التاجر أخاه والمكارى فاحتبسا طويلا. ثم جاء أخوه وحده وشد الدواب فقال له: أين المكارى ؟ فقال له: قد أقام في الجبل فقال له: تعالى نأكل. فتركه ومضى، ثم عاد يسعى إليه وبيده أحجار يرميه بها ويقول لاخوه: استكتف يا ابن الفاعلة. فقال: ويحك مالك ما تريد ؟ فقال: أريد قتلك يا ابن الفاعلة أخذت مال أبى وعملته تجارة لك، وجعلتني غلامك قال ورفسه فألقاه على ظهره ثم أوثقه كتافا، وأثخنه ضربا بالحجارة وشجا وصاح الرجل فلم يجبه أحد فبرك أخوه الفقير على صدره، وأخرج من وسطه سكينا عظيما في قراب لها ليذبحه فرام استخراجها من القراب فتعسرت عليه فقام عن صدر أخيه وعلى يده اليسرى السكين في قرابها، وجذبها بيده اليمين وقد صار القراب من خلفه فخرجت السكين بحمية الجبدة فذبحته فوقع يخور في دمه وينزف إلى أن مات، وجفت يده على السكين بعد موته، وهى فيها وحصل على تلك الصورة وأخوه الغنى مشدود لا يقدر على الحركة والسفرة منشورة والطعام عليها، والدواب مشدودة. فأقام على تلك الصورة بقية يومه وليلته وقطعة من غد فاجتازت قافلة على المحجة، وكان بينها وبين الكهف بعد فأحست البغال بالدواب المجتازة، ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال أرسانها فقلعت وعادت تطلب الدواب القادمة فلما رأى أهل القافلة دوابا غائرة ظنوا أنها لقوم قد أسرهم اللصوص، وكانوا في منعة فتسارعوا إلى البغال فلما قصدوها رجعت تطلب موضعها وتبعها قوم من أهل القافلة فانتهوا إلى التاجر، وشاهدوه مكتوفا والسفرة منشورة والاخ مذبوحا وبيده السكين فشاهدوا عجبا واستنطقرا الرجل فأومأ إليهم أنه لا قدرة لى على الكلام فحلوا كتافه وسقوه ماء، وأقاموا عنده إلى أن أفاق، وقدر على الكلام وأخبرهم الخبر فطلبوا المكارى فوجدوه غريقا في الماء قد أغرقه الاخ الفقير فحملوا ثقل التاجر على بغاله، وأركبوه حماره وسيروه معهم إلى المنزل * وحدثني ابراهيم ابن على النصيبى قال: حدثنى ابراهيم بن على الصفار شيخ كان جارا

لنا بنصيبين قال: خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته عن أبى أقصد به عباس بن عمرو السلمى أمير ديار ربيعة، وهو براس العين لاهديه له، واستجديه بذلك، فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الاعراب فسألني عن أمرى، فآنست به فحدثته الحديث، وكنا قد قربنا من العين فدخلناها وافترقنا، وكان يجيئنى ويراعيني، ويظهر لى أنه مسلم على وأنه يبرنى بالقصد ويسألني عن حالى، فأخبرته أن الامير قبل هديتي وأجاز لى بألف درهم وثياب، وإنى أريد الخروج يوم كذا وكذا. فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد راكبا حمارا، فلما أصحرت إذا بالشيخ على دويبة ضعيفة متقلدا سيفا، فحين رأيته استربت منه وأنكرته، ورأيت الشر في عينيه، فقلت: ما تصنع هاهنا ؟ فقال: قضيت حوائجى وأريد الرجوع، وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك. فقلت: على اسم الله تعالى، وما زلت متحذرا منه وهو مجتهد أن ادنو منه فلا أفعل، وكلما دنى من بعدت عنه إلى أن سرنا شيئا يسيرا، وليس معنا ثالث فقصر عنى، وواحثثت الحمار لافوته فما حسيت إلا بركضة فالتفت فإذا هو قد جرد سيفه، وقصدني فرميت بنفسى عن الحمار وعدوت، فلما خاف أن أفوته صاح: يا أبا القاسم

إنما مزحت معك فلم ألتفت إليه فقرع دابته وزاد في التحريك، وبان لى ناووس فطلبته، وكاد الاعرابي يلحق بي فدخلت الناووس ووقفت وراء بابه. قال: ومن صفات تلك النواويس أنها مبنية بالحجارة، وباب كل ناووس حجر واحد عظيم قد نقر وجفف وملس فلا تستمكن اليد منه، وله في وجهه حلقة وليس من داخله شئ تتعلق اليد به وإنما يدفع من خارجه فينفتح فيدخل إليه وإذا خرج منه وجذبت الحلقة انغلق الباب وتمكن ارداميه من ورائه فلم يمكن فتحه من داخل قال فحين دخلت الناووس وقفت خلف بابه، وجاء الاعرابي فشد دابته في حلقة، ودخل يريدنى مخترطا سيفه والناووس مظلم فلم يرنى ومشى إلى صدر الناووس فخرجت أنا من خلف الباب وجذبته معى حتى صار الباب مردودا وحصلت الحلقة في ردة هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الاعرابي إلى باب الناووس فرأى الموت عيانا فقال: يا أبا القاسم اتق الله في أمرى

فانني أتلف قلت له تتلف أنت أهون من أن أتلف أنا. قال فاخرجني وأعطيك أمانا واستوثق منى بالايمان أنى لا أتعرض لك بسوء أبدا واذكر الحرمة التى بيننا. قلت: لم ترعها أنت وأيمانك فاجرة لا أثق بها في تلف نفسي فأخذ يكرر الكلام. فقلت لا تهذى هو ذا اركب دابتك واجنب حماري والوعد بيننا عبد أيام هاهنا، فلا تبرح حتى أجى وإن احتجت إلى طعام فعليك بجيف العلوج فنعم الطعام لك وأخذت أهوا به في هذا القول وأخذ يبكى ويستغيث ويقول قتلتنى والله. فقلت: إلى لعنة وركبت دابته وجنبت دابتي ووجدت على دابته خرجا فيه ثياب يسيرة فجئت إلى نصيبين فبعث الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها أدهم وبعته لئلا يعرف صاحبه فأطالب بالرجل واتفق أنه اشتراه رجل من المحتاجين وكفيت أمره وانكتمت القصة. فلما كان أكثر من سنة عرض لى خروج إلى رأس العين فخرجت في ذلك الطريق فلما لاح لى الناووس تذكرت فقلت اعدل إلى الناووس وانظر إلى ما صار إليه أمره فجئت إليه فإذا بابه كما تركته ففتحته ودخلته فإذا أنا بالاعرابي وقد صار رمة فلا زلت أحمد الله عزوجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث ما خبرك يا فلان فإذا بصوت شئ يتخشخش ففتشته فإذا هميان فأخذته وأخذت سيفه وخرجت ففتحت الهميان فإذا فيه خمسمائة درهم وبعت السيف بعد ذلك بجملة دراهم. حدثنى أبو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصري قال حدثنى أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادي. قال: حدثنى صديق لى قال: كنت قاصدا الرملة وحدي وما كنت دخلتها قط فانتهيت إليها وقد نام الناس ليلا فعدلت إلى المقبرة ودخلت بعض القباب التى على القبور فطرحت درقة كانت معى واتكأت عليها وعلقت سيفى واضطجعت أريد النوم لادخل البلد نهارا فاستوحشت من الموضع وأرقت فلما طال أرقي أحسست بحركة فقلت لصوص يجتازون وإن تصديت لهم لم آمنهم ولعلهم يكونون جماعه ولا أطيقهم فانعزلت بمكانى ولم أتحرك وأخرجت رأسي من بعض أبواب القبة على

تخوف منى شديد فرأيت دابة كالذئب تمشى فأخفيت نفسي فإذا بها قد قصدت قبة حيالي فما زالت تتلفت طويلا وتدور حواليها ثم دخلتها فارتبت وأنكرت أمرها وتطلعت نفسي إلى علم ما هي. ثم دخل القبة وخرج غير مطيل ثم جعل ينطر ثم دخل وجرج بسرعة ثم دخل وعينى إليه فضرب بيده إلى قبر في القبة يبعثره فقلت نباش لا شك فيه وتأملته يحفر بيديه فعلمت أن فيها آلة من حديد يحفر بها

فتركته إلى أن اطمأن وأطال وحفر شيئا كثيرا ثم أخذت سيفى ودرقتى ومشيت على أطراف أناملي ودخلت القبة فأحس بى فقام إلى بقامة إنسان وأومئ إلى ليلطمني بكفيه فضربت يده بالسيف فأنبتها وطارت فقال: أواه قتلتنى لعنك الله وعدا من بين يدى وعدوت خلفه وكانت ليلة مقمرة حتى دخل البلد وأنا أراه ولست ألحقه إلا أنه بحيث يقع بصرى عليه إلى أن احتاز بى في طرق كثيرة وأنا في خلال ذلك أعلم الطريق لئلا أضل حتى جاء إلى باب فدفعه ودخل فأغلقه وأنا اسمع فعلمت الباب ورجعت أقفوا أثرى والعلامات التى علمتها في طريقي حتى انتهيت إلى القبة التى كان فيها النباش، وطلبت الكف فوجدتها فأخرجتها إلى القمر فبعد جهد انتزعت الكف المقطوعة من آلة حديد مصنوعة على شكل الكف وتأملت الكف فوجدت فيه نقض حنا وخاتمان من الذهب وهى أحسن كف في الدنيا نعومة ورطوبة وسمنا وملاحة فاغتممت ومسحت الدم منها ونمت في القبة التى كنت فيها ودخلت اليلد من الغد أطلب العلامات حتى انتهيت إلى الباب وسألت لمن الدار فقالوا لقاضي البلد فاجتمع إليها خلق كثير وخرج منها رجل بهى فصلى بالناس وجلس في المحراب فازداد عجبى من الامر وقلت لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضى ؟ فقال بفلان فأطلت الحديث في معناه حتى عرفت أنه له ابنة عاتقا وزوجة فلم أشك أن النباشة ابنته فتقدمت إليه فقلت بينى وبين القاضى أعزه الله حديث لا يصلح إلا على خلوة فقام ودخل المسجد وخلا بى. وقال قل: فأخرجت الكف وقلت أتعرف هذه فتأمها طويلا فقال أما الكف فلا، وأما الخواتم فخواتم ابنة لى عاتق فما الخبر فقصصت عليه القصة بأسرها فقال: قم معى فأدخلتى بيته وأغلق

الباب واستدعى طبقا وطعاما فأحضر واستدعى امرأته فقال له الخادم تقول لك كيف تخرج ومعك رجل غريب ؟ فقال لابد من خروجها تأكل معنا فهذا لا نحتشمه، فأبت عليه فحلف بالطلاق لتخرجن. قال: فخرجت وهى باكية، فجلست معنا. فقال لها: أخرجي ابنتك. فقالت له: يا هذا جننت فما الذى حل بك قد فضحتني وأنا امرأة كبيرة فكيف تهتك صبية عانقا فحلف بالطلاق لتخرجنها، فخرجت. فقال لها: كلى معنا، فرأيت صبية كالدنيا مليحة ما لمحت مقلتاى أحسن منها إلا أن لونها قد اصفر جدا وهى مريضة فقلت إن ذلك لنزف الدم من يدها فأقبلت بيمينها وشمالها مخبأة. فقال: أخرجي يدك اليسار. فقالت: قد خرج بها خراج عظيم وهى مشدودة، فحلف لتخرجها فقالت امرأته يا رجل استر على نفسك وابنتك. فو الله وحلفت بأيمان كثيرة ما أطلعت لهذه الصبية على سوء قط إلا البارحة فإنها جاءتني بعد نصف الليل فأيقظتني فقالت يا أمي الحقينى وإلا تلفت فقلت ما بالك. فقالت: قد قطعت يدى وهو ذا نزف الدم والساعة أموت فعالجيني وأخرجت يدها مقطوعة فلطمت فقالت لا تفضحيني ونفسك بالصياح عند أبى والجيران وعالجينى. فقلت. لا أدرى بما أعالجك. فقالت اغلى زيتا وأكوى يدى به ففعلت ذلك وكويتها وشددتها، فقلت الآن خبريني ما دهاك فامتنعت، فقلت والله لئن لم تحدثيني لاكشفن أمرك لابيك. فقالت: إنه قد وقع في نفسي منذ سنين أن أنبش الموتى فتقدمت إلى هذه الجارية فاشترت لى جلد ماعز بشعره واستعملت كفا من حديد فكنت إذا نمتم أفتح الباب وآمرها أن تنام في الدهليز ولا تغلق الباب فألبس الجلد والكف الحديد وأمشى على أربع فلا يشك الذى يرانى من فوق سطح أو غيره أنى كلب ثم أخرج إلى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من الجلة والمياسير وأين دفن فأقصد قبره فأنبشه وآخذ الاكفان وأدخلها معى في الجلد وأمشى مشيتى وأعود والباب غير مغلوق فأدخل وأغلقه وأنزع تلك الآلة فأدفعها إلى الجارية مع الكفن

فتأخذه وتخبيه في بيت لا تعلمون به وقد اجتمع عندي ثلثمائة كفن أو ما يقاربها لا أدرى ما أصنع بها إلا أنى

كنت أجد لذلك الخروج لذة لا سبب لها أكثر من أن أصابتني هذه المحنة فلما كانت الليلة سلط على رجل أحس بى كأنه كان حارسا لذلك القبر فقمت لاضرب وجهه بالكف الحديد فيشتغل عنى وأعدوا فداخلني بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالي فأباد كفى. فقلت لها أظهري انه قد خرج على كفك خراج وتعاللى فإن الذى برى ما بك من الصفار يصدق قولك فإذا مضت أيام قلنا لابيك ان لم يقطع يدك خبث جميع جثتك وتلف فيأذن لنا في قطعها فتظهر أنا قطعناها ويشيع الخبر حينئذ وينستر أبوك فعملنا على هذا بعد أن استتبناها فتابت وحلفت بالله لا عادت، وكنت عولت على أن أبيع الجارية هذه وأراعى مبيت الصبية وأبيتها إلى جانبى ففضحتها ونفسك. قال: فقال لها القاضى فما تقولين. قالت: صدقت أمي ووالله لا عدت أبدا وتبت إلى الله. فقال لها القاضى هذا صاحبك الذى قطع يدك فكادت تتلف جزعا، ثم قال لى يا فتى من أين أنت ؟ قلت من العراق. قال ففيم وردت قلت أطلب الرزق قال قد جاءك حلالا طيبا نحن قوم مياسير ولله علينا نعمة وستر فلا تنغص النعمة ولا تهتك الستر ك أزوجك ابنتى هذه وأغنيك بمالى عن الناس وتكون معنا في دارنا. قال نعم فأمر ثم خرج إلى المسجد والناس مجتمعون ينتظرونه فخطب وزوجني وأقعدني في الدار ووقعت الصبية في نفسي حتى كدت أموت عشقا لها فافترعتها وأقامت شهورا معى وهى نافرة منى وأنا أؤانسها وأبكى حسرة على يدها وأعتذر إليها وهى تظهر قبول عذرى وأنا الذى بها غما على يدها يزيد حنقا على إلى ان نمت ليلة واستثفلت في نومى على رسمى فاحسست بثقل شديد على صدري فانتبهت جزعا فإذا هي باركة على صدري وركبتاها على يدى مستوثقة منهما وفى يدها موسى وقد أهوت لتذبحني فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر وخشيت أن تبادرني فسكت وقلت لها كلمينى واعملى ما شئتي فقالت: قل. قلت ما يدعوك إلى هذا ؟ قالت أظننت - تقطع يدى وتهتكني ويتزوجني مثلك وتنجوا سالما والله لا كان هذا. فقلت أما الذبح لقد فاتك ولكنك تتمكنين من جراحات وتوقيعها

في ولا تأمنين أن أفلت فأذبحك وأهرب أو أكشف هذا عليك ثم أسلمك إلى السلطان فتنكشف جنيتك الاولى والثانية، ويتبرأ منك أبوك وأهلك وتقتلين فقالت: افعل ما شئت لابد من ذبحك، وقد استوحش كل منا من صاحبه فنظرت فإذا الخلاص منها بعيد ولابد من أن تجرح الموضع فيكون فيه تلفي فقلت: الحيلة اعمل فيها فقلت لك غير هذا ؟ فقالت: قل. قلت: أطلقيني وأنا أطلقك الساعة وتخرجين عنى فاخرج غدا عن البلد فلا أراك ولا ترينى، ولا ينكشف لك حديث في بلدك، ولا تنفضحين وتتزوجين من شئت فقد شاع أن يدك قطعت بخراج خبيثة، وتربحين الستر. قالت: لا أفعل حتى تحلف لى أنك لا تقيم في البلد ولا تفضحني أبدا، وتعجل لى بالطلاق. فطلقتها، وحلفت أنى أخرج ولا أفضحها بالايمان المغلظة فقامت عن صدري تعدو خوفا من أقبض عليها حتى رمت الموسى حيث لا أدرى وعادت وأخذت تظهر أن الذى فعلته مزاح وتلاعبنى فقلت: اليك عنى فقد حرمت على، ولا يحل لى ملامستك، وفى غد أخرج عنك. فقالت: الآن علمت صدقك، ووالله لئن لم تفعل لانجوت من يدى فقمت فجاءتني بصرة، وقالت: هذه مائة دينار خذها نفقة لك واكتب

رقعة طلاقي، واخرج غدا فأخذت الدنانير وخرجت سحرة ذلك اليوم بعد أن كتبت إلى أبيها أنى طلقتها، وأنى خرجت حياء منه، ولم ألتق معهم أبدا * وحكى محمد بن بديع العقيلى قال: رأيت رجلا من بنى عقيل في ظهره كله شرط كشرط الحجام إلا أنها أبكر فسألته عن سبب ذلك فقال: إنى كنت هويت ابنة عم لى، وخطبتها فقالوا لى: لا نزوجك إلا أن تجعل الشبكة صداقها، وهى فرس سابقة كانت لبعض بنى بكر بن كلاب فتزوجتها على ذلك، وخرجت أحتال في أن أسل الفرس لاتمكن من الدخول بابنة عمى فأتيت الحى الذى فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر إلى أن عرفت مربط الفرس من الخبا، ورأيت لهم مهرة فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره وحصلت خلف النضد تحت عهن لهم كانوا نفشوه ليغزل فلما جاء الليل وافى صاحب البيت، وقد أصلحت له المرأة عشاء فجعلا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم، وكنت ساغبا فأخرجت يدى وأهويت إلى القصعة

وأكلت معهم فأحس الرجل بيدى، وأنكرها وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدى الاخرى فقالت له المرأة: مالك ويدى. فظن أنه قابض على يد المرأة فخلى يدى فخليت يد المرأة وأكلنا ثم أنكرت المرأة يدى فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها: مالك فخلت عن يدى وخليت عن يده وانقضى الطعام، واستلقى الرجل ونام. فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة، ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة وانتبهت المرأة وقامت إليه، وتركت المفتاح في مكانها، وخرجت من الخبا إلى ظهر البيت ورمقتها بعينى فإذا هو قد علاها، فلما حصلا في شأنهما دببت فأخذت المفتاح وفتحت القفل، وكان معى لجام شعر فأوجرته الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخبا فقامت المرأة من تحت الاسود فدخلت الخبا ثم صاحت وذعر الحى فصاحوا وأحسوا بى، فركبوا في طلبى وأنا أكد الفرس وخلفي خلق منهم فأصبحت ولست أرى إلا فارسا واحدا يرمح فلحقني وقد طلعت الشمس فأخذ يطعنني فلم يصل طعنه إلى أكثر مما تراه في جلدى لا فرسه تلحق بى فيتمكن طعنه منى، ولا فرسى يبعث بى إلا حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا إلا نهر جرار فصحت بالفرس فوثبتها، وصاح الفارس بفرسه فلم يشب فلما رأيت عجزها عن العبور نزلت عن فرسى لاستريح وأريحها فصاح بى الرجل وقال: يا هذا أنا صاحب الفرس الذى تحتك وهذه ابنتها فإذا قد أخذتها فلا تحد عنها فانها تساوى عشر ديات وعشر دبات. وما طالبت عليها شيئا قط إلا لحقته ولا طلبني أحد عليها إلا فاتته، وإنما سميت الشبكة لانها لم تر شيئا إلا أدركته فكانت كالشبكة في التعلق به فقلت: إما إذا نصحتني فو الله لانصحنك ولا أكذبك إنه كان من صورتي البارحة كيت وكيت حتى قصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس: فأطرق رأسه ساعة ثم قال: لا جزاك الله من طارق خيرا أخذت فرسى وقتلت عبدى وطلقت ابنة عمى * وحكى رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشام وأنا على دابتي وخرج لى فيه

ثياب ودنانير. فلما سرت عدة فراسخ لحقني المساء، فإذا بدير عظيم فيه راهب في صومعة فنزل واستقبلني، وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيرى، فأخذ دابتي وطرح لها شعيرا، وعزل رحلى في بيت، وجاءني بما جاد، وكان الزمان شديد البرد، وأوقد بين يدى نارا، وجاءني بطعام طيب من

أطعمة الرهبان. فأكلت ونبيذ فشربت، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم، وقلت أدخل المستراح فسألته عنه فدلني على طريقه، وكنا في غرفة فمشيت فلما سرنا على باب المستراح فإذا بادية مطروحة فلما صارت رجلاى عليها خلت ونزلت، فإذا أنا في الصحراء وإذا البادية كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج سقط تلك الليلة سقوطا عظيما فصحت، وقدرت أن ذلك تم من غير قصد فما كلمني فقمت، وقد جرح بدنى إلا أنى سالم فجئت وتظللت بطارق باب الدير من الثلج فما وقفت فيه حينا حتى رأيت فيه برابخ من فوق رأسي قد جاءتني منها حجارة لو تمكنت من دماغي لطحنته، فخرجت أعدو وصحت به فشتمني فعلمت أن ذلك من حيلته طمعا في رحلى، فلما خرجت وقع الثلج على فعلمت أنى تالف إن دام ذلك فولد لى الفكر أن طلبت حجرا فيه ثلاثون رطلا فوضعته على عاتقي وأقبلت أعدوا في الصحراء وهو على عاتقي شوطا حتى إذا تعبت وحميت وجريت عرقا طرحت الحجر وجلست أستريح، فإذا نالنى البرد أخذت الحجر وعدوت حتى أبلغ خلف الحصن فأجلس من حيث يقع لى أن الراهب لا يرانى، فإذا أحسست بأن البرد قد بدا يأخذني تناولت الحجر وسعيت من الدير إلى ذلك الحصن، وأنا على هذا إلى الغداة، فلما كان قبل طلوع الفجر، وأنا خلف الدير سمعت بحركة بابه فتخفيت فإذا بالراهب قد خرج فجاء إلى موضع سقوطي فلما لم يرنى. قال وأنا أسمعه: يا قوم ما فعل المشؤم ؟ أظنه قد رأى بقربه قرية فقام يمشى إليها كيف أعمل فاتني سلبه، وأقبل يمشى يطلب أثرى فخالفته أنا إلى باب الدير، وكان في وسطى سكين فوقفت خلف الباب فطاف ولم يبعد فلما لم ير لى أثرا عاد ودخل، فحين بدأ برد الباب ثرت به فقضبت عليه، ووجأته بالسكين وصرعته فذبحته وأغلقت باب الحصن، وصعدت الغرفة فاصطليت

بنار كانت موقدة، ودفيت وطرحت عنى تلك الثياب، وفتحت خرجى فلبست منه ثيابا، وأخذت كساء الراهب ونمت فيه إلى العصر ثم انتبهت، وأنا سالم غير منكر شيئا من نفسي، فطفت بالدير حتى رأيت طعاما فأكلت وسكنت نفسي، وظفرت بمفاتيح بيوت الحصن في يدى فأقبلت أفتح بيتا بيتا فإذا أنا بمال من عين وثياب وآلات ورحالات أقوام واخراجهم، وإذا عادته كانت هكذا مع كل من يجتاز به منفردا فلم أدر كيف أعمل في ثقل المال وما وجدته فلبست ثياب الراهب، وأقمت في موضعه أياما أترائى لمن يجتاز بى من بعد فلا يشكون في أننى هو، وإذا قربوا لم أبرز لهم وجهى إلى أن خفى لهم خبرى ثم نزعت تلك الثياب، وأخذت جواليقا فملاتها مالا وجعلتها على الدابة، ومشيت وسقت إلى أقرب قرية، واكتريت فيها منزلا، ولم أزل أنقل إليه كلما وجدته حتى لم أدع شيئا له قدر إلا حصلته في القرية ثم أقمت إلى أن اتفقت لى قافلة، وحملت من تلك الامتعة كل ما قدرت عليه، ورفعته إلى المحمل، وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة حتى قدمت بلدي، وقد حصلت لى عشرات ألوف دراهم ودنانير وسلمت من الموت * حدثنى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقسى الشاعر قال: كان لابي مملوك يسمى مقبل فأبق منه، ولم يعرف له خبرا سنين كثيرة، ومات أبى وتغربت عن بلدي، ووقعت إلى نصيبين، وأنا حدث فبينما أنا مجتاز يوما في سوقها وعلى لباس فاخر، وفى كمى منديل فيه دراهم كثيرة رأيت غلاما مقبلا فحين رأني انكب على يدى فقبلها وأظهر سرورا شديدا بى، وأقبل يسألنى عن أبى وأهلنا فأعرفه موت من مات وخبر من بقى ثم قال لى: يا سيدى متى دخلت إلى هاهنا، وفي أي شئ ؟ فعرفته. فأخذ يعتذر من هزبه منا ثم قال: أنا مستوطن هاهنا، وأنت مجتاز فلو أنعمت على وجئت في دعوتي فانى أحضر لك نبيذا طيبا وغناء حسنا، فاغتررت به وبالصبا، ومضيت معه حتى بلغ بى إلى آخر البلد، وإلى دور خراب ثم انتهى

إلى دار عامرة مغلقة الاب فدقه ففتح له، ودخل فدخلت، وحين حصلت الدهليز أغلق الباب بسرعة واستوثق منه فتنكرت لذلك ودخلت الدار فإذا أنا بثلاثين رجلا بالسلاح

وهم جلوس على بادية فلم أشكك في أنهم لصوص، وأيقنت بالشر وبادرني أحدهم يلطمني، وقال: انزع ثيابك. فطرحت كل ما كان على حتى بقبت بالسراويل. فحلوا الدراهم التى كانت معى، وأعطوا مقبلا شيئا منها وقالوا: امض فهات بهذا ما نأكله فإنا جياع فطارت روحي فقال لهم الغلام: ما أمض أو تقتلوه، فقلت لهم يا قوم: ما ذنبي حتى تقتلوني ؟ قد أخذتم ما معى، ولستم ترثوني إذا قتلتموني، ولا لى حال غير ما أخذتموة فالله الله في. ثم أقبلت أستعطف مقبلا، وهو لا يجيبنى ويقول لهم: إنكم إن لم تقتلوه ويفلت دل السلطان عليكم فقتلتم كلكم قال: فوثب إلى أحدهم بسيف مسلول، وسحبني من الموضع الذى كنت فيه إلى البالوعة ليذبحني، وكان بقربى غلام أمرد فعلقت به وقلت: يا فتى ارحمنى وأجرني فإن سنك قريب من سنى واستدفع البلاء من الله بخلاصي. فوثب الغلام وطرح نفسه على وقال: والله لا يقتل وأنا حى، وجرد سيفه وقام فقام أستاذه لقيامه وقال: لا يقتل من أجاره غلامي، واختلفوا وصار مع غلامه جماعة فانتزعوني وجعلوني في زاوية من البيت الذى كانوا فيه: ووقفوا بيني وبين أصحابهم وقال لهم رئيسهم. كفوا عن الرجل إلى أن ننظر في أمره، وشتم مقبلا وقال: امض فهات ما نأكله فإنا جياع، وليس يفوننا قتله. فمضى مقبل وجاءهم بمأكول كثير، وجلسوا يأكلون وترك جماعة منهم الاكل حراسة لى لئلا يغتالنى أحدهم إذا تشاغلوا بالاكل فلما أكلوا انفرد بعض من كان يتعصب لى بحراستى وأكل من لم يكن أكل منهم ثم أفضوا إلى الشراب فقال لهم: الآن قد أكلتم فترك هذا يؤدى إلى قتلكم فدعوا الخلاف في أمره واقتلوه. فوثب من يريد قتلى ووثب الغلام ومن معه للمنع عنى، وطال الكلام بينهم وأنا في الزاوية، وقد اجتمع إلى من يمنع قتلى. فصرت بينهم وبين الحائط، إلى أن جرد بعضهم السيوف على بعض فقال لهم رئيسهم: هذا الذى أنتم فيه يؤدى إلى قتلكم والله رأيت رأيا فلا تخالفوه. فقالوا ماذا تأمرنا ؟ فقال: اغمدوا السلاح واصطلحوا ونشرب إلى وقت نريد أن نخرج عن هذه الدار ثم نكتفه ونسد فاه، وندعه في الدار وننصرف فانه لا يتمكن من الخروج وراءنا، والصياح

علينا إلى أن نصبح من غد فنمر على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضا ولا تنصرف كلمتكم، فقالوا هذا صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرب معهم. فقلت له: الله الله في فتمم ما قد عملت ولا تشرب معهم وتحرسني لئلا يثب على أحد منهم على غفلة فيضربنى ضربة يكون فيها تلف نفسي ثم لا تتمكن أنت من ردها ولا تنفعني أن تقتل قاتلي فرحمني وقال افعل ثم قال لاستاذه أحب أن تترك شربك اليوم وتفعل كما أفعل فجاءا فجلسا قدامى وأنا في الزاوية أتوقع الموت، ساعة فساعة. إلى أن حلت العتمة وقام القوم، فتحزموا ولبسوا ثيابهم وخرجوا وبقى الغلام وأستاذه فقالا لى يا فتى قد علمت أنا خلصنا دمك فلا تكافئنا بقبح وهو ذا نخرج ولا يحسن أن نكتفك واحذر أن تصيح فأخذت أقبل أياديهما وأرجلهما وأقول أنتما أحييتماني فكيف أكافئكما بالقبيح فقالا قم معنا فقمت ففتشا الدار حتى علما أنه لم يختلف فيها من يريد قتلى ثم قالا لى يا هذا. قد أمنت فإذا خرجنا فاستوثق من الباب ونم وراءه فلا يكون إلا

خيرا، ثم خرجا، فاستوثقت من غلق الباب. ثم جزعت جزعا، ولم أشكك في أنه يخرج من تحت الارض منهم من يقتلنى، وزاد على الجزع، وأقبلت أمشى في الدار وأدعوا وأسبح إلى أن كدت أتلف، وآنست باستمرار الوقت على السلامة، فحملتني عينى ونمت، فلم أحس إلا بالشمس وحرارتها على الباب. فقمت وخرجت أمشى عريانا بسراويل، إلى أن حصلت في الموضع الذى كنت أسكنه، وما حدثت أحدا بهذا الحديث مدة لبقية الفزع. ثم بعد انقضاء سنة أو قريب منها، كنت يوما عند صاحب الشرطة بنصيبين لصداقة كانت بينه وبين أبى، فلم ألبث أن حضر من عرفه عن عثور الطوف على جماعة من اللصوص بقرية سماها من قرى نصيبين، وقبضه على سبعة نفر منهم، وفوت الباقين، فأمر باحضارهم فوقع بصرى منهم على ذلك الغلام الذى أجارني ذلك اليوم، وعلى أستاذه ثم على مقبل، فأخذتني رعدة تبينت في وأخذ مقبل من بينهم مثل ما أخذني. فقال لي صاحب الشرطة مالك ؟ فقلت له: إن حديثى لطويل. ولعل الله أراد بحضوري هذا المجلس سعادة نفر وشقاوة نفر.

فقال هات: فقصصت عليه قصتي مع القوم إلى آخرها، فتعجب وقال هلا شرحتها لى فيما قبل، حتى كنت أطلبهم ؟ وأنتصف لك منهم. فقلت: إن الفزع الذى كان في قلبى منهم لم يبسط لساني به. فقال: فمن الذى كان معك من هؤلاء ؟ قلت: الغلام وأستاذه وواحد من الباقين، فأمر بحل كتافهم وتميزهم من بين أصحابهم ودعا مقبل. فقال: ما حملك على ما فعلت بابن أستاذك ؟ قال سوء الاصل، وخبث العرق فقال لا جرم تقابل بفعلك وأمر به فضرب عنقه وأصحابه الباقين، ودعا بالغلام وأستاذه وصاحبهما وقال لهما: لقد أحسنتما في دفعكما عن هذا الفتى، والله يجزيكما عن فعلكما الخير، فتوبا إلى الله من فعلكما، وانصرفا في صحة الله مع صاحبكما، ولا تعودا لما كنتما عليه من التلصص. فقد مننت عليكما لحسن صنعكما مع هذا الفتى، فإن ظهرت منكما ثانيا، ألحقتكم بأصحابكم. فشكروه ودعوا له وانصرفوا وشكرته على ما فعل والحمد لله على توفيقي لقضاء حق من أجارني والانتقام ممن ظلمنى ثم صار ذلك الغلام وأستاذه من أصدقائى وكان يختلفان إلى وحكى إبراهيم بن عبد السلام الهاشمي البصري. قال: كان عندنا بالمريد رجل من خول محمد بن سليمان الهاشمي وكان مؤنثا يسمى عياد، وكان يحمل السلاح فاجتمع يوما مع قوم من الخول على شراب لهم، فتجاروا حديث الشجاعة فعابوه بما فيه من التأنيث فخاطرهم في شئ يعمله مما يعرضون عليه يبين به من شجاعته فقالوا له يخرج الساعة بغير سلاح إلى صهاريج الحجاج فيدخل منها الصهريج الفلاني ويسمر في أرضه في هذا الوتد ويعود وهذه الصهاريج على أكثر من فرسخ من البصرة في البرية وهى موحشة المكان خالية يجتمع فيها الماء وكان الحجاج قد عملها لشرب أهل الموسم والقوافل. قال: فأخبرني عباد. قال: خرجت وليس معى إلا وتد ومطرقة حتى بلغت الصهريج الذى خاطرت عليه، وكان أعظمها وأوحشها فدخلت وكان جافا وجلست وضربت الوتد بالمطرقة في أرضه فطن الصهريج فسمعت صلصلة شديدة وصوت سلسلة فقطعت الدق وانقطع الصوت وأعدت الدق فعاد

الصوت وظهرت حركة وأنا ثابت القلب أتأمل ولا أدرى شيئا من الظلمة، إلى أن أحسست بالحركة والصوت قد قربا منى، وتأملت فإذا بشخص لطيف لا يشبه قدر خلقة الانسان، فاستوحشت وثبت

نفسي وأنا أدق والشخص يقرب منى فوثبت وألقيت نفسي عليه واستوثقت منه فإذا هو قرد في عنقه سلسلة، فظننت أنه قد أفلت من قراد أو قافلة، فسحبته فلان في يدى وآنس بى، فأخذته على يدى وساعدي وجئت أريد باب الصهريج، فلما بلغته سمعت كلاما فخشيت أن يكون بعض من يطلبني من العصبية هناك، فوقفت أنسمع فإذا كلام امرأة مع رجل وهى تقول له: يا فلان ويحك، أتقتلني، أتذبحني ؟ أتبلغ بى الموت، اتق الله. وهو يقول: الذنب كله لك، وأنت أذنت لهم في أن يزوجوك، ولو أبيت ما قدر أبوك أن يزوجك، وإنما فعلتيه مللا بى وأنا تالف عشقا وأنت تتمنعين. والله لاذبحنك، استكتفى يا ابنة الفاعلة. قال: فنظرت فإذا ظهره إلى باب الصهريج فصحت عليه صيحة عظيمة وضربت قفاه بالقرد ففزع القرد وقبض على عنق الرجل وتمكن من ظهره، فورد على الرجل ما حيره وأفزعه، وذهب بعقله فخر مغشيا عليه ووقع السيف من يده، فأخذته ورأيت الجحفة هناك فأخذتها وقصدت الرجل، وكان عقله ثاب إليه، ورمى القرد عن ظهره وسعى هاربا. فقصدت المرأة وحللت كتافها. وقلت لها: ما قصتك ؟ فقالت: أنا بنت فلان وذكرت رجلا من أهل المربد، وهذا ابن عمى وكان يعشقنى فخطبني من أبى فامتنع من تزويجه بى، وزوجني من رجل غريب ودخل بى منذ شهور فلما كان أمس خرجت أنا وجماعة من نساء الجيران ننظر إلى الصحراء وقت العصر، وبلغه خبرنا فكبسنا في الصحراء ومعه عدة رجال بالسلاح، فأخذ كل رجل امرأة وانفرد بها، وحملنى هذا إلى هذا الصهريج ففجر بى طول الليل. ولما كان الآن عزم على قتلى، فأغاثني الله بك، وما أعرف للنسوة خبرا. قلت: لا بأس عليك امشى فمشت بين يدى حتى دخلت البصرة، فدقت باب والدها وفتح لها فدخلته وعدت إلى أصحابي

فحدثتهم الحديث وأريتهم القرد، وخرجنا من الغد فرأوا الوتد، وذهبنا إلى باب المرأة فأريتهم إياه، وأخذت خطري * قال وحكى أبى قال: كان في جواري رجل يعرف بأبى عبيدة، حسن الادب كثير الرواية للاخبار، وكان قديما ينادم إسحق بن ابراهيم المصعبى فحدثني أن إسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل قال: فهالني ذلك وأفزعني وأوحشني لما كنت أعرفه من زعارة الاخلاق، وشدة الاسراع إلى القتل، وخفت أن يكون قد بلغه عنى أمر باطل فيسرع إلى قتلى قبل كشف حالى فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فأدخلت إلى بعض دور الحرم فاشتد جزعى، وذهب على أمرى فانتهى بى إليه، وهو في حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها، ودخلت فإذا هو جالس على كرسى وبيده سيف مسلول. وهو مطرق فأيقنت بالقتل، وسلمت ووقفت. فرفع رأسه وقال: اجلس يا أبا عبيدة فسكن روعى وجلست فرمى إلى رقاعا كانت بين يديه، وقال: اقرأ هذا فقرأتها جميعا فإذا هي رقع أصحاب الشرط يخبره كل واحد منهم بخبر يومه وما جرى في عمله وفى جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والامراء والاجلاء الذين بادوا، وذهبت مراتبهم ويسألوه عما يعملون في أمرهن فقلت: قد وقفت أعز الله الامير على هذه الرقاع فما يأمرنى الامير. قال: ويحك يا أبا عبيدة إن هؤلاء الناس الذين ذكروا حال بناتهم كلهم كانوا أجل منى وامثل، وقد أفضى بهم الدهر في حرمهم إلى ما قد سمعت، وقد وقع لى أن بناتى بعدى سيبلغن إلى هذا المبلغ وقد جمعتهن وهو خمس وجعلتهن في هذه الحجرة لاقتلهن الساعة، وأستريح ثم أدركتني رأفة البشرية، والخوف من الله تعالى فأردت أن أشاورك في إمضاء الرأى أو شئ تشير به على فيهن فقلت أيها الامير: إن آباء هؤلاء النساء اللواتى قرأت رقاع أصحاب الاخبار بما جرى عليهن أخطأ وافى تدبيرهن لانهم خلفوا عليهن النعم، ولم يحفظوهن بالزواج فخلون بأنفسهن ونعمهن

ففسدن، ولو كانوا جعلوهن في أعناق الاكفاء ما جرى منهن هذا. والذى أرى أن أستدعى فلان العابد وله خمس بنين كلهم جميل الوجه

حسن اللبسة والنشو فتزوج كل واحد ؟ من بناتك واحدا منهم فتكتفي العار والنار، فتكون قد أخذت بأمر الله عزوجل وبالحزم، ويراك الله قد أردت طاعته في حفظهن فيحفظك فيهن. فقال: امض الساعة إليه، وأفرغ لى معه من هذا. قال: فمضيت إلى الرجل وقررت الامر معه وأخذت الفتيان وآباءهم، وجئت إلى دار إسحق بن ابراهيم فما طلع الفجر حتى عقدت للخمس فتيان على الخمس بنات في خطبة واحدة، وحمل اسحق بين يدى كل واحد منهم خمسة آلاف دينار عينا، وشيئا كثيرا من الطيب والثياب، وحمل كلا منهم على فرس بمركب ذهب، وأعطاني كل واحد من الازواج مالا مما دفع إليه كثيرا وأمر لى إسحاق بخمسمائة دينارا، وخلعة وطيبا وأنفذ إلى أمهات البنات هدايا وأموالا جليلة وشكرتني على نخليص بناتهن من القتل، وقلبي بتلك الغمة فرحا فعدت إلى دارى ومعى ما قيمته ثلاثة آلاف دينار * ودعا الرشيد صالحا صاحب الموصل حين تنكر للبرامكة فقال له: أخرج إلى المنصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشر آلاف ألف درهم فاحملها إلى في هذا اليوم وانطلق معه فان دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس فأقبلها وإلا فاحمل إلى رأسه، وإياك ومراجعتي في شئ من أمره. قال صالح: فخرجت إلى منصور بن زياد وعرفته الخبر. فقال: إنا لله وإن إليه راجعون ذهبت والله نفسي ثم حلف أنه لا يعرف موضع ثلاثمائة ألف فكيف بعشرة آلاف ألف درهم فقال له: خذ في عملك. فقال له: امض بى إلى منزلي حتى أوصى. فما هو إلا أن دخله حتى ارتفع الصياح من منازله وحجر نسائه فأوصى وخرج وما فيه دم فقال لصالح: امض بنا إلى أبى على يحيى بن خالد لعل الله أن يأتينا بفرج من عنده. فمضى معه إلى يحيى وهو يبكى فقال له: ما وراءك ؟ فقص عليه القصة فأقلق يحيى أمره، وأطرق مفكرا ثم دعى بخازنه فقال له: كم عندك من المال ؟ قال: خمسة آلاف ألف درهم فقال احضرنيها فأحضرها ثم وجه للفضل ابنه أنك قد أعلمتى فداك أبوك ان عندك ألفى ألف درهم تريد أن تشترى بها ضيعة، وقد أصبت ضيعة يبقى لك ذكرها، وتحصد ثمرتها فوجه إلى بالمال فوجه به ثم قال للرسول: امض إلى جعفر وقل له ابعث فداك أبوك ألف ألف درهم

لحق لزمنى فوجه بها إليه ثم قال لصالح هذه ثمانية آلاف درهم ثم اطرق اطراقه لانه لم يكن عنده شئ ثم رفع رأسه إلى خادم له فقال له امض إلى دانير فقل لها وجهى إلى بالعقد الذى كان أمير المؤمنين وهبه لك فجاءه به فإذا بعقد كعظم الذراع ثم التفت إلى صالح وقال له قد اشتريت هذا العقد لامير المؤمنين بثمانية وعشرين ألف دينار وقد حسبته عليك الآن بألف ألف درهم وهذا تمام حقك فانصرف وخل عن صاحبنا فلا سبيل لك عليه قال صالح فأخذت ذلك ورددت منصورا معى فلما صرت بالباب أنشأ منصور متمثلا بقول: فما بقى على تركتماني * ولكن خفتما ضرب النبال فقال صالح ما على وجه الارض رجل أنبل من هذا الذى خرجنا من عنده، ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ولا على وجه الارض أخبث سريرة ولا أكفر نعمة ولا أدنى طمعا من هذا النطى، لم يشكر من أعطاه وزن عن هذا المال العظيم. قال: وصرت إلى الرشيد فقصصت عليه القصة وطويت عنه ما تمثل به منصور، خوف أن يقتله إذا سمع ذلك. فقال

الرشيد: قد علمت أنه إن نجا إنما ينجو بأهل هذا البيت، اطلق الرجل واقبض المال واردد العقد، فإنى لم أكن لاهب هبة وترجع إلى مالى. قال صالح: فلم أطب نفسا إلا بتعريف يحيى ما قاله منصور عند خروجنا من المنزل من عنده. فرجعت إليه وأطنبت في شكره والدعاء له، ووصف ما كان منه. وقلت: ولكن أنعمت على غير شاكر قابل أكرم فعل بألام قول. قال: وكيف ؟ فأخبرته بما كان، فجعل والله يطلب له المعاذير، ويقول يا با على ان المنحوت القلب ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره، وكان الرجل في حال عظيمة. قال صالح. فقلت له والله ما أدرى من أي أمر بك أعجب من أوله أم من آخره، ولكني أعلم أن الدهر لا يخلف مثلك أبدا. قال: وكان على بن عيسى القمى ضامنا يعمل الخراج والضياع ببلده، فبقيت عليه أربعون ألف دينار. ولح المأمون في طلابته حتى قال لعلى بن صالح حاجبه طالبه بالمال وانظره ثلاثة أيام فإن أحضر المال قبل انقضائها وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤديها

أو يتلف، وكان بين على بن عيسى وغسان بن عباد عداوة فانصرف من دار المأمون آيسا من نفسه لا يقدر على شئ من المال فقال له كاتبه: لو عرجت على غسان وأخبرته بخبرك لرجوت أن يعينك عليه. قال: فحملته على قبول ذلك فدخل على غسان فتلقاه بجميل ووفاه حقه فقص عيه كاتبه قصته. فقال له: أرجوا أن يكفيه الله، ونهض على بن عيسى آيسا من نفسه كاسف البال نادما على قصده. وقال لكاتبه لما انصرف: ما أفدتني بقصد غسان إلا لتجعل المهانة والذل لى، وتشاغل في طريقه بلقاء بعض إخوانه وعاد إلى داره، فوجد على داره بغالا عليها اربعون ألف دينارا مع رسول غسان ابن عباد فبلغه سلامه وعرفه عنه بما دفع إليه وسلم إليه المال وتقدم بحضور دار المأمون في غد ذلك اليوم. فبكر على بن عيسى فلما وصل الناس إلى المأمون مثل غسان بن عباد بين الصفوف، وقال يا أمير المؤمنين: إن لعلى بن عيسى حرمة وخدمة وسالف أصل ولامير المؤمنين عليه سالف إحسان وقد لحقه من الخسران في ضمانة ما قد تعارفه الناس وجرى عليه من حدة المطالبة وشدتها والوعيد بضرب السياط ما حيره وقطعه عن احتيال ما عليه، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسعفنى ببعض ما عليه ويضعه عنه فعل. قال: فلم يزل به إلى حطه النصف واقتصر منه على عشرين ألف دينار، قال غسان على أن تجدد عليه الضمان وتشرفه بخلع. فأجابه المأمون إلى ذلك. قال: فيأذن لى أمير المؤمنين أن احمل الدواة إليه ليوقع بذلك فيبقى شرف حملها على وعلى عقبى. قال: افعل ففعل. وخرج على بن عيسى والتوقيع معه بذلك وعليه الخلع. فلما وصل إلى منزله رد العشرين ألف دينا لى إلى غسان وشكره فردها غسان وقال إنى لم استحطتها لنفسي وإنما أحببت توفيرها عليك واستحطتها لك، وليس والله يعود شئ من المال إلى ملكى. وحكى أحمد بن أبى داود. قال: ما صحب السلطان أجلد من عمر بن فرج الرجحى، ولا أزجل ولا أخبث منه. غضب عليه المعتصم يوما وهم بقتله وأمر بحضوره فجاء وقد نزف دمه. فقال المعتصم: السيف يا غلام. فجعلت

ركبتا عمر تصطكان. فقلت إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه فلعله أن يخرج منه بعد لعذر. فقال له يا ابن الفاعلة: أمرتك في ولد أبى طالب أن تعرف خبر منازلهم ؟ قال: لا. قال: فلم فعلت. فقال عمر: إنما فعلت ذلك لانه بلغني عن واحد منهم أن أصل قوم

يكاتبونه، فأردت أن أعرف ما في الكتب الواردة عليه. وجعل عمر في خلال ذلك يلتمس البساط الذى كان تحت المعتصم فزاد ذلك في غضبه. وقال يا ابن الفاعلة: ما شغلك ما انت فيه عن لمس البساط كأنك غير مكترث بما أريده منك ؟ فقال: لا والله أمير المؤمنين، ولكن العبد يعنى من أمر سيده بكل شئ على جميع الاحوال، وإنى ما استحسنت هذا البساط لانه ليس من بسط الخلافة. فقال له ويلك: هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك أنه قام علينا بخمسين ألف درهم. فقال يا سيدى: عندي خير منه بسبعمائة دينار. قال: فذهب عن المعتصم والله ذلك الفور الذى كان به وسكن غضبه وقال: وجه الساعة من يحضره. فجاء البساط وما كان قد قام عليه فيما أظن بأكثر من ثلاثة آلاف دينار فبسط واستحسنه المعتصم واستلافه وقال: هذ والله أحسن من بساطنا، وأرخص، وقد أخذناه منك بما أقام عليك، ووالله ما برح ذلك اليوم حتى نادمه وخلع عليه * قال وأخذ مصعب ابن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال أيها الامير: ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة، ووجهك هذا الجميل الذى يستضاء به فأتعلق بك ثم أقول يا رب سل هذا فيم قتلني ؟ قال: قد عفوت عنك. قال أيها الامير: إجعل ما وهبت لى في حياتي في خفض فإنه لا عيش لفقير. فقال: ردوا عليه عليه عطاءه، واعطوه مائة ألف درهم. فقال: أشهد الله أنى قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات. قال: ولم قال لقوله: إنما مصعب شهاب من الله * تخلت عن وجهه الظلماء ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروت ولا به كبرياء يتقى الله في الامور وقد أو * لح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب وقال: أرى فيك للصنيعة موضعا، وجعله في ندمائه وأحسن صلته. وقيل للفضل بن يحيى قد أفسدت جودك بكبرك. فقال: والله مالى حيلة في النزوع عنه وما كان طبعي هكذا، إلا أننى حملت نفسي عليه لما رأيت من عمارة بن حمزة فتشبهت به فصار طبعا لا أقدر على الاقلاع عنه، وذلك أن أبى كان يضمن فارس من المهدى فحملت عليه ألف ألف درهم وكان المهدى قد ساء رأيه فيه فحرك ذلك ما كان في نفسه وأمر أبا عون أن يأخذه فيطالبه بالمال، فإن غربت الشمس عن يومه ذلك ولم يسلم جميعه أو يبقى درهم منه أتاه برأسه من غير أن يسأذنه أو يراجعه. قال: فأخذه أبو عون فاستدعاني إليه وقال يا بنى قد ترى ما نحن فيه فلا تدعوا في منازلكم شيئا إلا أحضرتموه، فجمعنا كل ما في منازلنا من صامت وحلى فلم يبلغ غشر المال. فقال لى يا بنى: إن كانت لنا حيلة في الحياة فهى من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا مقتول العشية فألقه واذكر له الصورة فمضيت إلى بابه فاستوذن لى عليه فدخلت عليه وهو مضطجع قد غاص في فرش له ما كاد يبين غير وجهه، فو الله فو الله ما تحرك. وسلمت فأومأ إلى بالجلوس فجلست بعيدا منه فلم يعرنى الطرف فانكسرت نفسي وقلت: أي خير عند من هذا لقاؤه وعنوان أمره، فأمسكت لا أتكلم منكرا في الكلام والقيام. فقال: اذكر حاجتك إن كنت أتيت بها. قال فقصصت عليه القصة وعرفته بما جئت بقصده وما نحن فيه من المضايقة والتشديد. قال: فو الله ما أجابنى بأكثر من أن قال امض فإن الله تعالى يكفيك. فقمت متحيرا أجر رجلى لا أشك في أنه قد آيسنى من حاجتى وقلت إن عدت إلى أبى بهذا الجواب مات غما قبل ضرب العنق، فتوقفت ساعة لا أدرى ما أصنع، ثم قلت على كل حال لابد من أن أمضى وأؤانسه فإن كان له حيلة أخرى شرعنا فيها قبل أن ينصرم النهار. قال: فجئته فوجدت على الباب بغالا محملة فقلت لمن معها من أنتم ومن بعث بكم ؟ فقالوا: أنفذنا عمارة إليكم بمال على هذه البغال فدخلت وأخبرت أبى بما جرى

وأخذنا المال فصححناه وما صليت العصر إلا وسلمنا المال، ولما عرف المهدى الصورة فاستحيا وأفرج عن أبى. وكان ذلك سبب رضاه عنه، وصلاح نيته له، فلما كان بعد شهرين ورد لنا من فارس مال كثير فقال لى أبى: خذ المال وامض به إلى عمارة واشكره ورده عليه، فحملت المال وجئت به إلى بابه حتى استؤذن لى فدخلت عليه وهو على فرشه فما زادني على ما عاملني به أولا ولا نقصني، فشكرته عن أبى ودعوت له وعرفته إحضارى المال وسألته الامر بقبضه. فقال لى: أكنت قسطارا لابيك أقرضه وأرتجع منه ؟ فقلت لا يا سيدى بل أحييته وحقنت دمه ومننت عليه وما أحب أن ينقمك، فلما حصل له المال أنفذه فقال له أما إذا رده أبوك فقد وهبته لك خذه وانصرف. فقمت وقد أعطاني ما لم يعطه أحدا فجئت إلى أبى فعرفته ما جرى. فقال: لا والله يا بنى ما تطيب لك نفسي به كله، ولكن تأخذ منه مائتي ألف درهم فأعطانيها. فهى أول مالى وأصل نعمتي فتعلمت من عمارة الكرم والكبر معا فصار لى طبعا. وحكى المعروف بالهايم الرواية فيما حدثنى به. قال: كنت أسير من الشام أريد العراق فلما انتهيت إلى قرية في بعض الطريق لقيني خرساني معه مخلاة فقال أين تريد ؟ قلت: بغداد. فقال: أنا رفيقك فسرنا إلى قرية خراب على شاطئ الفرات في برية الشام فرأينا على باب القرية رجلا أسود منكر الخلق عريانا لا يتوارى بشئ البتة فعدا مجفلا عنا، فدخلنا القرية فجلسنا في دار خراب على شاطئ الفرات وأخرجنا زادا كان معنا فجعلنا نأكل، فإذا الحجارة تجيئنا متداركة حتى خفنا أن نهلك منها، وما تمالكنا أن نقوم إلا بجهد وتأملنا أمره فرأينا الاسود يرجمنا فطلبناه، وطلبنا فلما دخلنا وأم الاسود أن يقبض على ففزعت منه فقبض على الخرساني وقبض عليه الآخر وجعلا يتعاركان فانكب الاسود على كتف الخرساني فعضه فصاح الخراساني يا بغدادي أدركني فقد قتلني. فدنوت من خلف الاسود وتعلقت بخصيتيه ولكمتهما لكمات شديدة فخر مغشيا عليه، وقام الخرساني فجلس على

صدره وخنقه بيده حتى تلف وسرنا والخرسانى يصبح من ألم العضة فانتهينا إلى حيال قرية عامرة فصحنا بملاح فقدم زورقه لنعبر إلى القرية فطرح الخرساني نفسه على الشط كالتالف فشجعته وقلت: مالك وأى شئ قدر عضة ؟ فقال ويحك أنظر إليها فرأيتها فإذا هي قد أخذت كتفه كله واسودت واحمر بدنه كله فحملته أنا والملاح حتى حصلنا في الزورق وعبرنا فلما صرنا بالقرب من الشط تلف فأخرجناه ميتا فاجتمع أهل القرية وسألوا عن شأنه فحدثتهم الحديث. فقالوا: هذا عبد فلان أصابه داء الكلب وتغرب في تلك الخرابات وقد قتل خلقا كثيرا بالعض وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر إلى الاسود وسرت أنا في طريقي وحمدت الله على سلامتي من الاسود * قال: وقرأت في كتب الفرس. أن ابرويز الملك كان معجبا بالقلهيذ لطيب غنائه فنشأ للقلهيذ غلام أحسن غناء منه فأهداه إلى ابرويز متقربا به إليه واستطابه ابرويز وغلب على قلبه حتى قدمه على القهليذ فحصده القهليذ فقتله وبلغ ذلك ابرويز فغضب غضبا شديدا، واستدعا القهليذ وأمر فأحضروا له السيف والنطع وعز على ضرب عنقه وقال له يا كلب: علمت أن شطر لذتي بالغناء كان فيك، وشطرها في غلامك فقتلته لتذهب بشطر لذتي والله لاقتلنك وأمر به فجر ليقتل. فقال أيها الملك: اسمع منى كلمة ثم اعمل ما شئت. قال: قل. قال: إذا كانت لذتك شطرين وقد أبطلت أنا بالجهل والخطأ أحدهما فهل تبطل أنت على نفسك الشطر الآخر بطاعة الغضب فإن جنايتك على

نفسك أعظم من جنايتى عليك. فقال ابرويز: ما نطقت بهذا الكلام في مثل هذا المقام إلا لما في أجلك من التأخير، ولما يريد الله اسعادى به من الالتذاذ بالغناء وقد عفوت عنك فأطلقه. وقال أبو إسحق أخبرنا أحمد بن أبى داود. قال: دخلت على المعتصم يوما فقال لى يا أبا عبد الله: لم يدعنى اليوم أبو الحسن الاقشين حتى أطلقت يده على القاسم بن عيسى فقمت من بين يديه ولم أبصر شيئا جزعا على أبى دلف ودخلني أمر عظيم وخرجت فركهت دابتي وسرت أشد سير

من الجوسق إلى باب الاقشين بقرب المطيرة أؤمل أن أدرك أبا دلف من قبل أن يحدث عليه حادثة. فلما بلغت بابه كرهت أن أستأذن فيعلم أنى قد حضرت بسبب أبى دلف فيعجل عليه فدخل فدخلت على دابتي إلى الموضع الذى كنت أنزل فيه وأوهمت حاجبه أنى قد جئت برسالة من المعتصم، ثم نزلت فرفع الستر فدخلت فوجدت الاقشين في مجلسه، وأبا دلف مصفدا بالحديد بين يديه على نطع وهو يقرعه ويخاطبه بأشد عضب وأغلظ مخاطبة فحين قربت منه أمسك. فسلمت وأخذت مجلسي ثم قلت للاقشين: قد عرفت حرمتي بأمير المؤمنين وخدمتي إياه، وموضعى عنده، وموقعي من رأيه وتفرده بالصنيعة عندي، والاحسان إلى وعلمت مع ذلك ميلى اليك ومحبتي لك وقد رغبت إليك فيما يرغب إليه مثلى إلى مثلك ممن رفع الله قدره، وأجل خاطره، وأعلى همته فقال: كلما قلت وكلما أردته منى فهو مبذول لك خلا هذا الجالس فانى لا أشفعك فيه. فقلت: ما جئتك إلا في أمره، ولا ألتمس منك غيره ولولا شدة غضبك وما تتوعده به من القتل لكان في جميل عفوك ما أغنى عن كلامك، ولكني لما عرفت غضبك وما تنقمه عليه احتجت مع موقعه منى إلى كلامك في أمره، واستيهاب عظيم جرمه إذ كان مثلك في جلالتك إنما يسئل جلائل الامور فقال يا أبا عبد الله. هذا رجل طلب دمى، ولم يقتصر على إزالة نعمتي، ولا سبيل إلى تشفيعك فيه، ولكن هذا بيت مالى، وهذه ضياعي وكل ما أملك فخذ من ذلك ما أردت. فقلت: بارك الله لك في مالك وثمرها لك، ولم آت لهذا وإنما أتيت في مكرمة يبقى فضلها، وتحسن أحدوثتها، وتعتقد بها منة في عنقي لا أزال مرتهنا بشكرها. فقال: ما عندي في هذا شئ البتة. فقلت له: القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها فاستبقه وأنعم عليه فان لم تره لهذا أهلا فهبه للعرب كلها، وأنت تعلم أن ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب، ومن ذلك ما كان من كسرى إلى النعمان حتى ملكه، وأنت اليوم بقية العجم فأنعم على شريف من العرب بالعفو عنه، فقال: ما عندي في هذا إلا ما سمعته، وتنكر وتبينت الشر في وجهه. فقلت في نفسي: أنصرف وأدع هذا يقتل أبا دلف لا والله، ولكن أمثل بين يديه قائما وأسأله فلعله يستحى

فقمت وتوهمنى أريد الانصراف فتحضر لى. فقلت: لست أريد الانصراف وإنما مثلت بين يديك طالبا راغبا ضارعا سائلا مستوهبا هذا الرجل منك. فكان جوابه أغلظ فتحيرت. فقلت: انكب على رأسه فأقبله فدخلني من ذلك أنفة شديدة وقلت: أقبل رأس هذا النذل لا يكون هذا أبدا ثم راجعتني الشفقة على أبى دلف فقلبت رأسه وتضرعت فلم يجبنى، فأخذ في ما قدم وما حدث وعدت فجلست وقلت يا أبا الحسن: قد طلبت اليك وتضرعت، ووضعت خدى لك ومثلت بين يديك، وقبلت رأسك فشفعني وأصرفني شاكرا فهو أجمل بك. قال: لا والله ما عندي غير ما قلته لك. قلت: فأنا رسول

أمير المؤمنين اليك وهو يقول لك لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثا فانك إن قتلته قتلت به. قال: يقول أمير المؤمنين هذا لى بعد أن أطلق يدى عليه ؟ قلت: نعم. أنا رسوله اليك بما قلته لك فان كنت في الطاعة فاسمع وأطع، وإن كنت قلت لا طاعة فافعل ؟ ! ونفضت يدى في وجهه ونهضت فاضطرب حتى لم يقدر أن يدعو لى بدايتى، وركبت فأعددث السير إلى المعتصم لاخبره الخبر وبما اضطررت إليه من تأدية رسالة باطلة عنه، لانى علمت أنه لم يقل لى ما قاله إلا وهو يحب استبقاء أبى دلف فانتهيت إلى الجوسق في وقت حار والحجاب جميعا نيام والدار خالية فانتهيت إلى ستر الدار التى فيها المعتصم وجلست وقلت إن جاء الاقشين دخلت معه وتكلمت، وإن سأل الوصول أخبرت أمير المؤمنين الخبر كله. فبينما أنا كذلك إذ خرج خادم صغير من وراء الستر، ثم دخل وخرج فقال: ادخل. فدخلت وقلت يا أمير المؤمنين: أما لى حرمة ؟ أما لى زمام ؟ اما لى حق ؟ أما في فضل أمير المؤمنين ونعمته على ما يجب رعايته ؟ فقال: مالك يا أبا عبد الله ما قصتك ؟ اجلس. اجلس. فقلت يا أمير المؤمنين قلت لى اليوم في القاسم بن عيسى قولا علمت أنك تريد استنقاذه، وحقن دمه فمضيت من فورى إلى أبى الحسن الاقشين، وقصصت عليه القصة، وكلما دخلت معه في الكلام يتغيظ ويفتل سباله حتى إذا أردت أن أعرفه الرسالة التى أديتها عنه قطع كلامي وقال يمضى قاضى وصنيعتي أحمد بن أبى داود إلى جندي فيخضع له، ويقف بين يديه، ويقبل رأسه فلا يشفعه قتلني الله إن لم أقتله يكررها

فما استوفى كلامه حتى رفع الستر ودخل الاقشين فلقيه بأكبر البر والاكرام وأجلسه بقربه، وقال في هذا الوقت الجار يا أبا الحسن ؟ فقال يا أمير المؤمنين رجل عرفت ما نالنى منه وأنه طلب دمى، وقد أطلقت يدى عليه ويجيئني هذا ويقول إنك بعثت به إلى تأمرني أن لا أحدث فيه حدثا، وإنى إن قتلته قتلت به فأظهر الغضب وقال: نعم أنا أرسلته اليك فلا تحدث على القاسم بن على حدثا، فنهض الاقشين مغضبا يدمدم واتبعته لاتلافاه فصاح بى المعتصم ارجع يا أبا عبد الله فرجعت. وقلت يا أمير المؤمنين إنه باق مما جرى كلاما قد قطعتني بكلامك عن تكملته وهى بمعنى الرسالة قال قد فهمتها والقاسم بن عيسى يوافيك العشية فاحذر أن تتفوه بشئ مما جرى ؟ ومضى الاقشين فأطلق القاسم وخلع عليه فجاءني القاسم من عشيته وما أخبرت بالحديث أحد حتى قتل الاقشين ومات المعتصم. قال قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربية أن ملكا من ملوكهم قدم إليه صاحب مائدته عضادة اسفيد باج فسقطت منها نقطة على ذراع الملك فأمر بقتل الرجل فقال الرجل: أعيذ الملك بالله من أن يقتلنى ظلما لغير ذنب قصدته. فقال الملك: قتلك واجب ليتعظ بك غيرك فلا يمهل الخدمة فأخذ الرجل العضادة فصبها بأسرها على الملك وقال: أيها الملك تكرهت أن يشيع عنك أنك قتلتنى ظلما ففعلت هذا لاستحق القتل، ويزول عنك قبح الاحدوثة بظلم الخدم فشأنك الآن وما تريد. فقال الملك: ما أحصن الاجل قد عفوت عنك * قال أحمد بن أبى داود: وما رأيت رجلا عاين الموت فما اكترث به ولا شغله عما أراده حتى بلغه وخلصه الله من القتل إلا تميم ابن جميل فانى رأيته بين يدى المعتصم بالله، وقد بسط له النطع وانتضى السيف، وكان رجلا جسيما وسيما فأحب المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره، فقال له: تكلم. فقال: إما إذا أذن أمير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذى أحسن كل شئ خلقه، وبدأ خلق الانسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. يا أمير المؤمنين: جبر الله

بك صدع الدين، ولم بك شعث المسلمين، إن الذنوب تخرس الالسنة، وتخلع الافئدة، وأيم الله لقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك وأنشد: أرى الموت بين النطع والسيف كامنا * يلاحظني من حيث لا أتلفت وأكثر ظنى أنك اليوم قاتلي * وأى امرء مما قضى الله يفلت وأى امرء يدلى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت وما جزعى من أن أموت وأنني * لاعلم أن الموت شئ موقت ولكن خلفي بلية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرتى تتفتت كأنى أراهم حين أنعى إليهم * وقد لطموا تلك الوجوه وصوتوا فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة * إذ ود الردى عنهم وإن مت موتوا فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم: قد عفوت عنك من الهفوة، ووهبتك للصبية وأمر بفك قيوده وخلع عليه، وعقد عليه سقى الفرات. وقال أوتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فأحضر سيف ماض وسياف ونطع وقدم واحد منهم فقتل، ثم قدم غلام كان فيهم فقال يا معن: لا تقتل أسراك وهم عطاش. فقال اسقوهم ماء فشربوا. فقام الغلام فقال أيها الامير: لقد أطعنا في السؤال وإن لكل كبد حرا أجر، ونحن والله جياع فإن رأيت أن تشبعنا قبل قتلنا فافعل. فأمر لهم بطعام فأكلوا فلما شبعوا قام الغلام فقال أيها الامير: كنا أسراك والآن سرنا أضيافك. فقال خلوا عنهم فأطلقوهم جميعا * وقرأت في بعض الكتب كان موسى الهادى قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد لصيره لابنه من بعده ويخرج هارون من الامر فلم يجب إلى ذلك، فأحضر يحيى بن خالد البرمكى ولطف به وداره ووعده ومناه وسأله أن يشير على هارون بالخلع فلم يجب يحيى إلى ذلك ودافعه عنه، وهدده الهادى وتوعده وجرت بينهما في ذلك خطوب وأشرف يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعته عن صاحبه إلى أن اعتل الهاذى علته التى مات فيها واشتد به فدعا يحيى وقال له: ليس

ينفعني معك شئ، وقد أفسدت أخى وقويت نفسه حتى امتنع مما أريده، ووالله لاقتلنك فدعا بالسيف والنطع وأبركه ليضرب عنقه. فقال له ابراهيم ابن ذكوان الحرانى يا أمير المؤمنين: إن ليحيى عندي يدا أريد أن أكافئه عنها فأحب أن تهبه لى الليلة وأنت في غد أعلا عينا وما تراه في أمره. فقال وما فائدة ليلة ؟ فقال: إما أن يعود صاحبه إلى رضاء أمير المؤمنين أو يعهدك في أمر نفسه وولده فأجابه. قال يحيى فأقمت من النطع وقد أيقنت بالموت وعلمت أنه لم يبق من أجلى إلا بقية الليلة فما اكتحلت غمضا إلى السحر سمعت صوت القفل ففتح عنى فلم أشكك أن الهادى استدعاني للقتل لما انصرف إبراهيم كاتبه وانقضت الليلة فإذا بخادم قد أقبل وقال: أجب السيدة. فقلت: مالى وللسيدة ؟ فقال: قم. قال: فقمت فأتيت الخيزران. فقالت لى: إن أمير المؤمنين قد مات، ونحن نساء فأدخل وأصلح أمره، وأنفذ إلى هرون فجئ به فدخلت فإذا هو ميت على فراشه وأمة العزيز تبكى على رأسه فغمضته وشددت لحيته، وحمدت الله على لطيف صنعه وتفريجه ما كنت فيه، وبادرت إلى هرون فوجدته نائما فأيقظته فلما رأني عجب وقال ويحك: ما الخبر ؟ فقلت يا أمير المؤمنين: قم إلى دار الخلافة. فقال: مات موسى قلت: نعم. فقال الحمد لله هاتوا ثيابي فقبل أن يلبسها جاءني من عرفني سرا أنه قد ولد له ابن من مراجل، ولم يكن عرف الخبر فقلت أقر الله عينك يا أمير المؤمنين بابن مراجل فحمد الله كثيرا وسماه عبد الله المأمون وركب وأنا معه إلى دار الخلافة. ووجدت في بعض الكتب أن الحجاج كان يستعرض قوما من أصحاب ابن الاشعث فقتل منهم جماعة ثم جئ برجل فأمر بضرب عنقه فقال أيها الامير: إن لى عليك حقا. فقال: إنه سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه قال ومن يعلم هذا ؟

فصاح الرجل: أنشد الله رجلا سمع ذلك إلا شهد به فقام من الاسرى رجل وقال: قد كان ذلك. قال: خلوا عنه. ثم قال للشاهد: ما منعك أن تنكر سبى كما أنكر هو ؟ قال: قديم بغضى لك. فقال خلوا عنهما هذا ليده

وهذا لصدقه * وذكر المدايني في كتابه يرفعه إلى رجل كان من أسراء الحجاج من أصحاب بن الاشعث قال: جعل الحجاج يقتل عامة يومه الاسراء وبقيت منا جماعة قليلة، وأتى برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج: والله لان كنا أسأنا الفعل فما أحسنت في العقوبة، ولئن كنا لزمنا الجناية فما كرمت في العفو. فقال: رده يا حرسي كيف قلت ؟ فأعاده. فقال الحجاج صدقت والله أف لهذه الجيف والجثث أما كان فيها أحد ينبهنا كما نبهتنا أطلقوا عنه * وذكر المدايني في كتابه عن معمر بن المسنى قال: أتى الحجاج بقوم ممن كانوا خرجوا عليه أمر بهم فقتلوا، وأقيمت الصلاة وقد بقى منهم رجل واحد فقال الحجاج لعنبسة: انصرف بهذا معك واغد على غدا. قال عنبسة فخرجت به فلما سرنا في الطريق قال هل فيك خير ؟ قلت: وما ذاك. قال إنى والله ما خرجت على المسلمين، ولم أستحل منا لهم، وعندي ودائع وأموال فتخلى عنى حتى آتى أهلى وأرد على كل ذى حق حقه واجعل الله لك على أنى أتصبح عندك في غد فتعجبت منه وتضاحكت ومضينا ساعة فأعاد على القول. فقلت له: اذهب فذهب. فلما توارى عنى شخصه سقط في يدى فأتيت أهلى فأخبرتهم فقالوا: لقد اجترأت على الحجاج وبتنا بأطول ليلة فلما طلع الفجر إذا به قد جاءني. فقلت: أرجعت ؟ فقال: سبحان الله جعلت الله عزوجل شاهدى ثم لم ارجع. قال فانطلقت إلى الحجاج فقال: أين أسيرنا ؟ قلت أصلح الله الامير هو بالباب وقد كانت لى وله قصة. قال: وما هي ؟ فأخبرته الخبر، وأدختله عليه فقال لى: أتحب أنى أهبه لك. قلت: نعم. قال هو لك. فقلت للرجل خذ أي طريق شئت فرفع بصره إلى السماء وقال: الحمد لله وانصرف. وما كلمني بكلمة فقلت في نفسي هذا مجنون فلما كان في غد أتانى فقال يا هذا: جزاك الله خيرا أنى ما جهلت قدر ما صنعت ولكن كرهت أن أشرك في حمد الله أحدا * وذكر محمد بن عمر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: حبس رجل وقد وجب عليه حد، فلما رفع خبره أمر بضرب عنقه فقال المخبر: فدخلت بعدها الحبس إلى رجل بينى وبينه سبب أتفقد خبره فرأيت الذى أمر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت للذى دخلت إليه أنا أعلم بضرب عنق

ذلك الانسان فما أفرغ قلبه يلعب بالنرد وهو محبوس. قال صاحبي: اظرف من هذا أنه قد أمر بضرب عنقه، وقد علم بذلك وهو ذا ترى حاله قال: فازددت تعجبا ففطن الرجل لما نحن فيه فأخذ بيده فصا من فصوص النرد فرفعه وقال إلى: إن يسقط هذا من يدى إلى الارض تكون قد حدثت أمور. فخرجت وأنا متعجب منه مفتكر في قوله فما أمسينا ذلك ذلك اليوم حتى سعت الجند وفتحت السجون وخرج من كان فيها والرجل فيهم وسلم من القتل.

الباب التاسع من شارف الموت بحيوان مهلك رآه * فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه عن ابراهيم الخواص قال: ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا إلى مكان لا ندرى أي مكان هو فأقمنا فيه أياما لا نجد ما نقتاته فأحسسنا بالموت فقال بعضنا لبعض تعالوا حتى نجعل الله على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضنا: لا أفرط الدهر. وقال بعضنا: أصلى كل يوم كذا وكذا ركعة. وقال بعضنا: أدع اللذات، إلى أن قال كل منا شيئا، وأنا ساكت فقالوا لى: قل شيئا. فلم يجئ على لساني إلا أن قلت لا آكل لحم فيل أبدا. فقالوا: الهزل في مثل هذا الحال ؟ فقلت: والله ما تعمدت الهزل، ولكني منذ بدأتم وأنا أعرض على نفسي شيئا أدعه لله عزوجل فلا تطاوعني ولا يخطر على قلبى غير الذى لفظت به وما أجرى هذا على لساني، ولا ألهمه قلبى إلا لامر. فلما كان بعد ساعة قال بعضنا: لم لا نطوف في هذه الارض متفرقين فنطلب قوتا فمن وجد شيئا أنذر به الباقين والموعد هذه الشجرة. قال: فتفرقنا في الطرق فرجع أحدنا بولد فيل صغير فلوح بعضنا لبعض فاجتمعنا فأخذه أصحابنا واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون وقالوا: تقدم. فقلت: أنتم تعلمون أننى منذ ساعة تركته لله عزوجل، وما كنت لارجع في شئ تركته له، لعله جرى ذلك على لساني لاجل موتى من بينكم، لانى ما أكلت شيئا منذ أيام، وما أطمع في شئ آخر، وما يرانى الله أنقض عهده ولو مت، واعتزلتهم وأكل أصحابي وأقبل الليل، وتفرقنا إلى مواضعنا التى كنا فهيا نبيت وأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها فلم يكن إلا لحظة فإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر، والصحراء تتدكدك بنعيره وشدة شغبه وهو يطلبنا. فقال بعضهم: قد حضر الاجل فاستسلموا وتشهدوا وأخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم

على وجوههم فجعل الفيل يقصد واحدا واحدا فيشمه من أول جسده إلى آخره فإذا لم يبق فيه موضع إلا شمه شال إحدى قوائمه فوضعها عليه وفسخه فإذا علم أنه قد أتلفه، قصد آخر ففعل به مثل فعله في الاول إلى أن لم يبق غيرى وأنا جالس منتصب أشاهد ما جرى وأستغفره وأسبحه. فقصدني الفيل فحين قرب منى رميت نفسي على ظهرى، ففعل بى من الشم كما فعل بأصحابى، ثم أعاد شمى مرتين أو ثلاثا ولم يكن فعل بأحد منهم ذلك وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعا، ثم لف خرطومه على فشالنى في الهواء فظننته يريد قتلى بقتلة أخرى فجهرت بالاستغفار فما نحى خرطومه حتى جعلني فوق ظهره فانتصبت جالسا واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي، وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى أخرى، وأنا أحمد الله عزوجل على تأخير الفيل قتلى وأطمع في الحياة، وتارة أتوقع أن يثور بى فيقتلتى فأعاود الاستغفار، وأنا أقاسى في ذلك وأتجرع من الالم الشديد لسرعة سير الفيل أمرا عظيما. فلم أزل على ذلك إلى أن طلع الفجر واشتد ضوءه فإذا به قد لف خرطومه على فقلت قد حضر الاجل، فاستكثرت من الاستغفار فإذا به قد أنزلنى من ظهره وتركني على الارض ورجع إلى الطريق التى جاء منها وأنا لا أصدق فلما غاب عن عينى ولم أسمع له حسا خررت ساجدا لله سبحانه فما رفعت رأسي حتى أحسست بالشمس، فإذا أنا على ظهر محجة عظيمة فمشيت عليها نحوا من فرسخين فانتهيت إلى بلد كبير فدخلته فعجب أهله منى وسألوني عن فأخبرتهم بالقصة فزعموا أن الفيل سار في هذه الليلة مسيرة أيام، واستطرفوا سلامتي وأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدائد التى قاسيتها وتندى بدنى ثم سرت مع التجار إلى بلد على شاطئ البحر فركبته ورزقني الله السلامة إلى أن عدت إلى بلدي. قال: حدثنى أبو بكر البسطامى

صاحب ابن دريد وكان زوج ابنته، وكان شيخا من أهل الادب والحديث وقد استوطن الاهواز سنين وكان ملازما

لابي رحمه الله يتفقده ويبره قال: كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة طويلة منقطعة وآيست منه فجلست يوما تأكل فحين كسرت لقمة وأومت بها إلى فيها وقف بالباب سائل مستطعم فامتنعت من أكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يومها وليلتها فما مضت إلا أيام يسيرة بعد ذلك حتى عاد ابنها فأخبرها بشدائد عظيمة مرت به. وقال: أعظم شئ جرى لى، كنت منذ أيام أسلك أجمة عظيمة في الموضع الفلاني إذ خرج على أسد فقبض على من على ظهر حمار كنت راكبه وعاد الحمار وتشبكت مخالب الاسد في ثياب كانت علي فما وصل إلى بدنى كثير شئ من مخالبه وذهب أكثر ثيابي فأدخلني الاسد الاجمة وبرك ليفترسني فرأيت رجلا عظيم الخلقة أبيض الوجه والثياب قد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح على قفا الاسد وشاله وخبط به الارض وقال: قم يا كلب لقمة بلقمة. فقام الاسد هاربا يهرول وثاب إلى عقلي وطلبت الرجل فلم أجده وجلست ساعات إلى أن ثابت إلى قوتي ثم نظرت إلى نفسي فلم أجد بها بأسا فمشيت حتى لحقت بالقافلة التى كنت فيها فتعجبوا لما رؤنى فحدثتهم حديث ولم أدر معنى القول من الرجل لقمة بلقمة فنظرت إلى المرأة فإذا هو وقت أن أخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها * وجدت في دفتر عتيق عن بعضهم. قال: خرجت إلى الحائر في أيام الحنبلية أنا وجماعة مختفين فلما صرنا في أجمة بر قال لى رفيق منهم يا فلان: إن نفسي تحدثني أن السبع يخرج فيفترسني من بين الجماعة، فإن كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأده إلى عيالي في منزلي، فقلت له هذا استشعار يجب أن تتعوذ بالله منه وتضرب عن الذكر فيه. قال: فما مضى على هذا الامر إلا يسير حتى خرج الاسد فحين رآه الرجل سقط عن حماره يتشهد وقصده الاسد من بين الجماعة فأخذه ودخل به الاجمة وسقت الحمار وأسرعت مع القافلة وبلغت الحائر وزرنا ورجعنا إلى بغداد واسترحت في بيتى يوما أو يومين، ثم أخذت الحمار وجئت به إلى منزله لاسلمه إلى عياله فدققت الباب فخرج إلى الرجل بعينه فعانقني وبكا وبكيت وقلت حدبثك ؟ فقال: إن السبع ساعة أخذني وجرني إلى الاجمة وأنا لا أعقل أمرى سمعت

صوت شئ ورأيت السبع قد خلانى ومضى ففتحت عينى فإذا الذى سمعته صوت خنزير، وإذا السبع لما رآه عن له أن يتركني ومضى فصاده وبرك عليه يفترسه، وأنا أشاهده إلى أن فرغ منه ثم رجع السبع من الاجمة وغاب عن عينى فسكنت وتأملت حالى فوجدت مخالبه قد وصلت إلى فخذي قليلا، وقوتي قد عادت فقلت: لاى شئ جلوسي فقمت أتسحب في الاجمة أطلب الطريق فإذا بجيف ناس وبقر وعظام بالية وأثر من افترسهم الاسد فما زلت أتخطاها حتى انتهيت إلى رجل قد أكل الاسد بعض جسده وبقى أكثره وهو طرى وفى وسطه هميان قد تخرق بعضه وظهرت منه دنانير فتقدمت فجمعتها وقطعت الهميان، وأخذت جميع الدنانير وتتبعتها حتى لم يفتنى منها شئ وقويت فضل قوة فأسرعت في المشى وطلبت الجادة فوقفت عليها وأقمت أمشى إلى بعض القرى، واستأجرت حمارا وعدت إلى بغداد ولم أمض إلى الزيارة لانى خشيت أن تسبقوني وتذكروا خبرى فيصير عند عيالي مأتم فسبقتكم وأنا أعالج فخذي، وإذا من الله عزوجل بالعافية عدت إلى الزيارة. وحدثني بهذا

الحديث غير واحد من أهل بغداد * حدثنى أبو جعفر أصبغ بن أحمد بن شبح وكان بحجب أبا محمد المهلى رحمة الله عليه قبل وزارته. فلما ولى الوزارة كان يصرفه في الاستحثاث على العمال، وفى الاعمال التى يتصرف فيها العمال الصغار قال: كنت بشيراز مع أبى الحسن على بن خلف بن طبات وهو يتولى عمالتها يومئذ، فجاء مستحثا من الوزير يطاليه بحمل الاموال. وكان أحد الغلمان الاكابر قد كوتب باكرامه فأحضره أول يوم طعامه وشرابه فامتنع من مؤاكلته وذكر أن له عذرا. فقال: لابد أن تأكل. فأكل بأطراف أصابعه ولم يخرج يده من كمه وكاد كمه يدخل في الغضائر وينالها الغمر، فلما كان في غد قال على بن خلف: ليدعه كل يوم واحد منكم فكانوا يدعونه ويدعون بعضهم بعضا. فتكون صورته في الاكل واحدة فنقول: لعل به برصا أو جذاما إلى أن بلغت النوبة إلى فدعوته ودعوت الحاشية وجلسنا نأكل وهو يأكل معنا على هذه الصورة فسألته إخراج يده والانبساط في الاكل فامتنع من إخراج يده. فقلت له: يلحقك تنغيص بالاكل هكذا فأخرجها على أي شئ

كان بها فانا نرضى به. قال: فكشفها فإذا فيها وفى ذراعه ضربات بعضها فيه بقة أدوية يابسة وهى على أقبح ما يكون من المنظر فأكل معنا غير محتشم، وقدم الشراب فشربنا فلما أخذ منا الشراب سألته عن سبب تلك الضربات فقال: هو أمر طريف أخاف أن لا أصدق فيه ولا يجمل بى الحديث به. فقلت: لابد أن تتفضل. قال: كنت عام أول بقريب من هذا الوقت قائما بحضرة الوزير فسلم إلى كتابا إلى عامل دمشق ومنشورا وأمرني بالتوجه إليه وإزهاقه بالمطالبة بحمل المال، ورسم أن أخرج على طريق السماوة لا تعجل وكتب إلى عامل هيت بإنفاذى مع خفارة فلما حصلت هيت استدعا العامل جماعة من أحياء العرب وضمني إليهم وأعطاهم مالا على ذلك وأشهد عليهم بتسلمي واحتاط في أمرى، وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة وتتوقى البرية فآنسوا وسألوني أن آخذ لنفسي مالا وللاعراب مالا، وأوصلهم في الخفارة ويسيرون معى ففعلت ذلك. فصرنا قافلة عظيمة وكان معى من غلماني من يحمل السلاح وهم يقربون من العشرين غلاما، وفى حمالى القافلة، والتجار يحملون السلاح أيضا فرحلنا عن هيت، ودخلنا في البرية ثلاثة أيام بلياليها فبينما نحن نسير إذ لاحت لنا خيل فقلنا للاعراب ما هذه الخيل ؟ فتسرع منهم قوم ثم عادوا كالمنهزمين وقالوا: قوم من بنى فلان بيننا وبينهم دم، ونحن طلبتهم ولا ثبات لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم وركضوا متفرقين، وبقينا نحن متحيرين ولم نشك أنهم كانوا بعض أهلهم وإن ذلك فعل على مواطأة فجمعت القافلة، وطفت بها أنا وغلماني ومن كان منهم يحمل السلاح متساندين كالدائرة وقلت لمن كان معى: لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا ويدعون جمالنا لننجوا عليها كان هذا أسهل، ولكن الجمال والدواب أول ما تؤخذ وتتلف في البرية ضعفا وعطشا فاعملوا على أن نقاتل فان هزمناهم سلمنا وإن قتلناهم كان أسهل. فقالوا: نفعل. وقدم القوم فقتلنا لهم عدة خيل، وجرحنا منهم غير جريح وما ظفروا منا بعود فباتو قريبا منا حنقين علينا، وتفرق الناس للاكل والصلاة واجتهدت بهم أن يجتمعوا، ويبيتوا تحت السلاح فخالفوني، وكانوا قد آمنوا ونام بعضهم فغشينا الخيل فلم يكن عندنا ممانعة

فوضعوا فينا السيوف، وكنت أنا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأيى وعلموه من أنى رئيس القافلة فقطعوني بالسيوف

ولحقتني هذه الجروحات وفى بدنى أضعاف أضعافها. قال: وكشف لنا عن أكثر جسده فإذا به أمر عظيم لم ير مثله في بشر قط. قال: وكان في أجلى تأخير فرميت نفسي بين القتلى لا يشك في تلفى. قال: فلما كان بعد ساعة أفقت فوجدت في نفسي قوة والعطش بى شديد فلم أزل أتحايل حتى قمت أطلب من القافلة قدح ماء لاشرب منها فلم أجد أحدا، ورأيت من القتلى والمجروحين الذين هم في آخر رمق وسمعت من أنينهم ما أضعف نفسي وأيقنت بالتلف وقلت: غاية ما أعيش إلى أن تطلع الشمس، فملت أطلب شجرة أو محلا لاجعله ظلا لى من الشمس إذا طلعت فإذا بى قد عثرت بشئ عظيم لا أدرى ما هو من الظلمة، وإذا أنا منبطح عليه بطولى وطوله فثار من تحتي فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الاعراب فإذا هو أسد فحين علمت ذلك طار عقلي، وقلت: إن استرخيت افترسني فعانقت رقبته بيدى ونمت على ظهره وألقيت بطني بظهره وجعلت رجلاى تحت مخصاه وكانت دمائي تجرى فحين دخلنى ذلك الفزع الشديد رقى دمى وعلق شعر الاسد بأفواه الجروحات فصار سدادا لها وعونا على أن أمسك نفسي فوقه، وورد على الاسد منى أظرف مما ورد على منه فأقبل يجرى كما تجرى الفرس على طريق وأنا أحس بروحى وأعضائي تتقصف من شدة جريه، فلم أشك في أنه يقصد أجمته فيلقيني إلى لبوته فتفترسني إلا أنى ضبطت نفسي، وأنا أؤمل الفرج وأدافع الموت، وكلماهم الاسد أن يربض ضربت مخصاه برجلي، فيطير وأنا أعجب من نفسي ومطيتي وأدعوا الله عزوجل وأرجوه، وما زلت على ذلك إلى أن ضربني نسيم السحر فقويت نفسي وأقبل الفجر يضئ، فتذكرت طلوع الشمس فجزعت ودعوت الله عزوجل فما كان أسرع من أن سمعت صوتا ضعيفا لا أدرى ما هو، ثم قوى فشبهته بناعورة. قال: والاسد يجرى وقوى الصوت فلم أشك في أنه ناعورة ثم صعد بى الاسد إلى تل فرأيت منه بياض ماء الفرات، وهو جار وناعورة تدور والاسد يمشى على شاطئ الفرات برفق إلى أن

وجد شريعة فنزل منها إلى الماء، وأقبل يسبح ليعبر فقلت في نفسي: ما قعودي ؟ لئن لم أتخلص هنا ما تخلصت أبدا فما زلت أرفق حتى خلصت شعره من أفواه جراحاتي وسقطت وسبحت منحدرا وأقبل الاسد يشق الماء عرضا فبينما أنا أسبح نظرت جزيرة فقصدتها وحصلت فيها وقد بطلت قوتي وذهب عقلي وطرحت نفسي عليها كالتلف فلم أحس إلا بحرارة الشمس قد نبهتنى فرجعت أطلب شجرة رأيتها في الجزيرة لاستظل بها فرأيت السبع مقعيا على ذنبه بشاطئ الفرات فقل فزعي منه، وأقمت مستظلا بالشجرة أشرب من ذلك الماء إلى العصر فإذا أنا بزورق منحدر فصحت به وحلفت لهم أن ما بالجزيرة أحد سواى، وأومأت لهم إلى الاسد وقلت لهم: قصتي ظريفة طويلة وأن تجاوزتموني كنت أنتم قد قتلتموني فالله الله في. فرقوا لى ودخلوا إلى يحملونى فلما صرت في الزورق ذهب عقلي فما أفقت إلا في اليوم الثاني فإذا على ثياب نظاف، وقد غسلت جراحاتي وجعل فيها الزيت وأدوية وأنا بصورة الاحياء فسألني أهل الزورق عن حالى فحدثتهم وبلغنا إلى هيت فأنفذت إلى العامل من عرفه خبرى فبعث لى من يحملنى إليه فتوجع لى وقال: ما أظن أنك أفلت فالحمد لله. فحدثته كيف نجيت فعجب وقال: بين الموضع الذى قطع عليكم وبين الموضع الذى حملك أهل الزورق منه مشاق أربعين فرسخا على غير محجة. فأقمت عنده أياما، ثم أعطاني نفقة وثيابا وزورقا فجئت إلى بغداد فكنت أتعالج عشرة أشهر حتى صرت هكذا ثم خرجت وقد افتقرت وأنفقت جميع ما كان في بيتى فلما أقمت بين يدى الوزير رق لى وأطلق لى مالا وأخرجنى اليكم. حدثنى على ابن نصيف المعروف بشهد ابخه، وسعيد بن عبد الله السمرقندي الفقيه عن شخص

حدثهما أنه بات في سطح خان في بعض الاسفار، ومعه رجل وزوجته وقرد له فنام الناس وأخذني الارق فلما هدأت العيون رأيت القرد قد قلع المسمار الذى فيه السلسلة ومشى نحو المرأة ولم أعلم ما يريد فقمت فرأني القرد فرجع إلى مكانه، ثم فعل ذلك دفعات وأنا أقوم

فلما طال الامر جاء إلى وفتح خرجا وأخرج منه صرة دراهم ظننت أن فيها أكثر من مائة درهم ورمى بها إلى. فعجبت من ذلك وقلت في نفسي أمسك لانظر ما يفعل فجاء إلى المرأة فمكنته من نفسها فواقعها، فاغتممت بتمكيني إياة من ذلك وحفظت الصرة فلما كان في الغد صاح صاحب القرد يطلب ما ذهب منه وقال لصاحب الخان: إن قردى يعرفني من أخذ هذه الصرة فتقفل باب الخان واقعد أنا وأنت ويخرج الناس فمن علق به القرد فهو خصمى ففعل ذلك وأقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فما تعرض لى، فوقفت خارج الخان أنظر ما يجرى فلما لم يبق أحد خرج رجل يهودى فتعلق به القرد فقال: القراد: هو خصمى وجذبه ليحمله إلى صاحب الشرطة فلم أستحل حينئذ السكوت. فقلت: يا قوم ليس اليهودي صاحبكم وإنما أنا صاحبكم والصرة معى ولى قصة ظريفة في أخذها وأخرجتها، وقصصت عليهم القصة فحملنا إلى صاحب الشرطة وحضرت الصرة فعرفوا صاحب الشرطة محلى ومنزلي ويساري وأقبل القراد يحيد عن القرد فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت المرأة فهربت وسلم اليهودي. حدثنى الحسن بن صافى مولى محمد بن المتوكل القاضى. قال: حدثنى غلام كان أبق منى. قال: إنى كنت أسير ماشيا في وسط بغداد فلما صرت بين دير العاقول والسيب وأنا وحدي في يوم صائف له ريح شديد رأيت بالعبد منى غيطة عظيمة قد خرج منها سبع، فحين رأني وحدي أقبل يهرول إلى فذهب على أمرى وأيقنت بالهلاك وتخدر بدنى كله وألهمت أن آخذ منديلي وأحمله في رأس قصبة كانت معى ظنا أنى أقرعه بذلك وبينما أنا في تلك الحال من الاياس وبقى بينى وبينه نحو المائتي ذراعا إذ قلع الريح أصل حشيش يقال له بارق عينه، وصار يلتفت بالشوك حتى بقى كالكارة العظيمة والريح تدحرجه نحو السبع وبالقضاء تمكنت منه وصار حفيف شديد فحين رأني السبع وسمع الصوت رجع منصرفا وقد فزع فزعا شديدا وبقى يحول وجهه في كل عشر خطوات فإذا رأني وذلك الاصل في أثره يتدحرج يزيد

في الجرى إلى أن بعد عنى بعدا شاسعا ودخل الغيطة وعادت إلى نفسي ومضيت في طريقي. حدثنى القاضى أبو بكر أحمد بن سيار. قال: حدثنى شيخ من أهل النير ومكران رأيته بعمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته بالبحر وأنه دخل الهند والصين. قال: كنت ببعض البلدان بالهند وقد خرج على ملكها خارج فأنفذ إليه الجيوش فطلب منه الامان فأمنه فسار ليدخل إلى بلد الملك، فلما قرب أخرج الملك جيشا لتلقيه وكذا الآلات وخرجت العامة تنظر دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس ينتظرون طلوع الرجل فطلع وهو راجل في عدة رجال من أصحابه وعليه ثوب حرير ومئزر وفى وسطه جرى على زى القوم والجرى مدية معوجة الرأس من سلاح الهند فتلقوه باكرام، ومشوا معه حتى انتهوا إلى فيلة عظيمة قد أخرجت للزينة وعليها الفيالون ومنها فيل يحض الملك نفسه ويركبه في بعض الاوقات، فلما قرب منه. قال له الفيال: تنح عن طريق الفيل. فسكت عنه فأعاد عليه الفيال القول: فسكت. فقال: يا

هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك. فقال له الخارجي: قل لفيل الملك يتنحى عن طريقي. فغضب الفيال وأغرى الفيل به بكلام كلمه به فغضب الفيل وعمد إلى الخارجي فلف خرطومه عليه فقبض الخارجي بيده على الخرطوم وشاله الفيل إشالة عظيمة والناس يرون، وأنا فيهم وخبط به الارض فإذا هو قد انتصب قائما على قدميه فوق الارض ولم ينح يده عن الخرطوم فزاد غضب الفيل فأشاله أعظم من تلك وعدا ثم رمى به الارض، فإذا هو قد حصل عليها مستويا على قدميه منتصبا قابضا على الخرطوم فسقط الفيل ميتا، لان قبضه الخرطوم تلك المدة كانت على النفس فقتله. قال: فوكل به وحمل إلى الملك وحدث بالصورة فأمر بقتله. قال: فاجتمعت الفحاب (بهذا اللفظ وهن النساء الفواجر يفعلن ذلك بالهند ظاهرا عند البر تقربا إليه بذلك عندهم قال وهن العدول يشهدن في الحقوق ويقمن الشهادة فيقطع بها حاكمهم في سائر الامور

ويعترض في الآراء لان عندهم أنهن بذلن أنفسهم عند البر بغير أجر وقد صرن في حكم العباد الزهاد) فقال القحاب للملك نحب أن نستبقي مثل هذا فإن فيه جمالا للملك، ويقال إن للملك خادما قتل فيلا بقوته وحيلته من غير سلاح فعفى عنه * عن أبى بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطي القاضى. قال: أخبرني وكيلان ثقتان كانا في ضعتين بنواحي الحامدة ونهر جعفر: قالا: خرجنا مع صناع عندنا إلى أجمة نقطع قصبا فرأينا شبلا كالسنور فقتله أحد قطاعي القصب فقالوا قطعنا الشبل، والساعة يجئ السبع واللبوة فإذا لم يرياه طلبانا ونحن نبيت في الصحراء بين القصب فيفترسانا. قال: فما كان بأسرع من أن سمعنا صوت السبع، فطرنا على وجوهنا واجتمعنا إلى دار خراب خارج الاكمة وعلونا على سطحها وكان فيها غرفة عليها باب كنا نأوى إليها ليلا فلما رأى السبع ولده قتيلا قصدنا فصار معنا في صحن الدار الخراب وكان بين يدى الغرفة صحنين فأخذ السبع يظفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولى وعلا فكه في الصحراء وصاح فجاءته اللبوة فظفرت مثله فما وصلت فخرجا وصاحا فأتاهما عدة سباع أخرى من السباع فظفروا فما قدروا على الوصول فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضع عشرة سبعا وكلما جاء واحد منهم ظفر إلينا فلم يبلغنا ونحن كالموتى خوفا من أن يصل إلينا واحد منهم فبينما نحن كذلك إذا اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجعلت أفواهها في الارض وصاحت صيحة واحدة فرأينا حفرة قد احتفرت في التراب من أنفاسهما فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع كلها وبصبصت بين يديه وحوله فجاء يقدمها وهى خلفه حتى رآنا في الغرفة وكنا قد أغلقنا الباب واجتمعنا كالحلقة لندفعه عن الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض ألواحه وأدخل جحره إلينا فعمد أحدنا إلى ذنبه وقطعه بمنجل كان معنا فصاح صيحة عظيمة منكرة وهرب فرمى بنفسه إلى الارض فلم يزل يخمش السباع السباع الباقين من بين يديه وهام في الصحراء وتبعه الباقون ونرلنا نحن لما لم يبق منهما شئ فلحقنا

القرية وأخبرناهم خبرنا فقال لنا شيخ منهم هذا السبع مثل الجرذ العتيق إذ قطع ذنبه يأكل الفار. حدثنا قاضى القضاة أبو السايب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمدان. قال: كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل دين فهرب منه وطالت غيبته فلقى الدائن المدين بعد مدة

في الصحراء منفردا، فقبض عليه وطالبه فحلف بالله أنه معسر وسأله الانتظار وقال لو انى أيسر الناس لما تمكنت هنا من دفع شئ إليك فأبى عليه وأخرج قيدا كان معه ليقيده حتى لا يهرب فتضرع إليه وسأله أن لا يفعل وبكى فلم ينفعه ذلك فيقده بالقيد ومشى إلى القرية بقرب الموضع الذى التقينا فيه فجاآها مساء وقد أغلق أهلها سورها واجتهدا في فتحها لهما فأبى أهل القرية ذلك عليهما فباتا في مسجد خراب على باب القرية وأدخل صاحب الدين رجله في حلقة من حلقة القيد حتى لا يهرب فجاء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجره فانجر المدين معه بسبب الحلقة التى في إحدى رجليه فلم يزل ذلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركبة صاحب الدين في القيد لحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية وأخبرهم الخبر فحلوا قيده وسار لحال سبيله حدثنى أبو جعفر بن مسعود بن عبد الله الضبى أن شيخا من التنا البصريين كان قد انتقل عنها إلى قرية له وضيعة بقرب نهر الدين فاستوطنها. قال: كان في هذا البستان - وأشار إلى بستان بجانب داره كثير الاشجار - أفعى تسمى الجراب لانها كانت بقدر الجراب الكبير طولا وسعة وانتفاخا فكثرت خيانتها حتى أخربت على هذه الضيعة فانتقلت عنها إلى الجانب الآخر من النهر وبطلت ضيعتي وصار هذا البستان كالاجمة لا يجسر أحد على دخوله فطلبت حواء من البصرة ليصيده وبذلت له على ذلك بذلا فجاء الحواء فتبخر

بدخنة معه فظهرت الافعى فحين رآها هاله أمرها وقصدته الافعى فنهشته فتلف في الحال فصار لى حديث بذلك وشاع الخبر فامتنع الحواؤن من المجئ وتغربت عن الضيعة وبطلت ميعشتى فيها وذات يوم كنت جالسا في النهر الآخر إذ جاءني رجل فسلم على وقال بلغني خبر أفعى عندك قد قتل فلان الحواء وأخرب عليك. ضيعتك فجئت لا تدلي عليك حتى آخده فقلت ما أحب تعرضك لهذا وقد صار لى بتلف ذاك الحواء ذكره فقال: إن ذلك الحواء كان أخى وأنا أريد أخذ ثأره أو اللحوق به قلت تشهد على نفسك أهل الانهار المجاورة إن هذا باختيارك لا بمسألة لى في ذلك. قال نعم: ففعل وأريته البسان قال أريد شيئا آكل فجئناه بطعام فأكل ثم أخرج دهنا كان معه فطلى به جميع بدنه. وقال لغلام كان معه: آنظر هل بقى موضع من غير ما أطليه. فقال له الصبى لا: فجلست أنا فوق السطح الذى كان في دارى أنظر فأخرج الحواء دهنه فتبخر بها فما كان بأسرع من أن ظهر الافعى كأنه دن فحين قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فلحقه وقبض عليه فالتفت الافعى وعضت يده فتركه الحواء وذهب عليه أمره فجئناه وحملناه فمات في الليل وانقلبت الناحية بحديث الافعى ومضى على هذا مدة. فجاءني رجل يشبه الرجل وسألني عما سألني عنه الاخوان فأخبرته بالخبر. فقال: الرجلان أخواى ولابد لى أن آخذ بثأرهما أو أكون اللاحق بهما فأشهدت عليه وأريته الموضع وصعدت إلى السطح فشرب هذا أقداحا كثيرة وأخرج دهنا كان معه وطلى به دفعات وكل مرة يسأل غلامه فيقول هل بقى موضع لم يبلغه الطلاء فيقول له الغلام أعد الطلاء فيعيده حتى طلا نفسه ثلاث دفعات وصار الدهن يسقط عن بدنه وبخر فخرج الافعى فطلبه الحواء فأخذ الافعى يحاربه ومكن الحاوى يده من قفاه فانثنى عليه فعض إبهامه فبادر الحواء فخرم فاه وجعله في سله، وأخرج سكينا وقطع ابهام نفسه، وغلا زيتا وكواها به وخر كالتالف

فحملناه إلى القرية فإذا بصبى من غلماني أتانى بليمونة. وكان إذ ذاك قليلا بالبصرة جدا وعندي شجرة واحدة. فحين رأى الليمون قال يا سيدى: هذا موجود عندكم ؟ قلت: نعم. قال: أغثنى بكل ما تقدر عليه فانا نعرفه في بلدنا أنه يقوم مقام الترياق. فقلت: وأين بلدك، قال: عمان. فأتيته بكل ما كان عندي فأقبل يقصمه ويسرع في أكله، وعمد إلى بعضه فاستخرج منه ماء، وأقبل يتحسى منه ويطلى به الموضع فأصبح في غد معافى سالما فسألته عن خبره قال: ما خلصني بعد الله عزوجل إلا ماء الليمون، وأظن أن أخواى لو اتفق لهما ذلك ما تلفا فقلت له: ذلك الدهن الذى طليت به نفسك ما هو ؟ قال: الطلق الذى لو طرح على الجسم لا يكون فيه خلل، وما ضرت النار الجسم، وإنما تلف أخواى لان بعض أبدانهما خلا من الطلا وجف بعض الدهن فقلت: وكيف تمكن منك الحية ؟ قال: لطول الوقت جف بعض الدهن فتمكن منى ولولا الليمون لتلفت فتعلمت منه استخراج ماء الليمون، وكنت أول من استخرجه بالبصرة، ونبه الناس على منافعه وجربته في الطبخ فوجدته طيبا وتداولته الناس قال: ثم أخرج الافعى فقطع رأسه وذنبه وغلاه في طنجير واستخرج دهنه وجعله في قوارير وانصرف. حدثنى عبد الوهاب بن محمد مهدى المعروف بأحمد بن أبى سلمة الشاهد الفقيه المتكلم العسكري في سنة خمسة وخسمين وثلاثمائة بعسكر مكرم: أنه شاهد رجلا مفلوجا حمل من اصفهان إلى عسكر مكرم ليعالج. قال: فطرح على باب خان في الجانب الشرقي منها قد هجر وفرغ منه أكثر العقارات لكثرة العقارب والجرارات فيه وفى خانين بجواره، وطلب له موضع ليسكنه فلم يوجد إلا في هذا الخان. فأنزله غلمانه وهم لا يعلمون حالته، وأنه أخلى لكثرة الجرارات فيه، وصعد أصحاب الرجل إلى السطح وتركوه في أسفله لما وصف لهم أن المفلوج لا يبيت على السطح. قال: فلما كان في الغد دخلوا عليه فوجدوه جالسا وكان طريحا لا يمكنه أن يتقلب من جنب إلى جنب، ووجدوا له لسانا فصيحا، وكان متكسرا بالعلة حتى أن الرجل مشى من يومه ذلك

فأحضر بعض الاطباء وسأل عن حاله، ففتشه فوجد أثر لسغ الجرارة في إبهام رجله اليسرى فقال له: انتقل الساعة من هذا الخان فإنه مشهور بكثرة الجرارات، وقد لسعتك واحدة منهن فأبرأتك، وعشت بشئ ما عاش به أحد قط، وقامت حرارتها ببرد الفالج فأزالته ولم تتجاوزه فتقتلك، وسيعقب ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع اليك رطوبة الفالج، وانتقل لئلا تلسعك أخرى فتتلف فانتقل الرجل، وتعاهده الطبيب فحم المفلوج من غد. فلطف به في علاجه حتى برأ. حدثنى عبيدالله بن محمد بن الصروى قال: كنت أتصرف مع المختار بن الغيث بن حمران أحد قواد بنى عقيل فسار وأنا في جملته مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع يطلب ناصر الدولة، وصار العسكر منتشرا سائرا بعجلة، وكان تحتي حجرة فصرت في أخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي ثم وردت الدابة ماء كان في الطريق وحمر ولم يمكنه أن يسير خطوة واحدة فخفت أن يدركنى من يأسرنى فنزلت عنها أمشى وفى عنقي سيف بجمائل، والمقرعة في يدى فسرت فراسخ حتى صعدت جبل سنجار، وكنت أحتاج أن أمشى فيه نحو الفرسخ ثم أنزل إلى سنجار فاحتبسني الليل واستنفذ المشى جلدى فخفت الوحوش في الجبل فطلبت موضعا أسكن فيه ليلتى فلم أجد، ورأيت جبابا منقورة في الجبل فطلبت أقربها قعرا ورميت فيه بحجر فظننت أن قعره قامة أو نحوها فرميت بنفسى فيه، وكان البرد شديدا. فنمت ليلتى لا أعقل من التعب والجوع فلما كان من الغد انتبهت وعندي أن الجب محفور كالآبار، وانى أضع رجلاى في جوانبه فأتسلق وأطلع فتأملت فإذا هو محفور كالتنور رأسه ضيق وأسفله شديد السعة، وجوانبه منقوشة فقمت في سوط الجب فإذا

هو أعلى من قامتى فتحيرت في أمرى ولم أدر كيف السبيل إلى الصعود، وطلعت الشمس وأضاء الجب، وإذا فيه أفعى مدور كالطبق بين حجرين، وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر ولم

يتحرك من مكانه، وهممت أن أجرد السيف وأقطعه به ثم قلت أتعجل شرا لا أدرى عاقبته، ولا منفعة لى في قتله لانى سأتلف في هذه البئر وهي قبري فما معنى قتل الافعى أدعه فلعله أن يبتدئ بالنهش فأتعجل التلف، ولا أرى نفسي تخرج بالجوع والعطش فأقمت يومى كله على ذلك، والافعى لم تتحرك، وأنا أبكى وأنوح على نفسي. وقد يئست من الحياة فلما كان من الغد أصبحت وقد ضعفت. فحملني حب الحياة على الفكر في الخلاص فقمت وجمعت من الحجارة الرقيقة شيئا كثيرا، ووضعتها في وسط الجب وعلوتها لتنال يدى طرف البئر فاحمل نفسي إلى رأسها فحين وضعت رجلى على الحجارة انهالت لرقتها وملاستها فلم أعد عملها، وأمضيت يومى كله وأنا مشتغل البال، وجاء الليل فلم يمكني أن أقوم من الجوع والضعف ثم حملني النوم. فلما كان من الغد فكرت في حيلة أخرى، ووقع لى أن شددت المقرعة التى معى بعلاقتها في حمائل السيف ودليت المقرعة إلى داخل البئر، وقد أمسكت بإحدى يدى فحصل جفن السيف فوق الجب معترضا لرأسه، وهى مدلاة إلى ثم سللت السيف. ولم أزل أقلع من أرض البئر ما يمكن نحته، وقلعه من تراب قليل ثم غيبت ذلك الرضراض وتعلقت على السيف المعترض وظفرت، وصار السيف معترضا في جفنه تحت صدري وظهرت يداى في البئر فحصل جوانبها تحت إبطى واستللت نفسي فإذا أنا قد خرجت منها بعد أن اعوج السيف، وكاد يندق ويدخل في بطني لثقلي عليه فوقفت خارج البئر مغشيا على من هول ما نالنى، ووجدت أسناني قد اصطكت وقوتى قد بطلت عن المشى. فما زلت أحبو وأطلب المحجة حتى وقفت عليها، ورأني قوم مجتازون فأخذوا بيدى، وقوى قلبى فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار، وقد بلغت روحي إلى حد التلف. فدخلت مسجدا فطرحت نفسي فيه، وأنا لا أشك في الموت وحضرت صلاة المغرب واجتمع أهل المسجد فيه وسألوني عن خبرى فلم يكن في مقدرة على الكلام فحملوني إلى بيت أحدهم، ولم يزالوا يصبون على حلقى الماء ثم المرق والثريد إلى أن فتحت عينى بعد العتمة فتكلمت وبت ليلتى بحال عظيم من الالم فلما كان من الغد دخلت الحمام، وأقمت عندهم أياما حتى برأت وأخرجت

نفقة كانت في وسطى فاستأجرت منها مركوبا ولحقت بصاحبي وسلم الله عزوجل * عن ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه المتغلب كان بأذربيجان لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر السلاد لما هربه عنها قال: إن بناحية اذربيجان واديا يقال له الرأس شديد جرية الماء جدا، وفى أرضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر من الماء، وبعضها مغطى بالماء، وليس للسفن فيه مسلك، وله أجراف هائلة، وبه قنطرة يجتاز عليها المارة. قال: كنت مجتازا عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة تمشى وتحمل ولدا طفلا في القماط فزاحمها بغل محمل فطرحت على القنطرة فزعا فسقط الطفل من يدها إلى النهر فوصل إلى الماء بعد ساعة لبعد ما بين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم رأينا الصبى قد طفا على وجه الماء، وقد سلم من تلك الحجارة، وكان الموضع كثير العقبان ولها أوكار في

أجواف هذا النهر، ومنها يصطاد أفراخها. قال: فحين ظهر الطفل في قماطه صادف ذلك عقابا طائرا فرآه فظنه طعمة، وانقض عليه وشبك مخالبه في القماط، وطار به وخرج إلى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة آن يركضوا وراء العقاب ففعلوا وتبعتهم بنفسى لمشاهدة الحال فإذا العقاب قد نزل إلى الارض وابتدأ يمزق قماط الصبى ليفترسه فحين رأوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبى فطار وتركه على الارض فلحقنا الصبى فإذا هو سالم ما وصل إليه جرح وهو يبكى فقايأناه حتى خرج الماء من جوفه وحملناه سالما إلى أمه. حدثنا أبو محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمى قال: رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التمساح. فسألت جماعة من أهل مصر عن ذلك فقالوا: هذا وطئ التمساح أمه فولدته. فكذبت ذلك وبحثت عن الخبر. فأخبرني جماعة من عقلاء أهل مصر أن التمساح بها يأخذ الناس في الماء من الشطوط القربية فيفترسهم وربما أخذهم إلى جباله، وهى جبال حجارة فيها مغارات إلى النيل لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيتسلق

التمساح إلى بعض المغارات فيودع بها الانسان الذى أخذه حيا أو ميتا بحسب الاتفاق ويتركه ويذهب فإذا جاع ولم يظفر بشئ عاد إليه فيفترسه فمرة واحد منهم قبض على امرأة وجعلها في المغار فذكرت المرأة أنها حين استقرت في المغار وانصرف التمساح رأت رجلا حيا وأثر جماعة قد افترسهم التمساح وأنها قد سألت الرجل عن أمره فذكر أن التمساح تركه هنا منذ يومين قالت وأخذ الرجل يؤنسني إلى أن طالبني بنفسى. فقلت يا هذا: اتق الله. فقال: التمساح قد مضى ومن ساعة إلى ساعة فرج ولعله أن يحتاز بنا سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا إليها وننجو فوعظته، ولم يلتفت إلى كلامي واغتصبني فواقعني ولم ينزل عنى حتى جاء التمساح وأخذه من فوقى ومضى فبقيت كالميتة فزعا فإنى لكذلك إذ سمعت وقع حوافر الخيل وصليل لجم وصوت أقوام كثيرين فأخرجت رأسي من الغار وصحت واستغثت فأطلع بعضهم وقالوا ما أنت. قلت حديثى طويل ارمولى حبلا فشددت نفسي وجزبونى فصرت معهم على ظهر المغار بعد أن توهمت وانسلخ بعض جلدى فسألوني عن خبرى فأخبرتهم حديث التمساح فأركبوني شيئا حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حيضى تأخر عنى ثم ظهر الحمل فولدت ابني هذا بعد تسعة أشهر وكرهت أن أخبر الناس بالحديث فنسبته إلى التمساح. حدثنى أبو القاسم بن الاعلم العلوى الفيلسوف. قال: خرجت من بغداد أريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمرو قرية من الكوفة أفضيت إلى أجمة هناك، وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكبا حمارا وورائي بمسافة قريبة غلام مملوك لى راكبا بغلة فلما وصلنا للاجمة رأيت ممشاة دقيقة في وسط الاجمة وعليها المسلك ويوصل إليها بهبوط فرمت النزول إليها فوقف الحمار من تحتي فضربته ضربا شديدا فلم يبرح فالتفت إلى كفله أتأمل ما بقوائمه فوجدت أسدا واقفا بينه وبين كفل الحمار نحو ذراع وأقل وإذا بالحمار عندما شم رائحته أصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه في الارض ولم يتحرك فلم أشك في التلف وأن الاسد سيمد يده فيجذبني من على الحمار فغمضت عينى لئلا أرى كيفية وجودي

في مخالبه وفمه وأقبلت أتشهد وأقرأ ومع هذا أجد عقلي ثابتا ومتصورا لهيئة الاسد ولم يفدني التغميض شيئا فاستدرت إليه

وفتحت عينى في عينه وأقبلت أتشهد خفيا والاسد فاتح فاه، وأنا أتأمل أسنانه ويصل إلى أنفى من فمه روائح منتنة وإنى لكذلك إذ لحقني الصبى المملوك على البلغة ومعه رجل ركب دابة ووراءهما قوم مشاة فحين رأني والاسد على تلك الصورة جزع جزعا شديدا وصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين ادركونا فقد أفترس الاسد مولاى فحين سمع الاسد الصياح من ورائه التفت فرأى الصبى فتناوله من على سرجه وغار البغل وصار الصبى في فم الاسد كالفأرة في فم السنور وأنا كالميت إلا أنى أرى كل شئ وأقبل الاسد يحمل على راكب الدابة والمشاة والصبى في فمه فهربوا منه ودخل الاجمة فقلت في نفسي قد فداني الله عزوجل بمملوكي فرميت نفسي من على الحمار وسرت أعدو حتى تلقاني قوم قد جاؤا من الكوفة ورأوا فزعي فسألوني عن أمرى فأخبرتهم فتقدموا يطلبون الاسد وردت إلى روحي فزدت في الجرى إلى أن خرجت من الاجمة ولحقتني الرفقة الذين كنت معهم وقد أحضروا البغلة التى كانت تحت مملوكي وساقوا فركبت ودخلت الكوفة قال وكان هذا يوم الثلاث غرة المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فصمت يومى واعتدت أن أصومه أبدا فأنا كل يوم ثلاثاء صائم إلى الآن. وجاءني أبو عمر بن يحيى وهنأنى بالسلامة وبقدومي وقد كان خبرى شاع وقال في جملة كلامه كيف خفت الاسد ؟ أو ما علمت أن لحومنا بنى فاطمة محرمة على السباع ؟ ! فقلت له مثل سيدنا أطال الله بقاه لا يقول مثل هذا وما الذى كان يؤمننى أن يكون هذا الخبر باطلا فأتلف. وكيف كانت نفسي مع طبع البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت مع احتمال هذا الحديث قال ولم لا تطيق وكيف يجوز أن يكون هذا الخبر باطلا مع ما روينا من خبر زينب الكذابة مع على بن موسى الرضا رضى الله عنه. قال: فقلت له بلى قد رويت ذلك ولكن لم يحضرني فكرى من هذا شئ في تلك الحال. قال مؤلف الكتاب فقلت أنا لابي القاسم الاعلم: وما خبر زينب الكذابة

فإنى ما سمعته. قال: هذا خبر مشهور عند الشيعة. يروى بإسناد لهم لا أحفظه أن امرأة يقال لها زينب ادعت أنها علوية فجئ بها إلى على بن موسى الرضا رضى الله عنهم فدفع نسبتها فخاطبته بكلام دفعت به نسبه ونسبته إلى مثل ما نسبها له من الادعاء، وكان ذلك بحضرة الخليفة. فقال الرضا: أخرج أنا وهذه إلى بركة السباع فإنى رويت عن آبائى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لحوم ولد فاطمة رضى الله عنها محرمة على اكل السباع فمن أكلته السباع فهو دعى. فقالت المرأة: لا أرضى بهذا ودفعت الخبر فأجبرها السلطان على ذلك. فقالت: فلينزل هو قبلى، فنزل الرضا رضى الله عنه بركة السباع بمحضر من خلق عظيم فلما رأته السباع أقعت على أذنابها فدنا منها ولم يزل يمسح رأس كل واحد منها ويمر بيده إلى ذنبه والسبع يبصبص له حتى أتى على آخرها ثم ولى، وكرهت المرأة النزول وأبته، فأجبرت على ذلك فحين نزلت وثب عليها بعض السباع فافترسها ومزقها فعرفت بزينب الكذابة. وروى عن جماعة من شيوخ البحرين الذين ترددوا إلى بلد الهند أنهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة أن رجلا كان معاشه صيد الفيلة. قال: استخفيت مرة في شجرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تجتاز بها الفيلة من شرائع الماء التى تردها إلى مرتعها فاجتاز بى قطيع منها وكانت عادتي أن أدع القطعان تجوز إلى أن يبلغ آخر فيل فأرميه بسهم مسموم في بعض مقاتله فتفزع الفيلة وتمضى فإذا مات المجروح نزلت فاقتلعت أنيابه وسلخت جلده وأخذت ذلك وبعته في البلاد فلما اجتاز بى هذا القطيع رميت آخر فيل كان فيه فخر فاضطربت الفيلة وأسرعت إليه فإذا أعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل السهم والجرح ورجعت معه الفيلة ووقفت بوقوفه فما زال قائما والفيل المجروح يضطرب إلى أن مات فضج ذلك الفيل ضجيجا عظيما وضجت الفيلة ثم انتشرت في

الغيضة ففتشوها شجرة شجرة فأيقنت بالهلاك. وانتهى الفيل الاعظم إلى

---

[٣٠٧]

الشجرة التى أنا فيها واتكأ عليها فإذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها وسقطت الشجرة إلى الارض فلم أشك أن الفيل سيدوسنى فإذا به قد جاء حتى وقف يتأملني، وأجحمت الفيلة عنى فلما رأني الفيل الاعظم، ونظر إلى قوسى وسهامي لف خرطومه فلواه على وأنزلني إلى الارض وأخذ يومئ بخرطومه إلى ثعبان كان هناك برفق وتملق فسددت سهما إلى الثعبان ورميته فأصبته، وتابعت رميه فانصرف مثخنا فتقدم الفيل إليه فداسه ثم عاد فأخذني بخرطومه وحطنى على ظهره، وجعل يهرول والفيلة خلفه فجاء إلى غيطة لم أكن أعرفها أعظم من تلك التى أخذني منها فإذا هي فراسخ وفيها فيلة ميتة لا يحصيها إلا الله عزوجل وأكثرها قد بلى جسده وبقيت عظامه فما زال يتتبع الانياب ويجمعها، ويومئ إلى فيل فيجئ إليه فيعبى عليه ما يمكنه أن يعبيه عليه من ذلك إلى أن لم يدع هناك نابا إلا جمعه، وأوقر تلك الفيلة ثم أركبني على ظهره وأخذ بى على طريق العمارة، واتبعته الفيلة فلما شارف القرى أومى إلى الفيلة فطرحت أحمالها حتى لم يبق منها شئ ثم أنزلنى بخرطومه برفق وتركني عند الانياب، وقد صارت تلا عظيما قائلا فجلست عندها متعجبا من سلامتي، ورجع الفيل يريد الصحراء، ورجعت الفيلة برجوعه، وأنا لا أصدق بسلامتي، ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل وذكائه. فلما غابت الفيلة عن عينى مشيت إلى أقرب القرى منى واستأجرت خلقا كثيرا حتى خرجوا معى وحملوا تلك الانياب في أيام وما زلت أبيعها في تلك المدة حتى حصل لى مال عظيم كان سبب يسارى وعنائى عن صيد الفيلة. عن مروان بن شعيب العدوى، عن عدى بن ربيعة قال: كنت في حداثتى شديد القوة، وكانت عندي زوجة لى من عبد القيس ببلدة منارة وهى قريبة من تل أهواز على أربع فراسخ، وعندي قوم من أهل المرأة، ونحن نشرب فتفاخرنا حتى انتهينا إلى تجريد السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية وبدر لساني أن حلفت بالطلاق أن لا أبيت بمنارة فخرجت منها أريد منزلي بتل

---

[٣٠٨]

أهواز ومعى سيفى وحجفتى، وكان ذلك ليلا فسرت في الطريق وحدي، وبلغت إلى أجمة لابد من سلوكها. فما سرت فيها قليلا سمعت ضجة من ورائي قبيحة فجردت سيفى ورجعت أطلب الصوت فوجدت أسدا قد افترس رجلا وهو الذى صاح، وهو في فم الاسد عرضا بثيابه فصحت في الاسد فرمى الرجل ورجع إلى فقاتلته ساعة ثم وثب على وثبة شديدة فلطيت الارض ثم جمعت نفسي في حجفتى، فلشدة وثبته جازني فصار ورائي فأسرعت الوثوب وبعجته بالسيف في فمه، وكان سيفا ماضيا فدخل في فيه وخرج من لحيته فخر صريعا يضرب فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف، وعدت إلى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل فحملته إلى الجادة، وكانت ليلة مقمرة، وتأملته فإذا هو تاجر من تل أهواز أعرفه فلم تطب نفسي بتركه أصلا فجعلته عند الجادة، وعدت فأخذت رأس السبع وحملته والرجل وحصلتهما في صبيغة كانت على، والصبيغة إزار أحمر يتشح به العرب في تلك الناحية، وكان الاسد في خلال قتالي قد ضرب فخذي بكفه فأحسست به في الحال كغرز الابرة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت أمشى حاملا لرأس الاسد والرجل أحسست بالالم، ورأيت الدم يجرى وقوتى قد ضعفت فصبرت نفسي حتى

بلغت تل اهواز وقد أصبحت فنكر أهل القرية الجراح، وسألوني عن خبرى فألقيت الصبيغة التى بها الرجل والرأس فاستهولوا الحال لما حدثتهم بها وفتشوا الرجل فوجدوا في بدنه خدوش كثيرة فأخذوه ورمت أن أمشى يسيرا إلى منزلي فلم أقدر حتى حملت، وكنت أعالج من تلك الجراح مدة، وعولج الرجل فبرأ قبلى، وهو حى إلى الآن يسميني مولاى ومعتقى. قال: وجراحاتي لصعوبتها تنتقض على في أغلب الاوقات. قال صاحب الحكاية: وأرانى الجرح، وكان عظيم الفتح. فلم أكن أعلم سببا لشكرنا وعربدتنا إلا نجاة ذلك الرجل من السبع. قال رجل يعرف بعبد العزيز بن الحسن الازد، من تجار القصب بالبصرة قال: كنت يوما جالسا في القصباء، وقد أخرج من النهر قصب رطب فعمل

كالقباب على العادة فيما يراد تجفيفه من القصب، وكان يوما صائفا، وكدنى الحر، فدخلت أحدى تلك القباب القصب، وهى تكون باردة جدا وعادة التجار أن يسنكوا بها فنمت في القبة فلبردها استثقلت في النوم. فانتبهت بعد العصر، وقد انصرف الناس من القصباء، وهى موضع بالبصرة في أعلاها صحراء وبساتين فاستوحشت للوحدة، وعملت على القيام فإذا بأفعى غليظ الساعد طويل متدور على باب القبة كالطبق، ولم أجد سبيلا إلى الخروج، ويئست من نفسي وتحيرت وجزعت حزعا شديدا. فأخذت في التشهد والتسبيح والفزع إلى الله تعالى، وإنى لكذلك إذ جاء ابن عرس من بعيد فلما رأى الافعى تأمله ثم رجع من حيث جاء، وأتى ثانيا ومعه ابن عرس آخر فوقف أحدهما يتأمله على يمين القبة، والآخر على اليسار، وصار أحدهما عند رأس الحية والآخر عند ذنبه، والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه في آن واحد وعضاه فاضطرب ولم يفلت منهما وجراه حتى بعدا عن عينى فخرجت من القبة سالما. عن الحسن بن على الانصاري المقرئ بالرملة، وكان فارسا فاتكا شجاعا جلدا قال: خرجت في قافلة من الرملة صاحبها ابن الحداد وأنا على مهر لى، وعلى سلاحي، فبلغنا في ليلة ظلماء إلى واد عميق جدا عمقه نحو فرسخ، وفى بطنه ماء يجرى وعليه شجر كثير، وهو مشهور بالسباع والطريق على جنبه في مضيق فازدحمت القافلة فسقط جمل عليه بز فرأيت صاحبه يلطم ويبكى، وكان موسرا فدعاه ابن الحداد، وقال له: أنت رجل موسر فما هذا الجزع ؟ فقال له: على الجمل أكثر من عشرة آلاف دينار. فنادى في القافلة من ينزل ويخلص الجمل ويرده إلى صاحبه وله ما يشاء ؟ فلم يجسر أحد على ذلك فلما كرر النداء أجبته وقلت: عجل لى الدنانير. فقال: لا ولكن أكتب لك بها الساعة كتابا.، وأشهد من في القافلة فإذا صار الجمل وحمله مع ما فيه من المال عندي فالمال لك فكتبنا كتابا بذلك وأشهدنا القافلة، وأعطيتهم دابتي ورحلي أخذت سيفا وحجفة وشمعه، ودنوت للنزول فرأيت منزلا غرني فاستعجلت

بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادي فإذا هو واد مشجر فيه أثر الرعاة والغنم ثم لم أجد طريقا إلى أسفل، وكان سبيلى أن أرجع وأرتاد المنزل من جهة أخرى فحملني ضيق الوقت والحرص على الدنانير أن جعلت أتوغل وأتنقل من شجرة إلى شجرة، ومن حجر إلى حجر حتى حصلت في جنب الوادي على صخرة ملساء كالرف، وليس لها إلى أسفل طريق البتة فاطلعت بالشمعة فإذا بينى وبين القرار نحو عشرين ذراعا، وفى أسفل الوادي بردى كثيف يجرى بينه الماء، وله خرير شديد فأجمعت رأيى

على أن ألقى نفسي، وأطفأت الشمعة وشددتها مع حمائل السيف مع الحجفة وألقيت ذلك في موضع علمته عن يمينى ثم جمعت نفسي فوثبت في وسط البردى فوقعت على شئ ثار من تحتي ونفضني بعد أن صاح صيحة ملا بها الوادي، وإذا هو أسد فشق الوادي، وسعى هاربا فوقف بأذائى من جانب الوادي الآخر فطلبت سيفى وحجفتى حتى أخذتهما، ووقفت أنتظر أن يمشى فأطلب الجمل فأقبل يريدنى فمشيت بين يديه في ذلك البردى، وهو في أثرى يخوض الماء ويشق البردى، وأنا أخاتلة من موضع إلى موضع فطلع القمر فأبصرت بناء خفيا فقصدته فإذا هو بيت رحى يديرها الماء فدخلت فيه ثم فكرت فقلت هذا مأوى السبع والساعة يجيئنى فخرجت منه وجئت إلى شجرة كبيرة فقطعتها بالسيف من نصف ساقها وجررتها، ودخلت بيت الرحى فامتلا الباب بها وجلست في الداخل، وساق الشجرة في يدى فما كان إلا مقدار الجلوس حتى أحسست بالاسد يزحم الشجرة، وهو يروم الدخول فاستندت إلى الحائط وأمسكت ساق الشجرة أدافعه بها حتى ملنى ومللته ثم ربض بالباب إلى أن اسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى لحال سبيله فأقمت إلى أن أنبسطت الشمس حتى أمنته، ثم خرجت فما زلت أطلب أثر الجمل حتى انتهيت إليه فإذا هو قد تقطع من أثر السقطة والعدلان مطروحان، وكانوا أمروني بفتقهما واستخراج المال منهما. وحمله إن لم أقدر على تخليص الجمل وحلم العدلين ففعلت ذلك وحملت المال على ظهرى وطلبت المصعد، وقد علت الضحى فصعدت فيه. فلما صرت برأس الوادي إذا ببادية مجتازين

فقصدوني فمانعتهم عن نفسي بالسيف فلم أطلقهم فضربوني بالسيوف. فقلت لشيخ رأيته كالرئيس لهم، إلى الزمام على ما معى حتى أصدقك وأنفعك نفعا كثيرا. فقال: أصدقني حتى أعطيك الزمام فحدثته بالحديث فأخذوا المال وساروا بى معهم حتى وقفوا على العدلين فاحتملوها وضرب الشيخ يده في المال فحثى منه ثلاث حثوات وأعطاها لى فأخذتها، وقلت إن هذا لا ينفعني إن لم تبلغوني مأمنى فأناخ جملا وحملنى عليه وسار بى سيرا حثيثا حتى أتى بى القافلة على بعد ثم أنزلنى، وقال الحق رفقتك، فما عليك من أحد بأس. فمشيت حتى لحقت القافلة، وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي فعرفتهم بما جرى وبما أخذته البادية وكتمتهم ما أعطونيه ودخلنا طبرية، فشكوا إلى أميرها أبى عثمان مولى بنى عقيل. فاسرى إلى الاعراب فارتجع منهم أكثر المال والثياب ورده إلى صاحبه وكنت أنا لما دخلت طبرية فارقنهم ودخلت مصر ولحقوني وبلغني ما رد عليهم. فقلت لصاحب المال: قد بذلت مهجتي وأفلت من الاسد ومن الموت مرارا ومن الاعراب حتى وصل اليك بعض مالك فلا أقل من أن توصلني إلى بعض ما كنت قد وعدتني به فأعطاني مائتي دينار، فأضفتها إلى ما أعطانيه الاعراب فإذا الجميع ستمائة دينار مع السلامة من تلك الشدائد. وجدت أيضا أن رجلا وفد على هشام فقال يا أمير المؤمنين: لقد رأيت في طريقي عجبا. فقال وما هو: قال. بينما أسير بين جبلى طى إذ نظرت فإذا عن يمينى أسد كالبغل وعن يسارى ثعبان كالحبل وهما مقبلان نحوى ففزعت منهما ورفعت رأسي إلى السماء وقلت شعرا: يا دافع المكروه قد تراهما * فنجني يا رب من أذاهما ومن أذى من كادنى سواهما * لا تجعلني شلوى من قراهما قال: فقربا منى فشمانى حتى لم أشك في الموت ثم صدرا عنى فنجوت ولله الحمد.

بلغني عن القاضى القضاة أبى السائب ولم أسمع ذلك منه. قال: وافيت من همدان إلى العراق وأنا فقير وزرت قبر الحسين رضي الله عنه فلما انصرفت أريد قصر بن هبيرة قيل أن الارض مسبعة وأشير على ان ألحق قرية فيها حصن سميت لى فآوى إليها قبل المساء وكنت ماشيا فأسرعت وأتعبت نفسي إلى أن لحقت القرية فوجدت باب الحصن مغلقا فدفعته فلم يفتح لى وتوسلت للقائمين بحراسته بمن قصدت زيارته. فقالوا قد أتانا منذ أيام من ذكر مثل ما تذكر فأدخلناه وآويناه فكان عينا علينا للصوص وفتح الباب ليلا وسلبونا ولكن الحق بذلك المسجد وكن فيه لئلا تمسى فيأتيك السبع فصرت إلى المسجد فدخلت بيتا كان فيه وجلست فلم يكن بأسرع من أن جاء رجل على حمار منصرفا من الحائر فدخل السمجد وشد حماره في حلق كان في باب البيت ودخل إلى ومعه كرز فيه خرج فأخرج منه سراجا فأصلحه وقدح فأوقدها وأخرج خبزه وأخرجت خبزى واجتمعنا على الاكل فما نشعر إلا والسبع قد حصل في المسجد فلما رآه الحمار دخل إلى البيت الذى كنا فيه فدخل السبع وراه فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فأغلقه علينا وعلى السبع وصرنا محبوسين فيه وقدرنا أن السبع لا يفترسنا بسبب السراج وأنه إذا انطفئ أخذنا وأكلنا وما طال الامر أن فنى ما كان في السراج من الدهن وطفئ وصرنا في الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من حاله شئ إلا إذا تنفس فإنا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فملا المسجد روثا ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزعا ثم سمعنا صوت الآذان من داخل الحصن وجاء المؤذن فدخل المسجد فلما رأى ما فعله الحمار لعن وشتم وحل رسن الحمار من الغلق فمر يطير في الصحراء وفتح المؤذن باب البيت لينظر من فيه فوثب السبع إليه فدقه وحمله إلى الاجمة وقمنا نحن وانصرفنا سالمين. بلغني عن أبى عيسى محمد بن محمد بن على بن مقلة. قال: كنت عند أبى الحسن على بن عمر بن يحيى العلوى بالكوفة إذ دخل عيله غلام له. فقال:

يا مولاى أخذ الاسد فلانا وكيلنا. فانزعج وقال: في أي محل. فقال: في موضع كذا وأدخله الاجمة الفلانية. فقال العلوى: لا إله الا الله في هذا الموضع بعينه أخذ الاسد أباه وأدخله إلى هذه الاجمة بعينها منذ كذا وكذا سنة، فاغتم فأخذنا نسليه فعاد إلى شأنه في المحادثة، وأنا قاعد أحدثه إذ دخل عليه غلمانه مبادرين. وقالوا: قد نجى الوكيل من الاسد وحضر فما تم كلامه إلا ودخل الوكيل فبش له العلوى وسأله عن خبره. فقال نعم: أخذني السبع كما شاهد من حدثكم وكنت راكبا فحملني بفمه كما تحمل السنور بعض أولادها إلا أنه ما كلمني فأدخلني الاجمة وقد زال عقلي فما أعرف من أمرى شيئا إلا أنى أفقت فلم أره ووجدت أعضائي سالمة ووجدت حولي من الجماجم والعظام أمرا عظيما ولم تزل قوتي تعود إلى أن قمت فعثرت بشئ فإذا هو همیان فأخذته وشددته على وسطى ومشيت إلى أن بعدت عن الموضع فوصلت إلى شبية بوهدة فجلست فيها وغطيت نفسي بما أمكننى من القصب بقية ليلتى فلما طلعت الشمس أحسست بكلام المجتازين وحوافر بغالهم فخرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل أحدهم فلما بعدت عن الاجمة وأمنت على نفسي فتحت الهميان فإذا فيه رقعة فتأملتها فإذا هي بخط أبى بأصل ما كان في الهميان من الدنانير وما أنفقه فإذا هو همیان أبى الذى كان في وسطه عندما افترسه الاسد فحسبت الخرج ووزنت الدنانير فإذا هي بإزاء ما بقى من الاصل ما نقصت شيئا. قال: وأخرج الهميان وفتحه وأخرج الرقعة فقال العلوى نعم هذا خط أبيك فعجبت الجماعة من ذلك. بلغني عن رجل من أهل الانبار. قال: خرجت إلى ضيعة لى في ظاهر الانبار راكبا دابة كانت معى، ومعى عبد أسود مملوك في نهاية الشجاعة فلما صرنا في بعض الطريق

بالقرب من الضيعة إذ نشأت سحابة فأمطرت وكان المطر قد أدركنا فملنا إلى قباب كانت كالاسرة تبنيها على الطريق وعلى السابلة فلجأنا إليها وقوى المطر جدا حتى منعنا من الحركة فأشار على الغلام بالمبيت فقلت له نخاف ويلك اللصوص. فقال لى أتخاف وأنا معك. فقلت فالسبع قال نصير الدابة داخل القبة وأنت تليها وأنا عند الباب وأشد وسطى بالحبل

الذى معنا وأشد طرفه برجلك حتى لا يأخذني النوم فإن جاء الاسد أخذني دونك. وما زال يحسن لى ذلك الرأى حتى أطعته وملنا إلى أحد القباب ودخلناها وفعل ما قال فلا والله ما مضت قطعة من الليل حتى وافى السبع فأخذ الاسود ودقه واحتمله وجر رجلى المشدودة معه في الحبل ولم يزل يجرنى على الشوك والحجارة والدكادك إلى أن صار إلى أجمته وأنا ألا أعقل شيئا من أمرى ولا أحس بأكثر مما يجرى ولا تمييز لى يؤديني إلى الاجتهاد في حل الحبل من رجلى ثم رمى بالاسود وربض عليه وما زال يأكل منه حتى شبع وترك ما فضل منه وليس في من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب من مكاننا وبقيت زمانا على تلك الحال ثم سكن روعى وثاب إلى فهمي ورجعت إلى نفسي فحللت رجلى من الحبل المشئوم وقمت لادب فعثرت بشئ لا أدرى ما هو فأخذته بيدى فإذا هو همیان ثقيل فشددته في وسطى وخرجت من الاجمة وقد قارب الصبح أن يسفر ومشيت إلى القبة التى فيها دابتي فإذا هي واقفة بحالها فأخرجتها وركبتها وانصرفت إلى منزلي فوجدت في الهميان جملة دنانير فحمدت الله عزوجل على السلامة وبقى الرعب في قلبى والتألم في جسدي.

الباب العاشر من اشتد بلاؤه بمرض ناله * فعافاه الله سبحانه بايسر سبب وأقاله روى بإسناد آخره عن عثمان بن أبى العاص الثقفى، قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا قد كان يبطلني، قال: فقال لى يا عثمان: ضع يدك عليه وقل " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر هذا الوجع، ومن شر ما أجد " سبع مرات. قال: فقلتها فشفاني الله، وعن ابن جعدية قال: مرض أبو عزة الجمحى الشاعر فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه. فقال: الموت خير من هذه الحياة فأخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في المعدة والمعدة موضع عقبى الراكب من الدابة. قال ابن الجعدية: فمرت الحديدة بين الجلد والصفاف فسال منه ماء أصفر فقال: لا هم رب نائل ونهد * والمهمات والجبال والجرد من بعد ما طعنت في معد قال مؤلف الكتاب: كذا في كتاب الطوسى، والصواب عندي: لا هم ورب من يرعى بياض نجد * أصبحت عبدا لك وابن عبد أبرأتني من وضح بجلدى * من بعدما طعنت بها في معد حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخى قال: كان ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له لبيب العابد لا يعرف إلا بهذا، وكان الناس ينتابونه، وكان صديقا لابي فحدثني لبيب قال: كنت مملوكا روميا لبعض الجند فرباني وعلمني السلاح حتى صرت رجلا، ومات مولاى وتزوجت بامرأته، وقد علم الله أنى ما أردت بذلك إلا صيانتها، وأقمت معها مدة ثم اتفق لى أنى رأيت حية داخلة إلى حجرها فأمسكت ذنبها لاقتلها فانثنت على فنهشت يدى فشلت، ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدى الاخرى بغير سبب أعرفه

ثم جفت رجلاى ثم عميت ثم خرست. فكنت على هذه الحال ملقى سنة كاملة لم يبق لى جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع به ما أكره، وأنا طريح على ظهرى، ولا أقدر على كلام، ولا إيماء، ولا حركة أسقى وأنا ريان وأطعم وأنا شعبان، وأترك وأنا جائع. فلما كان بعد سنة دخلت امرأة إلى زوجتى وقالت: كيف أبو على ؟ فقالت لها زوجتى: لا هو حى فيرجى، ولا ميت فيسلى. فأقلقني ذلك وآلم قلبى ألما شديدا، وضججت إلى الله عزوجل في سرى بالدعاء، وكنت في جميع تلك العلل لا أجد ألما في نفسي فلما كان بقية ذلك اليوم ضرب على جسدي ضربا شديدا كاد يتلفني، ولم أزل على ذلك الحال إلى أن دخل الليل وانتصف، وخف الالم قليلا فنمت فما أحسست إلا وقد انتبهت وقت السحر وإحدى يداى على صدري فتعجبت من ذلك في نفسي وقلت: كيف صارت يدى على صدري، ومن رفعها إليه ؟ ! وكانت طول هذه المدة مطروحة على فراشي لا ترفع ؟ إلا أن شالها أحد لى ثم وقع في قلبى تحريكها فتحركت ففرحت فرحا شديدا وقوى طمعي في فضل الله عزوجل بالعافية فحركت الاخرى فتحركت فقبضت إحدى رجلى فانقبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالاخرى، ورمت الانقلاب من غير أن يقلبنى أحد كما كان يفعل بى فانقلبت بنفسى فجلست، ورمت القيام فأمكنني فقمت فنزلت من على السرير الذى كنت مطروحا عليه، وكان في بيت من الدار فمشيت أتلمس الحائط من الظلمة لانه لم يكن هناك سراج إلى أن وقفت على الباب، وأنا لا أطمع في بصرى فخرجت من البيت إلى صحن الدار فرأيت السماء والكواكب مزهرة، وكدت أموت فرحا وانطلق لساني وقلت يا قديم الاحسان لك الحمد، ثم صحت بزوجتي فقامت وقالت: أبو على. فقلت لها: الساعة صرت أبو على اسرجى فأسرجت فقلت: جيئينى بمقراض فجاءت به فقصصت شاربا كان لى بزى الجند فقالت زوجتى: ما تصنع الساعة ؟ تعبك رفقاؤك فقلت: بعد هذا لا أخدم غير ربى، فانقطعت إلى الله عزوجل، وخرجت من الدار وطلقت الزوجة، ولزمت عبادة ربى. وقال أبو الحسن: خبر هذا معروف مشهور، وكانت هذه الكلمة لا تفارقه، وهى: يا قديم الاحسان

لك الحمد، وصارت عادته يقولها في حشو كلامه، وكان يقال: إنه مجاب الدعوة فقيل له: إن الناس يقولون إنك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك فمسح يده عليك فبرأت. فقال: ما كان لعافينى سبب غير ما عرفتك. حدثنى محمد بن على الخلال البصري أحد أبناء القضاة، قال: حدثنى بعض الاطباء الثقاة أن غلاما من بغداد كان عليلا فقدم الرى وهو ينفث الدم، وكان قد لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق صاحب الكتب المصنفة فأراه ما ينفث، ووصف له الحال. فأخذ الرازي مجلسه، ورأى قارورته، واستوصف حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الامر فقامت على العليل القيامة، وقال: هذا يأس لى من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازي أن عاد إليه وسأله عن المياه التى شربها في طريقه فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذهن أن علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته، وأن ذلك النفث للدم من فعلها وقال له: إذا كان في غد جئتك فعالجتك، ولم أنصرف حتى تبرأ ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيما آمرهم به فيك. قال: نعم. وانصرف الرازي وتقدم وجمع له ملا مركنين

من طحلب فأحضرهما في غد معه، وأراه إياهما وقال له: ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل منه شيئا كثيرا. ثم قال: ليس يمكننى بلع شئ آخر أكثر منه. فقال له ابلع. فقال: لا أستطيع. فقال للغلمان خذوه ففعلوا ذلك به وطرحوه على قفاه، وفتحوا فاه، وأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبسا شديدا، ويطالبه ببلعه شاء أو أبى ويتهدده بالضرب إلى أن أبلعه كارها أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث ولا ينفع مع الرازي شئ إلى أن قال العليل: الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القئ فقذف فتأمل الرازي قذفه فإذا فيه علقة، وإذا هي

لما وصل الطحلب إليها دبت إليه بالطبع وتركت موضعها فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافى. عن أبى الحسن على بن الحسن الصيدلانى قال: كان عندي بسوق الاربعاء من أولاد آذر غلام حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه، وكانت تضرب عليه في أكثر الاوقات ضربانا عظيما حتى كاد يتلف وقل أكله ونحل جسمه فحمل إلى الاهواز فعولج بكل شئ فما نجح فيه دواء فرد إلى بيته وقد يئس منه فاجتاز بنا بعض الاطباء فدعاه والد العليل وعرفه حال ابنه فقال للعليل: اقعد واشرح لنا سبب مرضك منذ حال صحتك إلى أن أصبت فشرحها فطاولها بحديث إلى أن قال العليل: إنى دخلت بستان لنا فكان في بيت البقر منه رمان كثير قد جمع للمبيع فأكلت منه رمانا عدة فقال له الطبيب: كيف كنت تأكل ؟ قال: كنت أعض رأس الرمانة بفمى وأكسرها وأرمى بها وأكلها قطعا قطعا فقال الطبيب: في غد أعجل لك العلاج فتبرأ بإذن الله وخرج فلما كان من الغد جاءه بقدر اسفيدباج قد طبخها في لحم جر وسمين وقال للعليل: كله هذا فقال ما هو ؟ قال: إذا أكلته عرفتك قال فأكل العليل وقال له امتل منه ففعل ثم أطعمه بطيخا كثيرا ثم تركه ساعتين وسقاه فقاعا قد خلط بماء حار وشبث ثم قال له أي شئ أكلت ؟ فقال لا أدرى فأخبره الخبر فحين سمع الغلام ذلك اندفع يقذف فأمر بعينيه ورأسه فأمسكت، وأقبل يتأمل القذف إلى أن طرح الغلام شيئا أسود كالنواة الكبير يتحرك فأخذه الطبيب وقال له: أرفع رأسك فقد برأت وفرج الله تعالى عنك فرفع الغلام رأسه وانقطع القذف وسقاه الطبيب شيئا يقطع الغثيان وصب على رأسه ماء ورد ومسكن ثم أخذ الذى يشبه النواة فأراه لوالد الغلام فإذا هو قراد فقال له: انى قد ذكيت أن الموضع الذى كان فيه الرمان كان فيه قرادا من البقر وأنه دخلت واحدة منهن في رأس إحدى الرمانات التى اقتلعت رؤسها بفم الغلام فنزل القراد في حلقه وعلق بمعدته يمتصها وعلمت أن القراد يهش إلى لحم الكلب فأطعمته إياه وقلت: إن صح ظنى سيتعلق القراد بلحم الكلب تعلقا يخرج معه إن

قذف فيبرأ وإن لم يكن ما ذكيت صحيحا فما يضره من أكل هذا اللحم فلما أحب الله عزوجل عافيته صح ما ذكيته. فنبهه إلى أن لا يعاود بعدها إدخال شئ في فيه لا يدرى ما هو وبرأ الغلام وصح جسمه. حدثنا أبو الحسن غلامنا عن ابن الصيدلانى. قال: كان لى أكار حدث حدث فانتفخ ذكره انتفاخا عظيما فلم يكن ينام الليل ولا يهدأ النها وعولج فلم يكن لبرئه سبيل. قال: فجاء متطبب من الاهواز يريد البصرة فسألته أن ينظر إليه. فقال لى: قل له يصدقى عن خبره في أيام صحته إلى الآن. قال: فحدثته. قال فأصدقي ؟ فلست أدرى شيئا يوجب هذه العلة ومالى إلى علاجك سبيل. قال: فقال لى الغلام. أصدق وأنا آمن جهتك فقلت افعل فقال له: أنا غلام حدث

أعزب فوطئت حمارا ذكرا كان لى في الصحراء. قال: فقال له الطبيب. الآن قد علمت أنك صادق والساعة أعالجك فتبرأ. ثم أمر به فأمسك امساكا شديدا والغلام ساكت إلى أن جس منه موضعا فصاح الغلام، فأخذ الطبيب خيطا أبريسما فشد الموضع شدا شديدا ولم يزل يمرح ذكر الغلام حتى خرجت منه حبة وقد كبرت وجرحت الموضع فسال منه شئ يسير كماء اللحم فأعطاه مرهما وقال استعمل هذا أياما فإنك تبرأ وتب إلى الله تعالى عن مثل هذا الفعل واستعمل الغلام المرهم فبرأ. حدثنى أبو عبد الله الحسن بن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن العسكري من بغداد في المذاكرة. قال: كان أبى إذا جلس يفتش دفاتره وأنا صبى أجئ فآخذ منها الشئ بعد الشئ أستحسنه وألعب به، وكنت أرى في دفاتره دفترا فيه خطوط حمر فاستحسنه وأطلبه فيمنعني منه حتى بلغت مبلغ الرجال. قال: فجلس يوما يفتش كتبه فرأيت الدفتر فأغفلت أبى وأخذته ففتحته أقرأه، فإذا هو مولدي قد عمله بعض المنجمين ووجدت فيه أنى ان بلغت أربعا وثلاثين سنة كان على قطع فيها فالتفت أبى فرأى الدفتر في يدى فصاح وأخذه منى ونظر أي موضع أقرأ فرآه فأخذ يضعف ذلك في نفسي لئلا أغتم ومضت السنون فلما بلغت إلى السنة التى ذكرها المنجم

المنجم ركبت مهرا لى وقد خرجت إلى دار الضرب وأبى فيها وكان إليه العيار فبلغت إلى سباط في درب الديرج فنفر المهر من كلب كان في الطريق رابضا فضرب رأسي حائطا كان في السباط فوقعت عن المهر مغشيا علي ثم حملت إلى دار الضرب فأحضروا طبيبا وقد انتفخ موضع من رأسي انتفاخا عظيما فأشار بفصدى ففصدت فلم يخرج لى دم فحملت إلى بيتنا ولم أشك في أنى ميت لشدة ما لحقني فاعتللت مدة وضعفت نفسي خوفا مما ذكر من حكم المنجم وكنت يوما جالسا مستندا على سرير وقد آيست من نفسي إذ حملتني عيناى فخفق رأسي فضرب درابزين السرير فانشج الموضع المنتفخ وخرج منه أرطال دم فخف ما بى في الحال وصلحت وبرأت وعشت إلى الآن وكان له يوم. وقد حدثنى بهذا الحديث وهو ابن أربع وثمانون سنة وشهور على ما أخبرني. حدثنى أبو الحسن بن على بن أبى محمد الحسين بن محمد الصالحي الكاتب. قال: رأيت بمصر طبيبا كان بها مشهورا يعرف بالقطيعى. وكان يقول: يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان وما يأخذه من العامة. قال: وكان له دار قد جعلها شبه بيمارستان من جملة داره، يأوى إليها ضعفاء الاعلاء ويعالجهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه على ذلك. قال أبو الحسن: وأصيب أحد فتيان الرؤساء بمصر بالسكتة وأسماه لى وذهب عنى اسمه، فحمل إلى الاطباء وفيهم القطيعى فأجمعوا على موته إلا القطيعى، وعمل أهله على غسله وكفنه. فقال القطيعى: دعوني أعالجه فإن برئ وإلا فليس يلحقه أكثر من الموت الذى قد أجمع هؤلاء عليه فخلاه أهله معه. فقال: هاتوا غلاما جلدا ومقارع، فأتى بذلك، فأمر به وضربه عشر مقارع بأشد الضرب. ثم مس مجسه وضربه عشرا أخرى شديدة ثم مس مجسه وضربه أيضا عشرا أخرى ثم مس مجسه وضربه عشرا أخرى ثم مس مجسه. وقال للاطباء أيكون للميت نبض متحرك. فقالوا لا: فضربه عشر مقارع أخرى

وقال جسوه. فقالوا: قد زاد نبضه، فضربه عشرا أخرى فتأوه فضربه عشرا أخرى فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يجس بدنه ويتأوه وقد ثابت قوته إليه. فقال له ما تجد ؟ قال: أنا جائع. فقال: أطعموه الساعة، فجاؤه بما يأكل فرجعت قوته إليه وقمنا وقد برئ. فقال له الاطباء: من أين لك هذا. قال كنت مسافرا في قافلة فيها اعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فأسكت فعمد إليه شيخ منهم فضربه ضربا عظيما فما رفع عنه الضرب حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه الحرارة وأزالت سكتته فقست عليه أمر هذا العليل. حدثني بعض المتطببين بالبصرة قال: حدثني أبو منصور بن مارمة كاتب أبى مقاتل صالح بن مدركة الكلابي أمير دجلة. وكان أبو منصور من رؤساء أهل البصرة الذين يضرب المثل بنعمتهم وترفههم. وكان ثقة أديبا قد شاهدته أنا ولم أسمع منه هذه الحكاية. قال: أخبرني شيوخنا. قال: كان بعض أهلنا قد استسقى فآيس من حياته فحمل إلى بغداد فشور الاطباء فيه فوصفوا له أدوية كبارا فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع وآيسوا منه، وقالوا لا حيلة في برئه. قال: فسمع العليل. فقال لمن كان معه: دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهى ولا تقتلوني بالحمية. فقالوا: كل ما تريد فمهما رآه مما يجتاز به على الطريق اشتراه وأكله ولم يلتفت إلى ضره ونفعه فمر به رجل يبيع جرادا مطبوخا فأجلسه واشترى منه عشرة أرطال وأكلها بأسرها، فلما كان بعد ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس وضعف وكاد يتلف وآيس منه، ثم قطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وعادت بطنه إلى حالها في الصحة وثابت إليه قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فرآه أحد الاطباء فعجب من أمره فسأله عن الخبر. فعرفه. فقال: ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا ولابد من أن يكون في الجراد الذى فعل هذا خاصية فأحب أن تدلني على

الذى باعك الجراد. قال: فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية فأراه الطبيب. فقال: ممن اشتريت هذا الجراد ؟ فقال ما اشتريته. أنا أصيده وأجمع منه شيئا كثيرا وأطبخه على الايام وأبيعه. فقال: من أين تصيده ؟ فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد. فقال له الطبيب: أعطيك دينارا وتدع شغلك وتجئ معى إلى ذلك الموضع. فقال: نعم فخرجا وعاد الطبيب من غد، فذكر أنه رأى ذلك الجراد يرعى في صحراء أكثرها حشيشة يقال لها المأذريون وهى دواء الاستسقاء فإذا دفع إلى العليل منها دون درهم أسهله اسهالا يزيل الاستسقاء ولكن لا يؤمن من أن لا ينضبط ولا يقف فيقتله الذرب، والعلاج بها خطر جدا وهى مذكورة في الكتب ولفرط ضررها لا يكاد يصفها الطبيب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة وانطبخت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبيخين اجتمعا عليه وقضى أن تناولها هذا بالانفاق، وقد تعدلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعا قطع بانقطاع العلة فبرأ. حدثنى محمد بن أحمد بن طوطئ الواسطي أبو الحسين. قال: سمعت أبا على عمر بن يحيى العلوى الكوفى رحمه الله يقول: كنت في بعض حججى في طريق مكة فاستسقى رجل كان معنا من أهل الكوفة، وثقل في علته وسل الاعراب قطارا من القافلة كان على جمل منه هذا العليل فافتقد وجزعنا عليه وعلى القطار وكنا راجعين إلى الكوفة فلما كان بعد مدة جاءني العليل إلى دارى معافا فسألته عن قصته وسبب عافيته. فقال: إن الاعراب لما سلوا القطار ساقوه إلى محلهم، وكان من المحجة على فراسخ يسيرة فأنزلوني ورأوا صورتي فطرحوني في أواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان في القطار فكنت أزحف وأتصدق من البيوت ما آكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت أدعو الله عزوجل به أو العافية. فرأيتهم وقد عادوا يوما من ركوبهم فأخرجوا أفاعى قد صادوها فقطعوا رؤسها

وأذنابها وسووها وأكلوها. فقلت: هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرهم بالعادة التى نشؤا عليها ولعلى إن

أكلت منها شيئا أن أتلف فأستريح مما أنا فيه. فقلت لبعضهم: أطعمني من هذه الحيات. فرمى إلى واحدة منها مشوية فيها أرطال فأكلتها بأسرها وأمعنت طالبا للموت فأخذني نوم عظيم. فانتبهت وقد عرقت عرقا عظيما واندفعت طبيعتي فقمت في بقية يومى وليلتي أكثر من مائة مجلس إلى أن سقطت طريحا وجوفي يجرى. فقلت: هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله عزوجل بالمغفرة. فلما أضاء الصبح تأملت بطى فإذا هي قد ضمرت وزال عنها ما كان بها. فقلت أي شئ ينفعني من هذا وأنا ميت فلما أضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم أحس بقيام وجعت فجئت لازحف على العادة فوجدت بدنى خفيفا وقوتى صالحة فتحاملت فمشيت فطلبت منهم مأكولا فأطعموني فقويت فبت في الليلة الثانية معافا ما أنكر شيئا من أمرى فأقمت أياما إلى أن وثقت من نفسي بأنى إن مشيت نجوت فأخذت الطريق من بعضهم إلى أن صرت على المحجة ثم سلكتها إلى الكوفة مشيا. حدثنى أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب، قال: حدثنى القاضى أبو بكر الجعابي الحافظ، قال: دخلت يوما على القاضى أبى الحسين ابن القاضى أبى عمر رحمهما الله وهو مغموم فقلت: لا يغم الله قاضى القضاة ما هذا الحزن الذى أراه به ؟ قال: مات يزيد المائى. فقلت: يبقى الله قاضى القضاة، ومن يزيد الماتى حتى إذا مات اغتم عليه قاضى القضاة هذا الغم كله ؟ فقال ويحك: مثلك يقول هذا في رجل أوجد لنا صناعة فخيمة. قد مات وما ترك في حذقه أحد وهل تفخر البلدان الا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق أهل العلوم فيها فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته لابدل الناس فرحهم بالترح، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم، وانحطاط البلدان. قال: ثم أقبل يعدد فضائله والاشياء الظريفة التى عالج بها، والعلل الصعبة التى زالت بتدبيرها فذكر من ذلك أشياء كثيرة كان منها إذ قال: لقد أخبرني مذ مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بابنة له علة فكتمت أمرها ثم اطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت قال: فقلت لا يصح ترك

علاج هذا وكتمانه أكثر من هذا. قال: وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضربانا عظيما لا تنام معه الليل ولا النهار وتصرخ أعظم صراخ، ويجرى في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم. قال: فلما خفت المأثم أحضرت يزيدا فشاورته. فقال: أتأذن لى في الكلام وبسط عذرى قلت نعم. قال: لا يمكننى أن أصف لك شيئا دون أن أشاهد الموضع بعينى وأفتشه بيدى، وأسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة. قال: فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنته من ذلك، فأطال مسائلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة فبعد أن جس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الالم حتى كدت أبطش به ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستره فصبرت على مضض، إلى أن قال: تأمر من يمسكها، ففعلت. ثم أدخل يده في الموضع دخولا شديدا فصاحت المرأة فأغمى عليها وانبعث الدم وأخرج في يده حيوانا أقل من الخنفساء فرمى به فجلست الجارية في الحال. وقالت: يا أبت اشترني فقد عوفيت. فأخذ يزيد الحيوان بيده وخرج من المحل فأجلسته. وقلت: أخبرني ما هذا ؟ فقال: إن تلك المسايلة التى لم أشك في أنك أنكرتها إنما

كانت لاطلب دليلا أستدل به على سبب العلة، إلى أن قالت: أنها في يوم من الايام كانت جالسة في بيت دواب من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه. فلما كان في غدته الضربان تخيلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان التى تكون على البقر وفى بيوته قراد قد تمكن من أول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضع ولد له ضربانا، وانه إذا شبع خف الضربان لانقطاع مصه وانقطت من الجرح الذى يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقط اليسيرة من الدم. فقلت: أدخل يدى وأفتش فأدخلتها، فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الايام. قال: فتأملنا الحيوان فإذا هو قراد وبرأت المرأة.

قال مؤلف هذا الكتاب: ولم يذكر القاضى أبو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد أنه مما لا يجب ادخاله فيه. عن ابن عقيل، وكان إذا جاء من البادية ينزل في شارع دار الرقيق بالقرب من درب سليمان قال: كانت عندي جارية بالبادية بالغة زمنة مقعدة سنين ومن عاداتنا أن نأخذ الحنظل فنقور رأسه ونملاه باللبن الحليب، ونرد عل كل واحدة رأسها، ونتركها في الرماد الحار حتى تغلى. فإذا غلت حسى كل واحد منا ما في الحنظلة من ذلك فتسهله وتصلح بدنه. قال: فأخذنا سنة من السنين ثلاث حناظل لثلاث أنفس يشربونها، وجعلنا فيها اللبن على الصفة المارة فرأتها الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرها من الزمانة غدت إلى الحناظل الثلاث فحستها كلها وعلمنا بذلك بعد لما رأينا من قيامها فآيسنا من حياتها فباعدناها في الاخبية لئلا نشم روائحها فتعدينا، ولتموت بالبعد عنا فلما كان في الليل انقطع قيامها، ومشت برجلها إلى أن عادت إلى البيوت العافية لا قلبة بها وعاشت بعد ذلك سنين وولدت. قال جبريل بن يخشوع: كنت مع الرشيد بالرقة، ومعه المأمون ومحمد وكان رجلا كثير الاكل والشرب. فأكل في بعض الايام أشياء خلط فيها، ودخل المستراح فغشى عيله وقوى عليه الغشى حتى لم يشك غلمانه أنه قد مات وحضر أبناه وشاع عند العامة والخاصة خبره فأرسل إلى فحضرت وجسست عرقه. فوجدت نبضا خفيفا، وقد كان قبل ذلك بأيام يشتكى امتلاء وحركة الدم. فقلت لهم: لم يمت والصواب أن يحجم الساعة. فقال كوثر: لما يعرف من أمر الخلافة وافضائها إلى صاحبه محمد: يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلا ميتا لا يقبل قولك ولا كرامة. فقال المأمون: الامر قد وقع وليس يضر بأن نحجمه فأحضر، وتقدمت إلى جماعة من غلمانه بإمساكه ففعلوا وأقعد. فقلت للحجام: ضع محاجمك ففعل فلما مصها رأيت الموضع قد أحمر فطابت نفسي بذلك أنه حى. ثم قلت: اشرط. فشرط فخرج الدم فسجدت شكرا

لله عزوجل، وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه إلى أن تكلم فقال: أين أنا ؟ فطيبت نفسه وغذيناه صدر دارج، وسقيناه نبيذا وما زلت أسعطه بالطيب في أنفه حتى تراجعت إليه قوته، وأدخل الخاصة والقواد إليه فسلموا عليه من بعد لما كان قد شاع من خبره ثم تكاملت قوته، ووهب الله له العافية. فلما خرج من علته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف أنها ألف ألف درهم، وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف أنها خمسمائة ألف درهم. ثم قال لى يا جبرئيل: كم غلتك ؟ فقلت: خمسين ألف درهم. فقال: ما أنصفناك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني ويحجبوني عن الناس على ما هي عليه وتكون غلتك ما ذكرت، وأمر باقطاعى ما قيمته ألف ألف درهم فقلت:

أسيدي مالى حاجة إلى الاقطاع ولكن تهب لى ما أشترى الضياع بها ففعل وتقدم بمعاونتي على ابتياعها فابتعت بهباته وصلاته ضياعا غلتها ألف ألف درهم فجميع ما أمتلكته ضياعا لا أقطاع فيها. حدثنى طلحة بن عبد الله بن قياس الطائى الجوهرى البغدادي أبو جعفر قال: كان في درب مهروية الجانب الشرقي ببغداد قديما رجل من كبراء الحجزية، وكان متشببا بغلام من غلمانه رباه صغيرا فاعتل الغلام علة من بلسام وهو الذى تسميه العاملة البرسام فبلغ إلى حالة قبيحة، وزال عقله فتفرقوا عنه يوما وهو في موضع فيه خيش، ووكلوا صبيا بمراعاته فسمعوا صياح الفتى الموكل به. فبادروا إليه فقال: انظروا إلى ما قد أصابه. فإذا عقرب قد نزل من المسند على رأس العليل، فلسعته في عدة مواضع. فإذا به قد فتح عينيه، وهو لا يشكوا ألما. فسألوه عن حاله فطلب ما يأكل فأطعموه، وبرأ. فلاموا طبيبه فقال: غلام تلومونني لو أمرتكم أن تلسعوه بعقرب أكنتم تفعلون ؟.

عن أبى بكر بن قارب الرازي، وكان تلميذ لابي بكر محمد بن زكريا الطبيب بعد رجوعه من عند أمير خراسان لما استدعاه ليعالجه من علة صعبة قال: اجتزت في طريقي إلى نيسابور ببلد بسطام وهو النصف من طريق نيسابور إلى الرى. قال: فاستقبلني رئيسها فأنزلني داره، وخدمني وخدمته وسألني أن أقف على ابن له به استسقاء فأدخلني إلى دار قد أفردها فشاهدت العليل، ولم أطمع في البرأة، فعللت القول بمشهد من العليل ولما انفردت بابيه سألني أن أصدق. فصدقته وآيسته من حياة ابنه، وقلت له: يمكنه من شهواته فانه لا يعيش، وخرجت إلى خراسان وعدت بعد اثنى عشر شهرا فاستقبلني الرجل بعد عودي ولما لقيته استحيت منه غاية الحياء، ولم أشك في وفاة ابنه، وإنى كنت نعيته إليه وخشيت من ثقله بى فلم أجد عنده ما يدل على ذلك، وكرهت أن أسأله عنه لئلا أجدد عليه حزنا قد نسيه. فقال لى بعد أيام: أتعرف هذا الفتى ؟ وأومئ إلى شاب حسن الوجه والسجية، كثير الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا. فقلت: لا. فقال: هذا ابني الذى آيستنى منه عند مضيك إلى خراسان. فتحيرت وقلت: عرفني سبب برءه. فقال لى: إنه بعد قيامك من عنده فطن أنه قد آيستنى منه فقال لى لست أشك أن هذا الرجل وهو أوحد في الطب قد آيسك منى، والذى أسئلك أن تمنع هؤلاء الغلمان يعنى الغلمان الذين كنت أخدمهم إياه عنى لانهم آذونى لانى إذا رأيتهم معافين، وأنا لست بينهم يتجدد على قلبى الحزن فأرحني منهم يا أبى وأفرد لى فلانة لخدمتي ففعلت ما سأله، وكانت المرأة داية له، وكان يحمل إليها في كل يوم ما تأكله وله ما يطلب على غير حمية. فلما كان بعد أيام حمل إلى الداية مضيرة لتأكل فتركتها ومضت لشغل لها فذكرت بعد أن عادت أن أبى قد نهاها عن أكل المضيرة فوجدتها قد ذهب كثير منها، وبقى بعضه متغير اللون قالت: فسألت الغلام عن السبب فأخبرني أنه رأى أفعى عظيما قد خرج من موضع ودب إليها وأكل منها ثم قذف فيها فصار لونها كما ترينه فقلت: أنا ميت وهو ذا يلحقني ألم شديد ومتى أظفر بمثل هذا، وجئت فأكلت من الغضارة ما استعطت لامرت عاجلا وأستريح فلما لم أستطع زيادة

أكل رجعت حتى جئت إلى فراشي وجئت أنت. قالت: ورأيت أنا المضيرة على يده وفمه فصحت. فقال: لا تعلمي أحدا حتى تدفني الغضارة بما فيها لئلا يأكلها إنسان فيموت أو حيوان فيلسغ إنسانا

فيقتلة ففعلت ما قال وخرجت إليك. فلما عرفتني ذلك ذهب على أمرى، ودخلت إلى ابني مسرعا فوجدته نائما فقلت: لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه. فانتبه آخر النهار، وقد عرق عرقا شديدا، وهو يطلب المستحم فانهضناه إليه فاندفعت طبيعته وقام من الليل، ومن الغد أكثر من مائة مجلس فازداد يأسنا منه، وقل القيام وقد صار بطنه مع ظهره مثل بطون الاصحاء وطلب فراريج فأكل، ولم تزل قوته تزداد فطمنا في حياته فمنعناه التخليط وثابت قوته وتزايدت إلى أن صار كما ترى. قال: فعجبت من ذاك وذكرت أن الاوائل قالوا: إن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئة سنة برأ ولو قلت لك هذا علاجه لظننت أنى أدافعك، ومن أين يعلم كم عمر الحية إذا وجدت فأمسكت عنه.

الباب الحادى عشر من امتحن من لصوص بسرق أو قطع * فعوض عن الخلف بأكمل صنع عن دعبل بن على الخزاعى الشاعر. قال: لما قلت قصيدة (مدارس أيات خلت من تلاوة) قصدت بها أبى الحسن على بن موسى الرضا رضوان الله عليهم أجمعين وهو بخرسان ولى عهد المأمون. فوصلت إليه فأنشدته فاستحسنها. وقال: لا تنشدها لاحد حتى آمرك واتصل خبرى بالمأمون فأحضرني وسألني عن خبرى. ثم قال لى: يا دعبل أنشدني (مدارس آيات خلت من تلاوة) فقلت لا أعرفها يا أمير المؤمنين. فقال يا غلام أحضر أبا الحسن على بن موسى. قال: فلم يكن بأسرع من أن أحضر. فقال له: يا أبا الحسن سألت دعبلا عن (مدارس آيات) فذكر أنه لا يعرفها فالتفت إلى أبو الحسن. فقال أنشده يا دعبل: فأنشدت القصيدة ولم ينكر ذلك المأمون إلى أن بلغت إلى بيت فيها وهو هذا: قال رسول الله هب لى رقابهم * وآل زياد غلظ الرقاب ثم تممتها إلى آخرها فاستحسنها وأمر لى بخمسين ألف درهم وأمر لى على بن موسى بقريب منها. فقلت له: يا سيدى أريد أن تهب لى ثوبا يلى بدنك أتبرك به وأجعله كفنا، فوهب لى قميصا قد ابتذله ومنشفة وأظنه قال وسراويل. قال ووصلني ذو الرياستين، وحملنى على برذون أصفر خرساني فكنت أسايره في يوم مطير وعليه ممطر خز وبرنس ومنه فأمر لى به ودعا بغيره جديدا فلبسه. وقال: إنما آثرتك باللبس لانه خز الممطرين. قال: فأعطيت به ثمانين دينارا فلم تطب نفسي ببيعه وقضيت حاجتى وكررت راجعا إلى العراق، فلما صرت بعض الطريق خرج علينا أكراد يعرفون بالسرنجان فسلبوني وسلبوا القافلة، وكان ذلك في يوم مطير. فاعتزلت في قميص خلق قد بقى على وأنا متأسف من دون ما كان معى على القميص والمنشفة اللذين وهبهما لى على بن موسى الرضا رضى الله عنهما إذ مر بى واحد

من الاكراد تحته الاصفر الذى حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر الخز ثم وقف بالقرب منى وابتدأ ينشد (مدارس آيات) ويبكى. فلما رأيت ذلك عجبت من لص يتشيع، ثم طمعت في القميص والمنشفة. فقلت يا سيدى لمن هذه القصيدة ؟ فقال: وما أنت وذلك ويلك. فقلت له: فيه سبب أخبرك به. فقال: هي أشهر بصاحبها من أن يجهل. فقلت: ومن هو ؟ قال دعبل ابن على الخزاعى شاعر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت يا سيدى أنا والله دعبل وهذه قصيدتي. فقال ويلك ما تقول ؟. قلت: الامر أشهر من ذلك فاسأل أهل القافلة بصحة ما أخبرتك به. فقال: لا جرم والله ولا يذهب من القافلة خلالة فما فوقها ثم نادى في الناس من أخذ شيئا يرده

على صاحبه فردوا على الناس أمتعتهم وعلى جميع ما كان معى ما فقد أحد عقالا ثم انصرفنا إلى شأننا. فقال راوي هذا الخبر عن دعبل فحدثت بهذا الحديث على بن بهزا الكردى فقال لى ذلك والله أبى الذى فعل هذا. حدثنى عبد الله بن عمرو الحارث الواسطي السراج المعروف بأبى أحمد الحارث. قال: كنت مسافرا في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردى فقطع علينا وكان بزى الامراء لا بزى القطاع فقربت منه أنظر إليه وأسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب فداخلته فإذا برجل فاضل يروى الشعر ويفهم النحو فطمعت فيه وعملت في الحال أبياتا مدحته بها. فقال: لست أعلم أن هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعرا الساعة لاعلم أنك قلته، وأنشدني بيتا: قال: فعملت في الحال إجارة له ثلاثة أبيات. فقال لى أي شئ أخذ منك لارده عليك. قال فذكرت ما أخذ منى واستضفت إليه قماش رفيقين كانا لى فرد جميع ذلك، ثم أخذ من أكياس التجار التى نهبها كيسا فيه ألف درهم فوهبه لى. قال: فجزيته خيرا ورددته عليه. فقال لى: لم لم تأخذه فواربت في كلامي، قال أحب أن تصدقني، فقلت وأنا آمن قال نعم. قلت: لانك لا تملكه وهو من أموال الناس أخذته منهم الساعة ظلما فكيف يحل لى أخذه. فقال لى: أما قرأت ما ذكره الجاحظ

في كتاب اللصوص عن بعضهم. قال: إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لانهم منعوها وتجردوا فتركت عليهم فصارت أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها، فإذا أخذوا أموالهم وإن كره التجار أخذها كان ذلك لهم مباحا لان عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الاموال أو كرهوا. فقلت بلى: قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من أين يعلم أن هؤلاء استهلكت الزكاة أموالهم. فقال: لا عليك أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة وأريك بذلك دليلا صحيحا أن أموالهم لنا حلال، ثم قال لاصحابه هاتوا التجار فجاؤا، فقال لاحدهم منذ كم تتجر في هذا المال الذى قطعناه عليك. قال: منذ كذا وكذا اسنة. قال: فكيف كنت تخرج زكاته فتلجلج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلا عن أن يخرجها، ثم دعى بآخر. وقال له: إذا كان معك ثلثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة فما أحسن أن يجيبه. ثم قال للآخر: إن كان معك تجارة ولك دين على نفسين، أحدهما ملى والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع كيف تخرج الزكاة. قال: فما فهم السؤال فضلا عن أن يتعاطى الجواب. فصرفهم. ثم قال لى: بان لك صدق حكاية أبى عثمان الجاحظ، وان هؤلاء التجار ما زكوا قط. خذ الآن الكيس. قال: فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها. فقلت: إن رأيت أيها الامير أن تنفذ معى من يبلغني المأمن كان لك الفضل ففعل ذلك ونجوت من أذاه. حدثنى أبى رحمة الله عليه. قال: لما كنت مقيما بالكرخ أتقلد القضاء بها وبالمرج وأعمالها كان معى رجل له ابن صبى فأقام معى أبوه عشر سنين، وكان ذلك الصبى يدخل دارى ويمرح مع غلماني وأهب له في بعض الاوقات الدراهم والثياب وأحمله وأرقصه كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم، ثم صرفت عن الكرخ ورحلت ولم أعرف للرجل ولا لابنه خبرا حتى مضت السنون، فأنفذني أبو عبد الله اليزيدى من واسط برسالة إلى أبى بكر بن رائق فلقيته

في حدود دير العاقول. قال: وانحدرت أريد واسطا وقد كان قيل لى قبل اصعادي أن في الطريق لصا يعرف بالكرخي وكنت خرجت من واسط بطالع أخذته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة وقد

استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي أمر اللص فلم أر له أثرا فلما انحدرت إلى واسط في بعض الطريق خرج علينا اللصوص في سفن عدة ونشاب وسلاح شاك وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم، وكان معى من غلماني من يضرب النشاب فحلفت أن من يرمى منهم ضربته إذا صرت في البلد مائتي مقرعة وذلك أنى خفت أن يقصدنا اللصوص فلا يرضوا إلا بقتلى من دونهم وبادرت وأخذت ذلك السلاح الذى كان معهم فرميت به في الماء واستسلمت للامر طلبا للسلامة وجلست أفكر في الطالع فإذا ليس ما يوجب عنده القطع على والناس قد أدبروا إلى الشط وأنا في جملتهم حيث تفرغ سفنهم وينقل ما فيها إلى الشط وهم يخبطون بالسيوف وكنت في وسط الكار فانتهى الامر إلى فعجبت من حصول القطع وأن الطالع لا يوجبه ولست أتهم عملي فأنا كذلك وإذا بسفينة فيها رئيسهم قد طرح على زيربى كما كان يطرح على سفن التجار ليشرف على ما يؤخذ منها فحين رأني منع أصحابه من انتهاب شئ من زيربى وصعد وحده إلى فتأملني طويلا ثم انكب فقبل يدى وكان متلثما فلم أعرفه فارتعت. وقلت: يا هذا مالك ؟ فقال لى أما تعرفني يا سيدى ؟ فتأمتله وأنا جزع فلم أعرفه. فقلت: لا والله. قال بلى: وأنا عبدك ابن فلان الكرخي حاجبك، وأنا الصبى الذى ربيت في دارك وربيتنى وكنت تحملني على كتفك وتطعمني بيدك. قال: فتأملته فإذا الخلقة خلقته، إلا أن اللحية غيرته في عيني، فسكن روعى. وقلت يا هذا: كيف بلغت إلى هذا الحال. قال: نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح وجئت إلى بغداد اطلب الديوان فما قبلني أحد فانضفت إلى هؤلاء وطلبت الطريق فلو كان أنصفنى السلطان ونزلنى بحيث أستحق من الشجاعة لانتفع بخدمتي، وما فعلت هذا. ثم قال يا سيدى هل رأيت أحدا من القوم أخذ منك شيئا. فقلت: ما ذهب إلا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال: والله أصاب القاضى

فمن في الكارة ممن تعنى به حتى أطلقه. فقلت: كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو أفرجت عن الجميع كان أحسن بك. فقال: والله لولا أن أصحابي فرقوا ما أخذوا لفعلت ذلك ولكنهم لا يطيعوني في رده إلا أنى لا أدع أحدا يأخذ من السفن الباقية شيئا بعد هذا فجزيته الخير فصعد إلى الشط وأصعد جميع أصحابه ومنع أن يؤخذ شئ من السفن الباقية فما تعرض إليها أحد ورد على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم وأطلق الناس وسار معى في أصحابه إلى أن صار بينى وبين المأمن شئ يسير ثم ودعني وانصرف إلى أصحابه. حدثت عن بعض التجار البغداديين. قال: خرجت بسلع لى ومتاع من بغداد أريد واسطا، وكان اليزيدى بها. والدنيا مفتتنة، فقطع على الطريق وعلى الكار الذى كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدون يطلع قريبا من بغداد فأفقرني وكان معظم ما أملكه معى فسهل على الموت وطرحت نفسي له وكنت أسمع ببغداد أن ابن حمدون فيه فتوة وظرف وأنه إذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التى تكون دون الالف وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئا قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك فأطمعني ذلك في أن يرق لى فصعدت إلى الموضع الذى هو فيه جالس فخاطبته في أمرى ورفقته ووعظته وقلت له: إن جميع ما أمتلكه قد أخذه وانني أحتاج إلى أن أتصدق من بعده. قال: فقال لى يا هذا: لعن الله السلطان الذى أحوجنا إلى هذا فإنه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلى هذا الفعل ولسنا فيما نفعل ارتكاب أمر عظيم مما يرتكبه السلطان أنت تعلم أن ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شئ غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدى بواسط والبصرة والديلم وبالاهواز وقد علمت أنهم يأخذون

أصول الضياع والدور والعقار ويتجاوز ذلك إلى الحرم والاولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء. فقلت أعزك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة، والقبيح

لا يكون سنة فإذا وقفت أنا وأنت بين يدى الله عزوجل أترضى أن يكون هذا جوابك له. قال: فأطرق مليا ولم أشك في أنه يقتلنى ثم رفع رأسه وقال: كم أخذ منك فصدقته، فقال: أحضروه فأحضر. قال: وكان كما ذكرت فأعطاني نصفه. فقلت. الآن قد وجب حقى عليك وصار لي باحسانك إلى حرمة. فقال أجل: فقلت إن الطريق فاسد، وما إلا أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا أيضا فأنفذ معى من يؤديني إلى المأمن. قال: ففعل ذلك وسلمت بما أفلت معى. قال: فجعل الله عزوجل فيه البركة وأخلف. حدثنى الحسن بن صافى مولى ابن المتوكل القاضى. وكان أبوه يعرف بغلام ابن مقلة. قال: لما حصل المتقى بالله الرقة ومعه أبو الحسن على بن محمد بن مقلة وزيره، كاتبني بأن أخرج إليه فخرجت ومعى جماعة من أنسابي وأنساب الخليفة إلى هيت وضم الينا ابن قتال خفراء يودونا إلى الرقة فرحلت من هيت ومعنا الخفراء والغلمان ومن اتجر معنا من هيت فصرنا نحو المائتي مقاتل، فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ونحن في البر الاقفر وقد حصلنا نستريح إذا بسواد عظيم من بعيد لا ندرى ما هو فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا وإذا هو بمائة مطية رجلان فجمعنا رجالنا وأصحابنا وحملنا وأخذوا حجفهم وسلو سيوفهم وتقدمهم رئيسهم. فقال لنا: يا معشر الناس لا يسلن أحد سيفه ولا يرمين بسهم، فمن فعل ذلك فهو مقتول ففشل أكثر من كان معنا، وقاتل الباقون قتالا ضعيفا وخالطنا الاعراب وخرج جماعة منهم وأخذونا وجميع ما كان معنا واقتسموه وطرحونا في الشمس مجرحين فنظرت فإذا أنا قد عريت وبقى على خلق لا يصد عنى شيئا وليس معى ماء أشربه ولا ظهر أركبه وليس بينى وبين الموت الا ساعات يسيرة فقامت على القيامة واشتد جزعى ولم يكن لى حيلة فآيست من الحياة فأنا كذلك إذ وجدت شنشجة كانت لى فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير اللمعان فوقع لى في الحال وجه الحيلة فأخذته وجعلته في قطن وخبأته معى وقصدت رئيس القوم وكان هو الذى تولى أخذ مالى وقد عرف موضعي وقدري. وقلت

له: رأيت عظيم ما أخذته منى فأنا خادم الخليفة، وقد خرجت لامر كبير من خدمته، وإنك فزت بما أخذته منى، وأنا أعاملك به وأسديه اليك حلالا لا يجرى مجرى الغصوب على أن تؤمنني على نفسي وترد على من ثيابي وأدواتي وتسقيني ماء، وتسيرني حتى أصل إلى ما منى. فقال ما هو ؟ فقلت: تعطيني إيمانك وعهودك وذمامك على الوفاء ففعل فانفردت به، وجعلت يدى مقابلة للشمس وأريته الخاتم وأقمت فصه في شعاع الشمس فكاد يخطف بصره ورأى ما لم يكن رأه فهاله وقال لى: استره وقل لى خبره. قلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه ياقوت أحمر وهو الذى يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل، ويعرف بالجبل ولا يقوم أمر الخلافة إلى به، وكان مخبوءا ببغداد فأمرني الخليفة أن أحمله في جملة ما حملته، حيث حصل عندك فالرأى أن تمتنع من أعطاه إلا بمائة ألف دينار وهم لم يقدروا عليك فيضطروا لانفاذ الثمن، وأرى أيضا أن تأخذه وتنفذه إلى ناحية الشام وتوقفني على موضع حلتك، وتخفى حصول الخاتم معك، وإنى إذا حصلت بحضرة الخليفة وعرفته الخبر جاءتك رسله بالرغائب حتى يرتجعه منك بأى ثمن. قال: فإذا خذ من ثيابك ما تريد فأخذت من ثيابي ما احتجت إليه وأخذ الخاتم فخباه في جيبه

وأركبنى راحلة مواطاة وأعطاني أداتين كبيرتين، وسار معى والناس يهلكون عطشا، ولم يزل يسيرني حتى بلغت إلى حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء هشام بن عبد الملك فيه رجل من بنى أمية يكنى بأبى مروان معه في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده، وأمنت انصرفت الاعراب، وعرفت أبا مروان خبرى في القطع، ومن أنا فأعظم أمرى واكرمني وأنفذ معى من أصحابه من بلغني الرقة سالما. عن رجل من الدقاقين في دار ابن الزبير بالبصرة قال: أورد على رجل غريب سفتجة بأجل، وكان يتردد على إلى أن حل ميعاد السفتجة ثم قال: دعها عندك حتى آخذها متفرقة، وكان يجئ في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذت، وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يرانى أخرج كيسا

من صندوقى فأعطيه منه فقال لى يوما: ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على ماله، والذى ينفى الظن عن أهله وعياله فان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل عليه، وأرى قفلك هذا وثيقا. فقل لى ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي. فقلت له: من فلان بن فلان الاقفالى عند باب الصفارين قال: فما شعرت يوما وقد جئت إلى دكاني فطلبت صندوقى لآخذ شيئا من الدارهم فحمل إلى، ولما فتحته وجدته خاليا من الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل أنكرت من الدرابات شيئا. قال: لا. فقلت: فتش هل ترى في الدكان نقبا. قال: لا. فقلت: من السقف حيلة. قال لا قلت: فاعلم أن الدراهم قد ذهبت فقلق الغلام فسكنته، وقمت لا أدرى ما أصنع وتأخر الرجل عنى فلما غاب اتهمته وذكرت مسألته عن القفل فقلت للغلام: أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله قال رسمى ان أدرب درابين والدرابات في المسجد فأحملها في دفعات اثنين أو ثلاثة فاشرحها ثم افعل كذا وكذا فقلت البارحة واليوم فعلت. قال نعم فقلت فإذا مضيت لترد الدرابات أو تحضرها فلمن تدع الدكان ؟ قال خاليا. قلت من هنا وقع الشر ومضيت إلى الصانع الذى ابتعت منه القفل فقلت: جاءك إنسان اشترى منك مثل هذا القفل، قال: نعم رجل من صفته كذا وكذا وأعطاني صفة صاحبي تماما فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وذهب الغلام يحمل الدرابات فدخل هو إلى الدكان فاختبئ فيه، ومعه مفتاح القفل الذى يقع على قفلي وأنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدرابات. فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل بعض الدرابات ليرفعها خرج هو، وإنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج إلى بغداد. فسلمت دكاني إلى الغلام وقلت له: من يسأل عنى فعرفه أنى خرجت إلى ضيعتي قال: ثم خرجت ومعى قفلي ومفتاحه فقلت أبتدى بطلب الرجل بواسط قال: فلما صعدت من السميرية طلبت خانا في الكتبيين بواسط لانزله فأرشدت إليه فصعدت فإذا بقفل مثلى قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله ؟ قال قدم رجل من البصرة أمس فقلت أي شئ صفته ؟ قال: فوصف لى صاحبي بعينه فلم أشك أنه هو وإن الدراهم

في بيته فاكتريت بيتا بجانبه، ورصدت البيت حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل بمفتاحى فحين دخلت البيت وجدت كيسى بعينه فأخذته وخرجت وأقفلت الباب ونزلت في الحال إلى السفينة التى جئت فيها ودعوت الملاح وانحدرت إلى البصرة فما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار ورجعت إلى منزلي بمالى عينه. حدثنى عبد الله بن محمد البصري قال: حدثنى اكار بنهر سايس يقال له سارح قال:

خرجت من نهر سايس إلى موضع من طرف يقال له كوخ راذويه فبلغني أن في طريقي رجلا يقطع الطريق وحده وحذرت منه، فلما خرجت من القرية رأيت رجلا تدل فراسته على شدته ونجدته وفي يده زقاية فجسرنى على الطريق فترفقنا فانتهينا إلى سقاية في البرية فخرج علينا اللص متحزما متسلحا فصاح بنا فطرح رفيقى كارة كانت على ظهره وأخذ عصاة وبادر اللص وضربه بها فعطل اللص الضربة واستلقاها على سيفه فقطع العصاة ثم ضرب بسيفه رجل الرجل فأقعده ثم وشحه بالسيف حتى قتله وحمل على ليقتلني فقلت له ما حاربتك ولا أمتنع من أخذك ثيابي فلاى شئ تقتلني فقال استكتف فكتفنى بتكتى ثم حمل الثياب وانصرف وبقيت متحيرا مشفيا على التلف بالعطش والشمس والوحوش فلما زلت أتمطى في التكة إلى أن قطعتها فقمت أمشى إلى أن جنبني الليل فرأيت في الصحراء على بعد ضوء نار خفيا فقصدته فمشيت إلى نصف الليل فوجدته يخرج من قبة في الصحراء فقربت منها وأطلعت فإذا هو اللص جالس في القبة يشرب نبيذا ومعه امرأته، فلما أبصرني صاح وتناول السيف وخرج إلى فما زلت أنا شده وأحلف له أننى ما علمت أنه هو ولا قصدته وإنما رأيت النار فقصدتها. فلم يعبأ بقولى وحلفته المرأة أن لا يقتلنى بحضرتها فجذبني إلى نهر جار بقرب من القبة، وطرحني على شاطئه تحته وجرد سيفه ليذبحني فسمع صوت أسد قريبا فارتعدت يده وسكن، وأخذ يسكنى فآنست بالسبع استيحاشا منه، وزدت في الصياح فما شعرت إلا والسبع قد تناوله من

صدري فقمت فأخذت السيف وجئت إلى القبة فلم تشك الجارية آنى هو فقالت قتلته ؟ فقلت: لها الله عزوجل قتله، وقصصت عليها القصة، وسألتها عن شأنها فقالت: أنا امرأة من القرية الفلانية أسرني هذا الرجل وخبأني في هذا الموضع وهو يتردد إلى في كل ليلة فأرهبتها فدلتني على دفائن له في الصحراء فاستخرجتها وحملت الجارية وبلغتها القرية وسلمتها فيها وفزت بمال عظيم أغناني عن مقصدي فعدت إلى بلدي. وحدثني أيضا عن ابن الدنانيرى التمار الواسطي قال: حدثنى غلام لى، قال: كنت ناقدا بالابلة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عينا وورقا ولففتها في فوطة واستعديت على السفر مساء إلى الابلة فما زلت أطلب ملاحا فلم أجد إلى أن رأيت ملاحا مجتازا في خيطية خفيفة فارغة فسألته أن يحملنى فسهل على الاجرة وقال: أنا راجع إلى منزلي بالابلة فانزل فنزلت. قال وجعلت الفوطة بين يدى وسرنا إلى أن تجاوزنا مسماران فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون، فلما رأه الملاح كبر وصاح هو بالملاح احملني فقد جنبني الليل، وأخاف على نفسي فشتمه الملاح فقلت: احمله فدخل إلى الشط فحمله. فلما حصل معنا رجع إلى قراءته فخلب عقلي بطيبها فلما قربنا من الابلة قطع القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع إلى الابلة فلم أر الفوطة فقمت واقفا فاستغاث الملاح وقال: الساعة تقلب الخيطية، وخاطبني بخطاب من لا يعلم حالى. فقلت: يا هذا كانت بين يدى فوطة فيها خمسمائة دينار. فما سمع ذلك بكى وقال: لم أدخل الشط بعد ولا لى موضع أخبئ فيه شيئا فتتهمني بسرقته ولى أطفال وأنا ضعيف فاتق الله عزوجل وفعل الضرير مثل ذلك ففتشت الخيطية فلم أجد شيئا فوجمت وقلت: هذه محنة لا أدرى كيف أتخلص منها، وخرجنا فعملت على الهروب وأخذ كل منا طريقا وبت ولم أمض إلى صاحبي وأنا بليلة عظيمة فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لاستخفى فيها أياما ثم أرجع إلى بلد شاسع فانحدرت وخرجت من مشرعة بالبصرة، وأنا أمشى وأتعثر وأبكى

قلقا على فراق أهلى وولدى وذهاب معيشتي وجاهى إذ اعترضني رجل فقال لى يا هذا: ما وراءك ولماذا أنت قلق البال فأعرضت عنه فاستحلفني فأخبرته بالايجاز على سبيل السلوى فقال: امض إلى السجن ببنى نبير واشتر معك خبزا وشواء جيدا وحلوى وسل السجان أو يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له أبو بكر البغاش، وقل له إنى زائره فإنك لا تمنع فإن منعت وهبت للسجان شيئا يسيرا فإنه يدخلك إليه فإذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك، فإذا أكل وغسل يده يسألك عن حاجتك. فأخبره خبرك فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك. قال فشكرته وانصرف، وفعلت ذلك ووصلت إلى الرجل. فإذا شيخ مثقل بالحديد فسلمت عليه، وطرحت ما معى بين يديه فدعى رفقاء كانوا معه وأقبلوا يأكلون فلما استوفى وغسل يده قال: من أنت وما حاجتك ؟ فشرحت له القصة فقال: امض الساعة لوقتك ولا تتأخر إلى بنى هلال فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهى إلى آخره فإنك تشاهد بابا شعثا فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد دهليزا طويلا يؤدى إلى بابين فادخل الايمن منهما فسيدخلك إلى دار فيها أوتاد وبوارى وعلى كل وتد إزار ومئزر فانزع ثيابك والقها على الوتد وأتزر بالمئزر اتشح بالازار فيجئ قوم يفعلون كما فعلت إلى أن يتكاملوا ثم يأتون بطعام فكل معهم وتعهد أن تفعل في كل شئ كما يفعلون فإذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم أقداحا يسيرة ثم خذ قدحا كبيرا واملاه وقم فقل هذا شادى خالي أبو بكر البغاش فسيضحكون ويفرحون ويقولون هو خالك فقل نعم فسيقومون ويشربون لى فإذا تكامل شربهم لى جلسوا فقل نعم خالي يقرأ عليكم السلام ويقول لكم بحياتي يا فتيان ردوا على ابن أختى الفوطة التى أخذتوها أمس في السفينة بنهر الابلة فانهم يردونها عليك فخرجت من عنده وفعلت ما قال ووجدت الصورة على ما ذكر فردت الفوطة على بعينها ولم يحل شدها فلما حصلت لى قلت لهم يا فتيان هذا الذى فعلتموه بى هو قضاء لحق خالي ولى حاجة تخصنى فقالوا: مقضية. فقلت عرفوني كيف أخذتم الفوطة ؟ فامتنعوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة أبى بكر البغاش فقام واحد منهم

ووأمئ إلى رجل فتأمله جيدا فإذا هو الضرير الذى كان يقرأ وإنما يتعامى ويومئ إلى آخر. وقال: أتعرف هذا فتأملته فإذا هو الملاح بعينه. فقلت: كيف فعلتما ؟ فقال الملاح: أنا أدور المشارع في أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامى فأجلسته حيث وأبت فإذا رأيت من معه شيئا له قدر ناديته وأوجبت الاجرة عليه وحملته فإذا بلغت إلى القارى وصارح به شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة ساحتي فان حمله الراكب فذاك وإن لم يحمله رققت عليه حتى يحمله وجلس هذا يقرأ بقراءته الطيبة ويذهل الرجل كما ذهلت أنت فإذا بلغت الموضع الفلاني فإن فيه رجل متوقعا لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة والراكب لا يفطن له فيأخذ الاعمى الشئ الذى مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه في القوصرة فيأخذه هذا ويسبح إلى الشط فإذا أراد الراكب النزول وانتقد ما معه عملنا كما رأيت فلا يتهمنا ونتفرق فإذا كان في الغد اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه واليوم كان يوم القسمة فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا إليك الفوطة. قال: فأخذتها وانصرفت إلى بلدي عاجبا حامدا. حدثنى عبد الله بن محمد الصرورى. قال: حدثنى بعض إخوانى أنه كان ببغداد رجل يتلصص في حداثته ثم تاب وصار بزازا. قال: فانصرف ليلة من دكانه وقد أغلقه فجاء رجل لص متزى بزى

صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس وأعطاه الشمعة في الظلمة وقال أشعلها وجئنى بها فإن لى في هذه الليلة في دكاني شغلا فمضى الحارس وأشعل الشمعة وركب وركب اللص المفاتيح على الاقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة مشعلة فأخذها منه وهو لا يتبين وجهه وجعلها بين يديه وفتح سفط الحساب فأخرج ما فيه وجعل ينظر في الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب فدخلت الحيلة على الحارس ولم يشك أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر فاستدعاه اللص وكلمه من بعيد. وقال له: اطلب لى حمالا فجاءه بحمال فحمل عليه من متاع الدكان أربع رزم وأقفل الدكان وانصرف معه وأعطى الحارس درهمين

---

[٣٤١]

فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتحه فقام إليه الحارس يدعوا له فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين قال فأنكر الرجل ما سمع ولم يرد جوابا، وفتح الدكان فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحا وفقد الرزم الاربع فاستدعى الحارس وقال من الذى حمل الرزم البارحة معى فقال: قد استدعيت فلانا الحمال وهو الذى حملها فقال له على به فمضى الحارس وجاء بالحمال فأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمال معه ومشى وقال له: إلى أين حملت الرزم البارحة فإنى كنت منتبذا ؟ فقال: إلى المشرعة الفلانية واستدعيت لك فلانا الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال: أين عديت اليوم با أخى الذى كان معه الاربع رزم ؟ فقال: إلى المشرعة الفلانية فقال: اطرحني إليها فطرحه فقال: من حملها ؟ قال: فلان الحمال فدعى به فقال امش فمشى وأعطاه شيئا واستدل منه برفق على الموضع الذى حمل إليه الرزم فجاء به إلى باب غرفة في موضع بعيد عن الشط قريب إلى من الصحراء فوجد الباب مقفلا واستوقف الحمال ان فش القفل وفتح الباب ودخلي فوجد الرزم فيه على حالها فدعى الحمال وحملها عليه ووجد يركانا فأخذه أيضا ووضعه مع الرزم وحين خرج من الغرفة استقبله اللصل وفهم الامر فاتبعه إلى الشط فجاء إلى المشرعة ودعى الملاح ليعير فدعى الحمال من يحط عنه ؟ فجاء اللص فحط عنه كأنه يجتاز متطوع ثم أدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها إلى أن انتهى إلي اليركان فأخذه ووضعه على كتفه وقال للتاجر يا أخى استودعتك الله قد ارتجعت رزمك فدع كسائي فضحك منه وقال: انزل ولا خوف عليك فنزل معه فاستتابه ووهب له شيئا ولم يسئ إليه. عن رجل يعرف بأبى العرب قال: كنت مع أهل قرية من نواحى الشام أسكها أنا وأسلافي وكنت أطحن مع أهل القرية في رحى ماء على فراسخ من البلد يخرج إليها أهل البلد وأهل القرى المجاورة بغلاتهم وتكثر فلا يتمكن من الطحن إلا القوى فالقوى، فمضيت مرة ومعى غلة وحملت معى خبزا

---

[٣٤٢]

ولحما مطبوخا يكفيني لايام وكان الزمان شتاء فلما وصلت حططت أعدالى وانتظرت حيت يخف الناس فاطحن فيها على عادتي فأخذني الجوع فتحولت إلى موضع نزه وفرشت سفرتي لآكل فاجتاز بى رجل عظيم الخلقة فدعوته. إلى الاكل فلم يتأخر وجلس فأكل جميع ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا أوقية واحدة فعجبت من ذلك عجبا بان له منى فأمسكت وغسلنا أيدينا فقال: على أي شئ مقامك هنا قلت لاطحن هذه الغلة قال: ولم لم تطحنها فأخبرته بسبب بعد ذلك على فثار كالجمل حتى شق الناس وهم مزدحمون على الرحى وهى تدور فجعل رجله عليها فوقفت ولم تدر

فعجب الناس وقال من فيكم يتقدم فجاء رجل معجب بشدته فأخذ بيده ورمى به كالكورة وجعله تحت رجله الاخرى فما قدر أن يتحرك وقال: قدموا غلتي إلى الطحن وإلا كسرت الرحى وكسرت عظام هذا فقالوا لى هات الغلة فجئت بها فطحنت وفرغ منها وجعلها في الاعدال وقال لى قم فقلت إلى أين ؟ قال: إلى منزلك فقلت لا أسلك الطريق وحدي فهو مخيف ولكن اصبر حتى يتفرغ أهل قريتى فارجع معهم فقال قم وأنا معك ولست تخاف بإذن الله عزوجل فقلت في نفسي من كانت تلك قوته يجب أن آنس به فقمت وحملت الغلة على الحمير وسرنا ولم نر في طريقنا أحدا فلما بلغت المنزل عجب قومي من سرعتي وورودى بالغلة لوحدي ورأوا الرجل وسألوني عن القصة فأخبرتهم وسألناه أن يقيم عندنا أياما في ضيافتنا ففعل فذبحنا له بقرة وأصلحنا له سكباجا وقدم إليه فأكل الجميع بنحو المائة رطل خبزا فقال له أبى يا هذا ما رأيت مثلك قط فأى شئ أنت ومن أين معاشك قال: أنا رجل من الناحية الفلانية وكان لى أخ أشد بدنا وقلبا منى اسمه عاد واسمى شداد وكنا نبدرق القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيرة لا نستعين بأحد وتخرج علينا الرجال الكثيرة فألقاهم أنا وأخى فقط ونهزمهم واشتهر أمرنا حتى كان إذا قيل قافلة عاد وشداد لم يعرض لها أحد فمكثنا بذلك سنين كثيرة فخرجنا مرة أنا وأخى نسير قافلة قد خفرناها فلما صرنا بالفلاة رأينا سوادا مقبلا نحونا فانتظرنا أن يقدم علينا أحد ثم بان لنا شخص وهو رجل أسود على ناقة حمراء ثم خالطنا وقال هذه قافلة

عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا للبراز فانقضضنا عليه فضرب ساق أخى بالسيف ضربة أقعدته وعاد إلى فقبض على كتفي فما أطقت الحركة فكتفنى ثم كتف أخى وطرحنا على الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد أن أخذ من القافلة ما كان فيها من عين وورق وحلى وشيئا من الزاد واوقر الراحلة بذلك وسار بنا على غير محجة في طريق لا نعرفه بقية يومنا وليتنا وبعض الثاني حتى أتى جبلان لا نعرفهما وأوغل فيهما وانتهى إلى مغارات وأناخ الراحلة ثم رمى بنا عنها وتركنا في الكتاف وجاء إلى مغارة على بابها صخرة لا ينقلها إلا الجماعة الكثيرة فنحاها عن الباب واستخرج منها جارية حسناء وسائلها عن خبرها وجلسا يأكلان مما جاء به من الزاد ثم قال لها: قومي فقامت فدخلت إلى الغار ثم جاء إلى أخى فذبحه وأنا أراه وشواه وأكله وحده حتى لم يدع منه غير عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت فجعلا يشربان فلما توسط شربه جرنى فلم أشك في أن يريد ذبحى فإذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات وحل كتافى واطبق الباب بصخرة عظيمة قال: فآيست من الحياة وعلمت أنه إنما أخرني لغد فلما كان في الليل لم أحس إلا بالمرأة تكلمني فقلت ما لك: فقالت إن هذا العبد قد سكر ونام وهو يذبحك في الغد كما ذبح صاحبك فإن كانت لك قوة فاجتهد في دفع الصخرة، وأخرج وأقتله وانج بنفسك وبى فقلت ومن أنت فقالت: أنا امرأة من أهل البلد الفلاني ذات نعمة خرجت أريد أرضا بالبلد الفلاني فخرج هذا عدو الله على القافلة التى كنت فيها فاستهلكها وأخذني غصبا وأنا منذ كذا وكذا شهرا على هذه الصورة ويرتكب منى الحرام وأشاهد ذبح الناس وأكله لهم ولا يوصف له إنسان بشدة بدنه إلا قصده ثم يقهره ويجئ به فيأكله ويعتقد أن شدته تنتقل إليه وإذا خرج حبسني في الغار وخلف عندي مأكولا وماء لايام ولو اتفق أنه يحتبس عنى ولو يوما لمت جوعا وعطشا فقلت إننى والله ما أطيق قلع الصخرة قالت ويلك فجرب نفسك قال فجئت إلى الصخرة واعتمدتها بقوتى فتحركت فنظرت فإذا قد وقعت تحت الصخرة حصاة صغيرة وقد صارت الصخرة متركبة تركيبا صحيحا وذلك لما أراده الله سبحانه وتعالى من خلاصى فقلت

لها: أبشرى ولم أزل أجتهد حتى زحزحت الصخرة شيئا أمكننى الخروج منه قال فخرجت وأخذت سيف الاسود واعتمدت بكلتا يدى وضربت ساقيه فإذا قد أبنت أحدهما وكسرت الاخرى فانتبه ورام الوثوب فلم يقدر فضربته الاخرى على حبل عاتقه فسقط فضربته أخرى فأنبت رأسه وعمدت إلى المغارات وأخذت كلما وجدت فيها من عين وورق وجوهر وثوب فاخر خفيف الحمل وأخذت زادا لايام وركبت راحلته واردفت المرأة ولم أزل أسير في طريق لا أعرفها حتى وقفت على محجة فسلكتها فافضت بى إلى بعض القرى فسلمت الراحلة إلى المرأة وأعطيتها نفقة تكفيها إلى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت إلى بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عزوجل أن لا أتعرض للطريق ولا للخفاوة أبدا فأنا أتاجر في ضياع أشتريتها من ذلك المال وغيره وأقوم بعماراتها وأعيش من غلتها إلى الآن. وعن رجل كردى يعرف بأبى على كان قد انحاز إلى عمران بن شاهين ابن عبد حسنويه بن الحسن الكردى وكان شجاعا قال: خرجنا مرة بالجبال في أيام موسم الحاج وعددنا سبعون رجلا من فارس وراجل فاعترضنا الحاج للخراسانية وكان لنا عين من القافلة فعاد وعرفنا أن في القافلة رجل من أهل شاس وفرغانة معه اثنى عشر جملا وجارية في قبة عليها حلى ثقيل فجعل أعيننا عليه حتى وثبنا عليه هو والجارية في عماريته فقطعنا قطاره وكتفناه وأدخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على ما معه وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون أصفر يساوى مائتي درهم فلما رآنا نريد القفول قال: يا فتيان هناكم الله بما أخذتم ولكننى رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرضوا لسخط الله بمعنى من الحج فأما المال فيذهب ويجئ وتعلمون أنه لا نجاة لى إلا على هذا البرذون فاتركوه لى فليس يبين ثمنه في الغنيمة التى أخذتموها فتشاورنا فقال شيخ مجرب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفا هنا فإن كان في أجله تأخير فسيقيض له من يحل كتافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا ما مقدار دابة بمائتي درهم حتى نمنعها رجل حاج وجعلوا يرققون بقلوت

الباقين حتى سمحنا بذلك فأطلقناه ولم ندع عليه إلا ثوبا يستر عورته فقال. يا فتيان أنتم مننتم على وردتم دابتي وأخشى إذا أنا سرت أن يأخذها غيركم فاعطوني قوسى ونشابي أذب بها عن نفسي وفرسى فقلنا لا نرد سلاحا على أحد فقال بعضنا لبعض وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا فأعطيناه قوسه ونشابه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا ومضى حتى غاب عن أعيننا فما كدنا نسير والجارية تبكى وتقول أنا حرة ولا يحل لكم أن تأخذوني فنحن في هذا وإذا بالرجل قد كر راجعا وقال يا فتيان أنا لكم ناصح فإنكم قد أحسنتم إلى ولا بد لى من مكافأتكم على إحسانكم بنصيحتي لكم فقلنا ما نصيحتك فقال: دعوا ما في أيديكم وانصرفوا سالمين بأنفسكم ولكم الفضل فإنكم مننتما على رجل واحد وأنا أمن على سبعين رجلا منكم وإذا به قد انقلبت عينا في أم رأسه وخرج الزبد على أشداقه كالجمل الهائج فهزأنا به وضحكنا فأعاد علينا النصيحة فقال يا قوم قد مننت عليكم لا تجعلوا لارواحكم سبيلا فزاد غيظنا عليه فقصدناه وحملنا عليه فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل بها منا خمسة أنفار وأخذ خمسة أخر وقال إن جماعتكم تموت على هذا إن لم تخلوا عن ما في أيديكم فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلا وبقى معه النشاب في جعبته ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطررنا إلى أن ترجلنا فحاز دوابنا وحده وساقها قليلا ثم رجع وقال أطالبكم بحلمكم من رمى بسلاحه

فهو آمن ومن تمسك به فهو أبصر فرمينا سلاحنا فقا آمنين وأخذ جميع السلاح والدواب وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح وكان ذلك سبب توبتي عن قطع الطريق أنفة لما لحقني منه وأنا على ذلك الحال إلى اليوم.

الباب الثاني عشر من ألجاه الخوف إلى هرب واستتار * فأدرك بأمن ومستجد نعم ومسار عن محمد بن زكريا العلائى قال: غنى الرشيد يوما بهذا الشعر: ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة * إلى قرقرى قبل الممات سبيل فيا اثلات القاع من بطن توضح * حنيني إلى اضلالكن طويل أريد نهوضا نحوكم فيصدنى * إذا رمته دير على ثقيل قال مؤلف الكتاب: وجدت الشعر في غير هذه الرواية: ويا اثلاث القاع قد مل صحبتي * صحابي فهل في ظلكن مقيل احدث نفسي عنك أن لست راجعا * اليك فحزني في الفؤاد دخيل (رجوع للحديث) فاستحسن الرشيد الشعر، وسأل عن قائله فعرف أنه ليحيى بن طالب الحنفي اليماني فقال: هو حى أم ميت ؟ فقال بعض الحاضرين هو حى كميت. فقال: ولم ؟ قال: هرب من اليمامة لدين عليه ثقيل فصار إلى الرى فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامله بالرى يعرفه ذلك، وأن يدفع إليه عشرة آلاف درهم، ويحمل إلى اليمامة على دواب البريد، وكتب إلى عامله باليمامة بقضاء دينه. فلما كان بعد أيام قال الرشيد لمن حضره: إن الكتب وردت بامتثال ما أمرت به، وعاد يحيى إلى وطنه موسرا وقد قضى دينه عنه من غير سعى منه في ذلك. ذكر محمد بن عبدوس في كتابه: " كتاب الوزراء ". قال: حدثنى عبد الواحد ابن محمد يعنى الحصنى، قال: حدثنى يموت بن المزرع. قال: كان التعابى يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد، وكثر عليه في أمره. فأمر عليه بأمر غليظ فهرب إلى اليمن، وكان مقيما فيها على خوف وتوق فاحتال يحيى بن خالد إلى أن أسمع الرشيد شيئا من خطبه ورسائله فاستحسنها الرشيد وسأل عن الكلام لمن هو ؟ فقال يحيى: هو كلام العتابى، وإن رأيت يا أمير المؤمنين

أن يحضر حتى يسمع الامين والمأمون ويضع لهما خطبا لكان في ذلك صلاح لهما. فأمنه الرشيد وأمر باحضاره. ثم لما اتصل خبر ذلك بالعتابي قال يمدح يحيى بن خالد: ما زلت في سكرات الموت مطرحا * قد غاب عنى وجه الارض من خبلى فلم تزل دائبا تسعى لتنقذني * حتى اختلست حياتي من يد الاجل ذكر في بعض كتب الدولة: أن أبا سلمة الخلال لما قوى الدعاة وشارفوا العراق، وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق استدعى لبنى العباس فسيرهم في منزله بالكوفة، وكان له سرداب فجعل فيه جميع من كان حيا في ذلك الوقت من ولد عبد الله بن العباس، وفيهم السفاح والمنصور، وعيسى بن موسى وهو يراعى الاخبار، وكان الدعاة يأمرون بقصده إذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الامام فيسلمون الامر إليه فلما أوقع قحطبة وابن هبيرة الوقعة العظيمة على الفرات، وغرق قحطبة وانهزم ابن هبيرة ولحق بواسط وتحصن بها، ودخل ابنا قحطبة الكوفة بالعسكر كله قالوا لابي سلمة: أخرج الينا الامام. فدافعهم وقال: لم يحضر الوقت الذى يجوز فيه ظهور الامام، وأخفى الخبر عن بنى العباس وعمل على نقل الامر عنهم إلى ولد فاطمة رضى الله عنهم، وكاتب جماعة منهم فتأخروا عنه وساء ظن بنى العباس. فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب، وقالوا له: أعرف لنا الاخبار فصار يعرفهم أن قحطبة غرق وأن ابن هبيرة انهزم، وأن ابني قحطبة قد دخلا الكوفة

بالعسكر منذ كذا وكذا. فقالوا: أخرج وتعرض لابنى قحطبة واعلمهما بمكاننا، ومرهما أن يكبسا الدار علينا ويخرجانا، فخرج المولى وكان حميد بن قحطبة عارفا به فتعرض له فلما رآه أعظم رؤيته وقال: ويلك ما فعل ساداتنا وأين هم ؟ فخبره بخبرهم، وأرى إليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وأبو سلمة غافل فجاء حتى ولج الدار وأراه الاسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقالوا: وعليكم السلام. فقال: أيكم ابن الحارثية ؟ وكانت أم أبى العباس عبد الله بن

محمد بن على بن عبد الله وكان ابراهيم بن محمد الذى يقال له الامام لما بث الدعاة قال لهم: إن حدث بعدى حدث فالامام ابن الحارثية الذى معه العلامة وهى " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الارض، إلى قوله تعالى: ما كانوا يحذرون " قال: فلما قال ابن قحطبة أيكم ابن الحارثية ابتدره أبو العباس وأبو جعفر كلاهما يقول أنا ابن الحارثية فقال ابن قحطبة: فأيكما معه العلامة ؟ فقال أبو جعفر فعلمت أنى قد أخرجت من الامر لانه لم يكن معى علامة، فقال أبو العباس ونريد أن نمن وتلا الآية. فقال له حميد بن قحطبه: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته مد يدك فبايعه ثم انتضى سيفه وقال: بايعوا أمير المؤمنين. فبايعه اخوته وبنو عمه وعمومته والجماعة الذين كانوا معه في السرداب وأخرجه إلى المنبر بالكوفة وأجلسه عليه. فحصر أبو العباس عن الكلام فتكلم عنه عمه داود بن على فقام دونه عمه على المنبر بمرقاة وجاء أبو سلمة، وقد استوحش وخاف فقال حميد: يا أبا سلمة زعمت أن الامام لم يقدم بعد. فقال أبو سلمة: إنما أردت أن أدفع بخروجهم إلى أن يهلك مروان، وإن كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا، وإن هلك مروان أظهرت أمرهم على ثقة. فأظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه، وأقعده إلى جانبه ثم دبر عليه بعد مدة حتى قتله، وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق فقالوا: قدم أبو العباس السفاح وأهله على أبى سلمة سرا فستر أمرهم، وعزم أن يجعلها شورى بين ولد على والعباس حتى يختاروا منهم من أرادوا ثم قالوا: خاف أن لا يتفق الامر فعزم أن يعدل بالامر إلى ولد الحسن والحسين رضى الله عنهم وهم ثلاثة: جعفر بن محمد بن على بن الحسين و عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على وعمر بن على بن الحسن ووجه بكتبهم مع رجل من مواليهم من ساكنى الكوفة. فبدأ بجعفر بن محمد فلقيه ليلا فأعلمه أنى رسول أبى سلمة وإن معه كتابا إليه قال: ما أنا وأبو سلمة هو شيعة لغيري. فقال له: الرسول تقرأ الكتاب وتجيب عنه بما رأيت. فقال جعفر لخادمه: قرب منى السراج. فقربه فوضع عليه كتاب أبى سلمة فأحرقه. فقال ألا تجيب عنه ؟ فقال:

قد رأيت الجواب. ثم أتى عبد الله بن الحسين فقبل كتابه، وركب إلى جعفر. فقال جعفر: أمر جاء بك يا أبا محمد لو أعلمتني لجئتك. فقال: وأى أمر هو ؟ مما يجل عن الوصف. فقال: وما هو ؟ قال: هذا كتاب أبى سلمة يدعوني إلى الامر، ويرانى أحق الناس به، وقد جاء به شيعتنا من خراسان فقال له جعفر رضى الله عنه: ومتى صاروا شيعتك ؟ أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان، وأمرته بلبس السواد ؟ أتعرف أحدا منهم باسمه ونسبه ؟ قال: لا. قال: كيف يكونوا شيعتك وأنت لا تعرف واحدا منهم ولا يعرفونك ؟ فقال عبد الله: هذا الكلام كان منك لشئ. فقال جعفر: قد علم الله تعالى أنى أوجب

النصح على نفسي لكل مسلم فكيف أدخره عيك ؟ فلا تمنين نفسك الاباطيل فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم، وما هي لاحد من ولد أبى طالب، وقد جاءني مثل ما جاءك فانصرف غير راض بما قال له، وأما عمر بن على بن الحسن فرد عليه الكتاب وقال: لا أعرف من كتبه. قال وأبطأ أبو سلمة على أبى العباس ومن معه فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة فلقى حميد بن قحطبة ومحمد بن صول أحد مواليهم فعرفاه لانه كان يحمل كتب محمد بن على وإبراهيم بن محمد إليه فسألاه عن الخبر فاعلمهما أن القوم قد قدموا وإنهم في سرداب يعنى ببنى أود فصارا إلى الموضع فسلما عليهم وقالا: أيكما عبد الله ؟ فقال المنصور: وأبو العباس كلانا عبد الله. فقال أيكما ابن الحارثية ؟ فقال أبو العباس أنا. فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ودنوا فبايعوه وأحضره إلى المسجد الجامع فصعد على المنبر فحصر وتكلم عنه عمه داود بن على وقام دونه بمرقاة. وعن طارق بن المبارك عن أبيه قال: جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لى: يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة، وأنا حديث السن كثير العيال منتشر الاموال فما أكون في قبيلة إلا وشهر أمرى، وقد عزمت أن أفدى حرمى بنفسى وأنا صائر إلى باب الامير سليمان بن على فصر إلى فوافيته. فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل، وشئ مشدود فقلت سبحان الله

ما تصنع الحادثة بأهلها أيها الانسان ؟ تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاهم، وعليك مثل هذا ؟ قال: والله ما ذهب على ذلك ولكن ليس عندي ثوب إلا أشهر من ذلك فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه، ولويت سراويله إلى ركبته فدخل ثم خرج مسرورا. فقلت: حدثنى بما جرى بينك وبين الامير قال: دخلت إليه ولم يرنى قط. فقلت أيها الامير: لفظتني البلاد اليك ودلني فضلك عليك فاما قبلتني غانما، وإما رددتنى سالما. فقال: من أنت ؟ فانتسبت إليه فقال: مرحبا أقعد فتكلم غانما مسرورا. ثم أقبل على وقال ما حاجتك يا ابن أخى ؟ فقلت ان الحرم اللواتى أنت أقرب الناس اليهن قد خفن بخوفنا، ومن خاف خيف عليه فوالله ما أجابنى عليه إلا بدموع تسيل على خديه. فقال يا ابن أخى: يخفر الله دمك ويحفظك في حرمك ويوقر عليك مالك والله لو أمكننى ذلك في جميع أهلك لفعلت ولكن كن متواريا كظاهر وآمنا كخائف، ولتأتيني رقاعك. قال وكان الله يكتب إليه كما كان يكتب الرجل إلى ابن عمه قال: فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلا فإن ثيابنا إذا خرجت عنا لم ترجع الينا. ووجدت هذا الخبر بإسناد ليس هو لى برواية عن العتبى قال: حدثنا طارق الزراع البصري ولم يتجاوزه قال قدم جدك عمرو بن معاوية البصري حين نكب بنو أمية قال فجعل لا ينزل بحى الا أجهزوه واشتهر فقال لى: اذهب بنا أضع يدى في يد هذا الرجل يعنى سليمان بن يحيى وذكر نحوه، وقال في آخره: فلنا صار عمرو إلى منزله دفعت إليه ثوبه وطلبت ثوبي فردهما على جميعا وقال: انا لم نأخذ ثوبك لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لترده. عن عبد الله بن قيس الرقيات قال: لما خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر ممن معه دعاني، ودعا بمال فملا المناطق منه والبسنى منها وقال: امض حيث شئت فإنى مقتول فقلت: لا والله لا أروح حتى آتى سبيل فأقمت معه حتى قتل، ومضيت إلى الكوفة فأول بيت دخلته إذا فيه امرأة معها بنتان لها

كأنهما ظبيتان فرقيت في درجة لها إلى مشرف فقعدت فيه قال فأصعدت ما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء والوضوء فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدوا على في كل صباح فتسألني عن حوائجى فما سألتنى من أنا ولا أنا سألتها من هي وأنا في أثناء ذلك أسمع الصياح في والجعل فلما طال بى المقام وفقدت الصياح والجعل وعرضت بمكانى عادت إلى تسألني ما الصياح والجاجة ؟ فأعلمتها أنى قد عرضت بموضعي وأحببت الشخوص إلى أهلى فقالت لى: يأتيك ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى قال: فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقت إلى وقالت إن شئت فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما جميع ما أحتاج إليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك فركبت وركب معى العبد حتى أتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من أنت يا هذا فقلت عبد الله بن قيس الرقيات فولولوا وبكوا وقالوا لم يردنا طلبك إلا في هذا الوقت فوقفت عندهم حتى أسحرت ونهضت فقدمت المدينة ومعى العبد فجئت إلى عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنهم وهو يعشى أصحابه فجلست معهم وجعلت أتعاجم وأقول نبا ربنا وأى طيار فلما خرج أصحاية كشفت له عن وجهى فقال: ابن قيس ؟ ! قلت عائذا بك فقال: ويحك ما أجدهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك. ولكني أكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهى زوجة الوليد بن عبد الملك و عبد الملك أرق شئ عليها فكتب إليها يسألها التشفع إلى عمها عبد الملك فلما وصلها الكتاب دخلت على عمها فسألها هل من حاجة قالت: نعم لى حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك قالت: وإن كان ابن قيس الرقيات فقال لا نستثنين على ونفخ بيده فأصاب حر وجهها فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعى يدك فقد قضيت كل حاجة وإن كانت ابن قيس الرقيات فقالت تؤمنه فقد كتب إلى يسألنى أن أسألك قال: فهو آمن قامت فمر به يحضر المجلس العشية فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فأخر الاذن لابن قيس وأذن للناس فدخلوا وأخذوا مجالسهم ثم أذن له فلما دخل عليه قال: عبد الملك يا أهل الشام أتعرفون هذا قالوا

لا قال: هو ابن قيس الرقيات الذى يقول: كيف نومى على الفراش ولما * تشمل الشام غارة شعواء تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خداع العقيلة العذراء فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق قال الآن وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطى وقد أخرت الاذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستأذنه ابن قيس أن ينشده مديحه فأذن له فأنشدته قصيدته التى يقول فيها. عاد له من كثيرة الطرب * فعينه بالدموع تنسكب والله ما أن صبت إلى فلا * يعرف بينى وبينها نسب إلا الذى أورثت كثيرة في ال * قلب وللحب سورة عجب حتى قال فيها: إن الاغر الذى أبوه أبوال * عاص عليه الوقار والحجب يعتدل التاج فوق مفرقه * على جبين كأنه الذهب فقال له عبد الملك: يا ابن قيس أتمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول في مصعب ابن الذبير. إنما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء أما الامان فقد سبق لك ولكن الله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا وأخبرني أبو الفرج المعروف بالاصفهاني عن حماد بن إسحاق عن أبيه أن عبد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله فاستجار بعبدالله بن جعفر وقصده فالتقاه نائما وكان ابن قيس صديقا لسائب خاثر فطلب الاذن على ابن جعفر فتعذر فجاء بسائب خاثر ليستأذن له فقال له سائب خاثر فجئت من قبل رجلى عبد الله ابن جعفر ونبحت بنباح الجرو الصغير فانتبه ولم يفتح عينيه ورفسني برجله قال فدرت إلى عند رأسه فنبحت بنباح الكلب الهرم فانتبه وفتح عينيه فقال ما لك ويلك فقلت ابن قيس الرقيات بالباب فقال

ائذن له فأذنت له ودخل فرحب به عبد الله وقربه فعرفه ابن قيس خبره فدعى بظبية فيها دنانير وقال لى عد له

ما فيها فجعلت أعد له وأطرب وأحسن صوتي بجهدي حتى عددت له ثلاث مائة دينار وسكت. فقال عبد الله: ويلك لما ذا سكت ما هذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت أعد ما في الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها إليه فلما قبضها التفت لابن جعفر وقال له: تسأل أمير المؤمنين في أمرى. قال: نعم إذا دخلت عليه ثم أنه دعى بالطعام فأكل أكلا فاحشا وركب ابن جعفر فدخل معه إلى عبد الملك فلما قدم الطعام جعل يسئ الاكل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا ؟ قال: رجل لا يجوز أن يكون كاذبا إن استبقى وإن قتل كان أكذب الناس قال: كيف ؟ قال لانه يقول: ما نقموا من بنى أمية إلا * أنهم يحلمون ان غضبوا فإن قتلته بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال قال: أحب أن تهب عطاءه لى أيضا كما وهبت لى دمه قال: قد فعلت وأمرت له بذلك. عن حماد الراوية قال: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك جعل هشام يحفونى دون سائر أهله من بنى أمية في أيام يزيد فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ومكثت في بيتى سنة لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرنى أمنت فخرجت فصليت الجمعة عند باب الفيل فإذا بشرطيين قد وقفا على وقالا: يا حماد أجب الامر يوسف ابن عمر فقلت في نفسي. من هذا. كنت أحذر. ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعانى أتى بيتى فاودع أهلى وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أصير معكما فقالا: ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى الامير وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتابا فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد: فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الرواية من يأتيك به من غير أن يروع

ولا يتعتع وأدفع إليه خمسمائة دينارا وجملا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق، فأخذت الخمسمائة دينار وإذا جمل مرحول فجعلت رحلى في الغرر وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام واستأذنت عليه فاذن لى فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح رائحته فسلمت عليه فرد على واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله، وإذا جاريتان لم أر مثلهما وفي أذن كل واحدة منها حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان. فقال لى: كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ قلت بخير يا أمير المؤمنين. قال أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت: لا قال بعثت بسبب بيت خطر في بالى لم أدر من قائله قلت وما هو ؟ قال: ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق فقلت: هذا يقوله عدى بن زيد العبادي في قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لى ألا تستفيق ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق لست أدرى إذا كثر العذل فيها * أعدو يلومني أم صديق ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق ندمته على عقار كعين الد * يك صفى سلافها الراووق قال فطرب، ثم قال: أحسنت يا حماد والله يا جارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي وقال أعد فأعدته

فاستخفه الطرب حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الاخرى اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي فقلت إن سقتني الثالثة افتضحت ثم قال لى: سل حوائجك ؟ قلت كائنة ما كانت قال: نعم قلت إحدى الجاريتين قال هما لك بما عليهما وما لهما ثم قال: للاولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتى أصبحت فإذا بالجاريتين عند رأسي وإذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة وقال لى أحدهم أن أمير

المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذا فانتفع به في سفرك فأخذتها والجارتين وانصرفت. عن عبد الله بن عمران أبى فروة قال: كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي من أشراف قيس وكان مع ابن الزبير فلما قتل دخل عبد الله بصفة إعرابى على عبد الملك بن مروان ليلا وهو يتعشى مع الناس فجلس وأكل معهم ثم وثب فقال: منع القرار فجئت نحوك هاربا * جيش يجر ومقنب يتلمع فقال: أي الاخابيث أنت ؟ فقال: ارحم أصيبة هديت كأنهم * حجل تدرج بالسرية جوع فقال: أجاع الله بطونهم فأنت أجعتهم فقال: مال لهم مما تظن جمعته * يوم القليب فحيز عنهم أجمع فقال: كسب سوء خبيث فقال: ولقد وطئت بنو سعيد وطأة * وابن الزبير فعرشه متضعضع وأرى الذين رجوا تراث محمد * أفلت نجومهم ونجمك يسطع فقال الحمد لله على ذلك فقال: أدنوا لترحمني وتقبل توبتي * وأراك تدفعني فأين المدفع فقال: إلى النار فقال: ضافت ثياب الملبسين فأولنى * عرفا وألبسنى فثوبك أوسع قال: فرمى إليه بمطرف خز كان عليه فقال عبد الله: أمنت والله فقال له عبد الملك: كن شئت إلا عبد الله بن الحجاج فقال: والله ما أنا إلا هو وقد أمنتنى، اكلت طعامك ولبست ثيابك فأى خوف على قال: ما هداك إلا جدك وأمضى له الامان. ووجدت في بعض كتبي هذا الخبر ان ابن الزبير لما قتل اهدر عبد الملك

دم عبد الله بن الحجاج هذا فاشتد عليه الطلب فجاء ليلا ولم يكن عبد الملك ليجمع بين اسمه وجسمه فجلس بين الناس مستخفيا على الطعام إلى أن أكل وتحرم ورآه عبد الملك ثم قام وقال الابيات وموضوع هذا الخبر يدل على هذا ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله أعلم. عن أبى طالوت كانت ابن طاهر قال: سمعت الفضل بن الربيع يقول: لما استترت عن المأمون أخفيت نفسي حتى على عيالي وولدى وكنت أنتقل وحدي فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذرى وخوفي على نفسي فتشددت في الاحتياط والتوارى فأفضيت إلى منزل بزاز كنت أعرفه في درب على باب الطاق وتشدد المأمون في طلبى فلم يعرف لى خبرا فتذكرني يوما فاغتاظ على إسحق بن إبراهيم وحد به في طلبى فاغلظ له فخرج إسحاق من حضرته وجد بأصحاب الشرط وأوقع ببعضهم المكاره ونادى في الجانبين من جاء به فله عشرة آلاف درهم وأقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل سنة وإن كل من وجد عنده بعد النداء يضرب خمسماية سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره ويحبس طول عمره ونودى بذلك عشاء فما شعرت بصاحت الدار حتى دخل على وأخبرني به وقال والله ما أقدر بعد هذا على حفظ روحك ولا آمن على روحي وغلماني وجاريتي إن تشره نفوسهم إلى المنال فيدلون عليك وأهلك بهلاكك فان صفح الخليفة عنك لم آمن أن تتهمنى إنى دللت عليك فيكون ذلك أقبح وليس الرأى لك ولا لى إلا أن تخرج فورد على أعظم وارد فقلت إذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن بطيق الصبر على هذا وهذا وقت حار وقد

طال عهد الناس بك فتنكر واخرج قلت وكيف أتنكر قال تأخذ لحيتك وتغطي رأسك وتلبس قميصا ضيقا وتخرج فقلت: أفعل فجاء بمقراض فأخذ أكثر لحيتى وتنكرت وخرجت في أول أوقات العصر وأنا ميت خوفا فمشيت في المشارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو متزلق فلما توسطته فإذا بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون في دارى أيام وزارتي قرب منى وقال: طلبة أمير المؤمنين والله وعدل إلى ليقبض على فمن حلاوة

النفس دفعته ودابته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر وتعادى الناس لخلاصته وظنوا أنه زلق نفسه وتشاغلوا به وزدت أنا في المشى ولم أعد لئلا ينكر حالى من يرانى إلى أن عبرت الجسر ودخلت دار سليمان فوجدت امرأة على باب دار مفتوح فقلت لها: يا امرأة أنا خائف من القتل فأجيرينى واحفظيني فقالت: ادخل وأومأت إلى غرفة فصعدت إليها فلما كان بعد ساعة إذا بزوجها على الباب ففتحته له ودخل فتأملته فإذا هو صاحبي على الجسر وهو مشدود الرأس من شجة لحقته وسألته المرأة عن خبره فأخبرها بالقصة وقال لها قد زمنت دابتي وأنفذتها لتباع في سوق اللحم وقد فاتني الغناء وجعل يشتمني وهو لا يعلم بوجودي معه في الدار وأقبلت المرأة تترفق به إلى أن هدأ فلما صليت المغرب وأقبل الظلام صعدت المرأة إلى وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت: قد سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت لها ونزلت ففتحت الباب فتحا رقيقا وكانت الدرجة في الدهليز فأفضيت إلى الباب فلما أنتهيت إلى آخر الدرب وجدت الحراس قد اغلقوه فتحيرت فرأيت رجلا يفتح بابا بمفتاح رومى. فقلت: هذا رومى وهو ممن يقبل مثلى فدنوت وقلت استرني سترك الله قال: ادخل فدخلت فرأيت رجلا فقيرا وحيدا فأقمت ليلتى فبكر من غد ثم عاد نصف النهار ومعه حمالان يحمل أحدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وغضائر جدد وقدر جديد والآخر يحمل خبز وفاكهة ولحم وثلج فدخل وترك ذلك كله عندي وأغلق الباب فنزلت وعذلته وقلت له كلفت نفسك هذا فقال: أنا رجل مزين وأخاف أن تستقذرني فاطبخ أنت واطعمني في غضارة أجئ بها من عندي فشكرته على ذلك ومكثت عنده ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ضاق صدري. فقلت له: الضيافة ثلاثة وقد أحسنت وأجملت وأريد الخروج فقال لا تفعل فانى وحيد وخبرك لا يخرج من عندي أبدا فأقم إلى أن يفرج الله عنك فلست اتثاقل بك فأبيت للحين قال فخرجت حتى بلغت باب التين إلى دار عجوز من موالينا فدفعت الباب عليها فخرجت فلما رأتنى بكت وحمدت الله تعالى على رؤيتي وأدخلتني الدار فلما كان في السحر وأنا نائم غير مكترث وبكرت فسعت

إلى أبواب اسحق فما شعرت إلا وإسحاق نفسه في خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها حتى أوقفني بين يدى المأمون حافيا حاسرا فلما رأني سجد طويلا ثم رفع رأسه فقال يا فضل: أتدرى لم سجدت قلت شكرا لله على ظفرك بعدوك وعدو دولتك والمغرى بينك وبين أخيك قال ما أردت هذا ولكن سجدت شكرا على ما ألهمنيه من العفو عنك. فحدثني بخبرك فشرحته له من أوله إلى آخره فأمر بإحضار المرأة مولاتي وكانت في الدار تنتظر الجائزة فقال: ما حملت على ما فعلت مع انعامه وإنعام أهله عليك قالت رغبة في المال. قال هل لك ولد، أو زوج، أو أخ ؟ قالت لا فأمر بضربها مائتي صوت وتخليدها في الحبس ثم قال لاسحق احضر

الساعة الجندي وامرأته والمزين فاحضروا في المجلس فسأل الجندي عن السبب الذى حمله على فعله فقال الرغبة في المال ووالله أنه الذى اثبتنى في الجيش ولكني رغبت في المال العاجل فقال أنت بأن تكون حجاما أولى بك من أن تكون من أوليائنا وأمر بأن يسلم للمزينين في الدار ويوكل به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وأمر باستخدام زوجته على قهرمة دور حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة وأمر بتسليم دار الجندي وقماشه إلى المزين وإن يجعل رزقه له ويجعله جنديا مكان ذلك الجندي، واطلقني إلى دارى فرحعت إليها آخر النهار آمنا مطمئنا: ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا في " كتاب الوزراء " لابن عيدوس فإنه ذكر أن الفضل ابن الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه الاخبار فغير زيه وخرج في السحر وكان استتر بناحية الخربية من الجانب الغربي فمشى وهو لا يدرى أين يقصد لحيرته وبعد عهده بالطرق فأداه المشى إلى الجسر وقد اسفر الصبح فأيقن بالعطب وقصد منزلا لرجل كانت بينه وبينه مودة بسويقة نصر، فلما صار ببعض المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم فتخفى حتى جاوزه الركبان والمنادى ومشى فرآه رجل فانتبه له وقال يا فضل وكان في أحد جانبى الطريق الذى الفضل فيه فامه إلى الجانب الذى كان فيه ليقبض عليه فاعترضته حمير وجمال عليها جف ونظر الفضل يمينا وشمالا فلم يجد مذهبا وبصر بدرب فدخله فوجده لا ينقذ ووجد في صدره

بابا مفتوحا فهجم على المنزل وفيه امرأة فاستغاث بها فأجارته وبادرت إلى الباب فأغلقته وناشدها الله أن تستره إلى الليل فأمرته بالصعود إلى غرفة لها فلم يستقر به القعود حتى دق الباب فلما فتح الباب دخل الرجل الذى رآه وعزم على القبض عليه وإذا المنزل له فقال لزوجته فاتني الساعة عشرة آلاف درهم. قالت له وكيف ذلك ؟ قال لها مر بى الفضل فمددت يدى لاقبض عليه فابتلعته الارض فقالت له امرأته الحمد لله عزوجل على أن كفاك أمره وبقى دينك عليك ولم تكن سببا لسفك دمه أو مكروه يلحقه فلما خرج صعدت إليه فقالت قد سمعت وما هذا لك بموضع فخرج إلى بعض منازل معامليه فلما صار إليه نبه العامل عليه وأسلمه إلى طالبيه فحمل إلى المأمون فلما رآه وسأله عن خبره شرح له قصته فأمر للمرأة بثلاثين ألف درهم وقال للرسول قل لها يقول لك الفضل هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل فردتها وأبت قبولها وقالت: لست آخذ على شئ فعلته لله تعالى جزاء إلا منه. حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر بن شجاع المتكلم البغدادي الملقب بجنيد قال: حدثنا الفضل بن هامان السيرافى وكان مشهورا بسلوك أقاصى بلاد البحر قال: قال لى رجل من بعض بياسرة بلاد الهند والبيسر هو المولود على ملة الاسلام هناك قال: كان في إحدى بلادهم ملك حسن السيرة وكان لا يأخذ ولا يعطى بمواجهة وإنما كان يقلب يده وراء ظهره فيأخذ ويعطى بها إعظاما منهم للملك وسنة لهم هناك ولاولادهم وأنه توفى فوثب رجل من غير أهل المملكة فاحتوى على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفا على نفسه من المتغلب، ورسوم ملوك الهند أن الملك إذا قام عن مجلسه لاى حاجة عرضت له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر مضروب بالابريسم في الصدرة ويكون فيها من الجوهر ما لو أراد أن يقيم به ملكه لاقامه قال: ويقولون ليس يملك من إذا قام عن مجلسه وليست معه حتى إذا حدثت عليه حادثة وهرب بها أمكنه إقامة ملك منها فلما حدث على الملك تلك الحادثة أخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه أنه مشى ثلاثة

أيام قال ولم أطعم طعاما ولم يكن معى فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولا ولم أقدر على إظهار ما معى وانفت ان استطعم قال: فجلست على قارعة الطريق فإذا رجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت أين تريد قال الحرام الفلاني ومعنى الحرام الرستاق فقلت وأنا أيضا أريد هذا الحرام قال فنصطحب قلت نعم فصحبته طمعا في أن يعرض على شيئا من مأكوله قال فحل الكاره وأكل وأنا أراه ولم يعرض على شيئا من مأكوله ولم تقو نفسي على أن تبدئه بالسؤال فلما فرغ قام يمشى فمشيت معه وبت معه طمعا في أن تحمله المزاملة على العرض على فعمل بالليل كما عمل بالنهار قال وأصبحنا في غد فمشينا فعاملني بمثل ذلك أربعة أيام قال فصار لى سبعة أيام لم أذق فيها شيئا فأصبحت في الثامن ضعيفا مهووسا لا قدرة لى على المشى فعدلت عن الطريق وفارقت الرجل فرأيت قوما يبنون وقيما عليهم فقلت للقيم استعملني مثل هؤلاء باجرة تعطينيها عشاء فقال نعم ناولهم الطين قلت عجل لى أجرة يوم ففعل فابتعت بها ما أكلته وقمت أناولهم الطين فكنت لعادة الملك أقلب يدى إلى ظهرى واعطيهم الطين فلما أتذكر أن ذلك خطأ ينبه على سفك دمى أبادر بتلافى ذلك فادر يدى بسرعة من قبل أن يفطنوا بى قال فلمحتني امرأة قائمة فأخبرت سيدتها خبرى وكانت صاحبة البناء وقالت لا بد أن يكون هذا من أولاد الملوك قال فتقدمت إلى القيم بحبسي عن المضى مع الصناع فاحتبسني وانصرف الصناع فجاءتني بالدهن والعروق لاغتسل بهما وهذه تقدمة إكرامهم وسنة لعظمائهم فتغسلت بذلك وجاؤوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة على نفسها في التزويج فأجبت وعقدت ودخلت بها من ليلتى وأقمت معها أربع سنين ادبر حالى وحالها وكانت لها نعمة فأنا يوم جالس على باب دارها إذا برجل من بلدي فاستدعيته فجاء فقلت له من أين أنت ؟ قال: من بلد كذا وكذا فذكر بلدي فقلت ما تصنع ها هنا قال: كان فينا ملك حسن السيرة فمات فوثب على ملكه رجل ليس من أهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب أساء عشرة الرعية فوثبنا عليه فقتلناه وانبثثنا في البلد ان نطلب ابن ذلك الملك المتوفى

فنجلسه مكان أبيه فما عرفنا له خبرا قال فقلت أتعرفني ؟ قال لا: قلت: أنا طلبتكم قال وأعطيته العلامات فعلم صحة ما قلته له فكفر لى فقلت: اكنم أمرنا إلى أن ندخل الناحية قال: افعل ففعل قال: فدخلت إلى المرأة وأعلمتها بالخبر وحدثتها بأمرى كله وأعطيتها الصدرة وقلت هذه قيمتها كذا كذا ومن حالها كذا وكذا وأنا ماض مع الرجل فإن كان ما ذكر صحيحا فالعلامة أن يجيئك رسولي ويذكر لك الصورة وإن كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى الرجل وكان الامر صحيحا فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير وأجلسوه في الملك فانفذ إلى زوجته من حملها فجاءت إليه فحين اجتمع شمله واستقام أمره أمر فبنيت له دار ضيافة عظيمة وأمر أن لا يجوز في عمله مجتاز إلا حمل إليها فيضاف فيها ثلاثة أيام ويزود لثلاثة أيام أخر فكان يفعل ذلك وهو يراعى الرجل الذى صحبه في سفره ويقدر أن يقع في يديه فلما كان بعد حول استعرض الناس قال وكان يستعرضهم في كل يوم فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان في ذلك اليوم رأى الرجل فيهم فحين وقعت عينه عليه أعطاه ورقة تابول وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام إذا فعله الملك برعيته قال فحين فعل الملك ذلك بالرجل كفر له وقبل الارض فأمره الملك بالنهوض ونظر إليه فإذا هو ليس يعرف الملك فأمر بتغير حاله وإحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال أتعرفني ؟ فقال: وكيف لا

أعرف الملك وهو من عظم شأنه وعلو سلطانة بحيث هو قال لم أرد هذا أتعرفني قبل هذا الحال قال لا فذاكره الملك بالحديث والقصة في منعه إياه الطعام في السفر قال فبهت الرجل فقال ردوه إلى الدار فردوه فزاد في إكرامه وحضر الطعام فاطعم فلما أراد النوم قال الملك لزوجته امضى فغمزيه حتى ينام قال فجاءت المرأة فلم تزل تغمزه إلى أن نام ثم رجعت إلى الملك فقالت قد نام قال ليس هذا نوم حركوه فحركوه فإذا هو ميت قال فقالت له المرأة أي شئ هذا قال فساق لها حديثه معه وقال وقع في يدى فتناهيت في إكرامه والهند لهم أكباد عظام وأوهام ظريفة فأدخلت عليه حسرة عظيمة إذ لم يحسن إلى فقتلته وقد كنت أتوقع موته قبل هذا بما توهمه واستشعره من العلة في نفسه لفرط الحسرة.

حدثنا أبو عبد الله بن أحمد بن شيرزاد قال: حدثنى خالي وابن عم أبى أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد قال: لما سعى على عند بحكم حتى صرفني عن كتبته ونكبى وألزمني بمائتي ألف دينار فأديت أكثرها من غير أن أبيع شيئا من أملاكي الظاهرة فلما قاربت على وفاتها استحضرني أحمد بن على الكوفى كاتبه، وأخذ يخاطبني بكلام طويل هو تقدمة واعتذار لشئ يريد أن يخاطبني به. فقلت له يا سيدي: ما تريد ؟ وما بك حاجة إلى التسبب فانى بمودتك واثق. فقال: إن هذا الرجل يعنى بحكم قد رجع عليك في صلحك وطمع فيه وطالبني أن آخذ منك مائتي ألف دينار أخرى، ووالله ما هذا عن رأيى ولا لى فيه مدخل، ولو قدرت على إزالته عنك لفعلت. قال: فأخذت أحلف أنى لا أهتدى إليها، ولا إلى عشرها، وان النكبة قد استنفدت مالى ولم يبق لى شئ إلا دارى وضياعي، وانى أسميهما، ولا أكتم شيئا منهما، وأخرج له عنهما ليهب لى روحي. قال: فطال الخطاب بيننا فلما قام في نفسه صدقي فكر طويلا ثم قال: يا سيدى هذا رجل أعجمى وعنده أن وراءك أضعاف هذا المال، وأن فيك من الفضل ما يصلح لقب دولته عليه، وأنت والله معه في طريق القتل إلا أن يكفيك الله عزوجل، ووالله ما أحب أن يجرى مثل هذا على يدى، ولا في أيامى فيلزمني عاره إلى الابد وأجسره على قتل كتابه فدبر خلاصك. فتحيرت ثم سكنت وقلت له: تعطيني ميثاقك وتحلف لى أن سرك في محبة خلاصى كعلانيتك حتى أقول ما عندي ؟ ففعل. فحلفت له أنى قد صدقته، وانى لا أمتنع مما يجر عنى به بعد هذا اليمين ولو شاء منى أن أفتح دواتي وأكتب بين يديه، وقلت له: أنت وقتك مقبل ووقتي مدبر، وأنت فارغ القلب وأنا ذاهل بالمحنة فدبر أمرى الآن كيف شئت فإنه ينفتح لك بهاتين الخلتين ما قد استبهم على. قال: ففكر ثم قال: آنا ان آيست هذا الرجل من مالك لم آمنه على دمك، وان أطعمته في مالك وليس لك ما تعلله به أدت بك المطالبة إلى التلف، ولكن الصواب عندي أن أطمعه في ضيعتك فاشتريها له منك وأقول ان ضياع السواد الخراجية قد أجمع شيوخ الكتاب بالحضرة قديما وحديثا على أن كل ما كان

منها غلته درهم فقيمته أربعة دراهم وأبو جعفر يقول: ان غلات الضياع بعد الخراج خمسة وعشرون ألف دينار وانه يضمنها بذلك حاصلا خالصا بعد الخراج والمؤن ويقيم بذلك كفلاء فاشترها منه بمائتي ألف دينار كملا ويحصل لعقبك ملك جليل مع هذا، وهو يؤدى باقى المصادرة الاولى، وتصير ضامنا لضيعته فادفع ذلك اليك أيضا. ومن ساعة إلى ساعة فرج وأنا أحتال بحيلة في أن يكون الكتاب عندي فلا أسلمه إليه فلعل حادثه تحدث وترجع اليك ضيعتك، وتكون

بالعاجل قد تخلصت وسلم دمك في أربع سنين. قال: فعلمت أنه قد نصحنى وآثر خلاصى وأجبت فدخل إلى بحكم ولم يزل معه في محادثات إلى أن تقرر الامر على ما قاولني عليه وأحضر الشهود وكتب على الكتاب بالابتياع والكتاب بالاجارة وقال لى: الوجه أن تقيم كفلاء ببقية المصاردة الاولى فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك، وإذا انصرفت فانضم ولا يراك أحد، وكن متحذرا ولا تظهر أنك مستتر فتغريه بك. قال: فشكرته وأقمت الكفلاء بالمال إلى أيام معلومة فصرفني فعدت إلى دارى وكنت متحذرا اجلس في كل يوم فيدخل إلى بعض الناس بمقدار ما يعلم أنى في دارى فإذا كان نصف النهار خرجت إلى منازل اخواني وأقمت يوما عند هذا ويوما عند الآخر وراعيت أخبار دارى أتوقع أن يجيئها من يكبسها فيطلبني فأكون بحيث لا يعرف خبرى فأنجو فطال ذلك والسلامة مستمرة، وانحدر بحكم إلى واسط فآنست بالجلوس والاستقرار في دارى فلما كان في بعض الايام ضاق صدري ضيقا لا أعرف سببه واستوحشت وفكرت في أمرى وقلت إن كبست على غفلة فماذا أصنع ؟ قال: وكان لداري أربعة عشر بابا إلى أربعة عشر سكة وشارعا وزقاقا نافذا ومنها عدة أبواب لا يعرف جيرانها أنها تفضى إلى دارى وأكثرها عليه الابواب الجديدة. قال: فترآ لى أن أرسلت لغلماني المقاتلة، وكانوا متفرقين عنى قد صرفتهم لئلا يصير لى حديث فجاؤني واجتمع منهم ومن أولادهم نحو ثلاثمائة غلام فقلت لهم إذا كان الليلة فاحضروا جميعا بسلاحكم وبيتوا عندي ليلا وأقيموا نهارا إلى أن أدبر أمرى. قال: ففعلوا ذلك وفرقتهم في الحجر

المتقاربة للمجلس الذى كنت أجلس فيه وقلت إن كبست فتشاغلوا عن من يطلبني لا نجو قال وكنت أدبر كيف أعمل في قلب الدولة أو استصلاح بحكم فلم يقع لى الرأى ولا أجد إلى ذلك طريقا، وكنت أوصيت بوابى أن يغلق بابى المعلوم للناس ولا يفتحه لاحد من خلق الله إلا بأمرى وأجلست غلاما كان يحجبني في أيام الدولة، ومعه عشرون غلاما بسلاح خلف الباب وكان لا يفتح لاحد. فما مضى لهذا إلا يومان أو ثلاثة حتى جاءني حاجبي وقال: قد دق الباب فقلنا من الطارق ؟ قال: أنا غلام لمحمد بن ثبال البرجمان وهو وأبو بكر النقيب بالقرب منكم يستأذنون على سيدنا في الدخول فقلت في نفسي بليت والله، وأمرت الغلمان فاجتمعوا بأسرهم متسلحين في بيت له قبة كبيرة كنت جالسا في أحد أروقته وأمرتهم أن لا ينبسوا بكلمة وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى ؟ وأخبرني به ففعل وعاد وقلت رأيت الشارع مملوء بالخيل والرجل وقد أحاطوا من جنبات كثيرة ولما رأوني أراقبهم تنحيت فصاح بى البرجمان قائلا كلمني وما عليك بأس فأخرجت رأسي فقال: ويحك ما جئنا لمكروه وما جئنا إلا لبشارة فعرف سيدنا بذلك فقلت ليس هو في الدار ولكن أراسله ثم أخبر الامير أيده الله في غد برسول إلى داره فقال أنا ههنا واقف ساعة إلى أن يرى رأيه ففكرت وقلت هذه حيلة للقبض على لا شك ويجوز أن يكون بحكم قد تغير على الكوفى ولا يجد لخدمته غيرى واعترضني الطمع وكاد يفسد رأيى ثم قلت للغلمان: ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على أبى بكر النقيب والبرجمان أيديكم فاخرجوا وخذوا رأسيهما ولا تستأذنوا البتة فأجابوا فقلت احذروا أن تخالفوا فأهلك فقالوا نعم ثم قلت للحاجب اطلع السطح وقل له إنى على حال من اختلال الفرش والكسوة لا أحب معهما دخول أحد إلى فإن رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر النقيب فقط وإلا فأنا أصلح أمرى وأجئ إلى دارك الليلة قال فعاد الغلام وقال كلمته فقالوا رضينا بذلك فقلت يا فلان: اخرج واحذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعة وأرى أن تقول له أن يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلا فان ازدحم الناس وتكاثروا فهى حيلة فدعهم يدخلون وصح يا هذا فاعلم أنا آنها حيلة

فاخرج من بعض الابواب أمامهم فيفضون إلى هذا الباب وهو مقفل ووراءه الغلمان وإن حضرا وحيدين فقل لهما الشرط أن أقفل الباب بينكما وبين أصحابكما ثم افتح الباب الذى يلى الشارع حتى يدخلا ثم اقفله وارم مفاتيحه من تحت الباب الثاني إلينا إلى الصحن ودق هذا الباب فإنى واقف وراءه لاتقدم بفتحه ويدخلان ففعل الحاجب ذلك وحصل أبو بكر النقيب والبرجمان في الدهليز وحيدين فلما سمعت صوت قفل الباب الباب الخارجي وأنا عند الباب الداخلي ودق الحاجب الباب الثاني ورمى بالمفتاح عدت إلى مجلسي فجلست فيه ونحيت من كنت أقمته وراء الباب الثاني بالسلاح وأعدت على الجماعة الوصية بقتلهما إن صحت يا غلمان اخرجوا ثم تقدمت إلى غلام كان واقفا بلا سلاح أن يفتح الباب ويدخلهما ففعل ذلك وألقيت نفسي على الفرش كأنى عليل ودخلا فلم أو فهما الحق واخفيت كلامي كما يفعل العليل فقالا ما خبرك فقلت أنا منذ أيام عليل وارتعت لحضوركما فأخذ البرجمان يحلف أنه ما حضر إلا ليردني إلى منزلتي واستكتابي للامير بحكم فشكرته على ذلك وقلت أنى تائب من التصرف ولا أصلح له فقال قد أمرنى الامير بمخاطبتك في الخروج إليه إلى واسط لتقرير هذا الامر فلا يجوز أن أكتب إليه بمثل هذا عنك ولكن إن كنت زاهدا في الحقيقة فاخرج إليه واحدث لخدمته عهدا واستعفه فإنه لا يجبرك فقلت هل كاتبني بشئ توصله إلى فقال قد اقتصر على ما كتب به إلى لما يعلمه من مودتي لك ولكى لا يفشوا الخبر بذلك فقلت تقفنى على كتابه إليك قال لم أحمله معى فعلمت أنه كوتب بالقبض على فقلت أنا عليل كما ترى ولا فضل في للسفر ولكن تجيب الامير عنى بالسمع والطاعة وإنى سأخرج لحضرته بعد أسبوع ذا شممت نفسي قليلا قال إنه يقبح هذا الوجه وأرى أن تخرج قلت لا أقدر فراجعني وراجعته إلى أن قال لا بد من خروجك فقلت إنى لا أخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك وهممت أن أصيح بالغلمان وكان أبو بكر النقيب خبيثا فقام وقال: اسئل سيدنا بالله العظيم أن لا يتكلم بحرف ويدعنى وهذا الامر ثم أخذ بيد البرجمان وقاما إلى ناحية من المجلس بعيدة لا أسمع ما يجرى بينهما فأطالا السر ثم جاءني

فأخذ أبو بكر يعتذر إلى مما جرى ويخاطبني باللين ويقول فبعدكم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعده ونتصرف فقلت بعد عشرة أيام فقال: قد رضينا وأخذ بيد البرجمان والبرجمان يتبزق على في الكلام وأبو بكر يغمزه ويترفق به فلما بلغا إلى قريب من الدهليز رجع أبو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس يعرفك حق معرفتك وعنده أنه يقدر أن يستوفى عليك الحجة فبالله إلا عرفته ما كان في نفسك أن تعمل بنا لو استوفينا عليك المطالبة لئلا أقع أنا في مكروه معه ومع الامير أطال الله بقاه فقلت في نفسي أنا أريد الهرب الساعة فما معنى مساترتى عنهما ما أريد أن أفعله ولم لا أظهره ليكون أهيب في نفوسهما فقلت للغلام الذى كان واقفا امض إلى أصحابنا ومرهم أن يخرجوا ولا يعملوا ما كنت تقدمت به إليهم فمضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولا تحدثوا حادثة فخرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء أعددتهم لدفعكما عن نفسي ان رمتما قسرى قال فمات البرجمان في جلده واصفر وتحير وقال له أبو بكر أنت تظن أنك بالجبل ولست تعلم بين يدى من أنت ؟ ! علمت الآن أن الرأى كان في يدى لا في يدك والله لو زدت في المعنى لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك ورأسي قلت معاذ الله ولكن كانوا بمنعونكما من أذاى ثم قلت للغلمان كونوا معهما إلى أن يخرجا وتغلقوا الابواب خلفهما ففعلوا وقمت في الحال

فلبست خفا وإزارا على صورة النساء واستصحبت جماعة من عجائز دارى وخرجت من باب من تلك الابواب الخفية متحيرا لا أدرى أين أقصد فقصدت عدة مواضع كلما أتيت موضعا علمت أنه لا يحملنى فأتجاوزه إلى غيره إلى أن كدنى المشى وقربت من الرصافة فعن لى أن أقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها فصرفت جميع من كان معى إلا واحدة وقصدت دار الخالة ودخلت دهليزها فقام إلى الخادم وقال من أقول فقالت العجوز تقول امرأة لا تحب أن تمسى نفسها فدخل فإذا الخالة قد خرجت إلى الدهليز فقالت لها العجوز يا ستى تأمرين الخادم بالانصرام فلما انصرف كشفت وجهى وقلت يا ستى الله الله في دمى اشتريني فقالت يا أبا جعفر ما الخبر قلت أدخليني أحدثك قالت كن بمكانك

ثم دخلت بأبطأت حتى قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يصرفني وتعتذر وهممت بالانصراف من نفسي فإذا بها قد خرجت وقالت ارعبتك بالانتظار وما كان ذلك إلا احتياطا لك فادخل فدخلت فإذا دارها الاولى فارغة على عظمها وليس فيها أحد فسلكت بى وبالعجوز إلى موضع من الدار فدخلنا حجره وأقفلتها بيدى وشميت بين أيدينا حتى انتهينا إلى سرداب فأدخلتنا فيه ومشينا طويلا وهى بين أيدينا حتى صعدت منه إلى درجة افضت بى منها إلى دار في نهاية الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش كل شئ حسن وقالت إنما احتسبت عليك حتى أصلحت لك هذه الدار وأخليت الاولى لئلا يراك الذين كانوا فيها فيعرفون خبرك فاخبرك فاجلس هاهنا ما شئت فوالله إنك لتسرني بذلك واحفظ نفسك من أن ينتشر خبرك من جهتك فليس معك من جهتى من يعرف خبرك فيشفيه ولا أعرفه أحد من أسبابي واحتفظ لنفسك ممن يخرج من عندك أو يدخل عليك فتهلك نفسك وتهلكني معك فانك تعلم ان هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق مثلى فقلت لها ما معى غير هذه العجوز ولست أدعها تخرج فقالت هذا هو الصواب وأقمت عندها مدة وكانت تجيئني كل يوم فتعرفني أخبار الدينا وتحادثنى ساعة وتنصرف وتحمل إلى كل شئ فاخر من المأكول والمشروب والبخور وأخدم بما لا أخدم بمثله في أيام دولتي فلما كان في غد يوم حصولي عندها قالت يا أبا جعفر أنت وحدك وليس يصلح أن يخدمك كل واحد وقد حملت إليك هذه الجارية وأومأت إلى وصيفة في غاية الحسن والملاحة فاستحدمها فانها تقوم مقام فراشة وقد أهديتها لك فإن احتجت إلى ما تحتاج إليه الرجال صلحت لذلك أيضا فقبلتها وشكرتها وفاتشت الجارية فإذا هي تغنى أحسن غناء وأطيبه فكان عيشي معها أطيب عيش ومضى على استتارى نحو شهرين لا يخرج من عندي أحد ولا يدخل عندي غير الخالة فقلت لها قد تطلعت نفسي إلى معرفة الاخبار وإنفاذ هذه العجوز إلى من تتعرف ذلك منه قالت افعل واحتفظ جهدك فكتبت مع العجوز كتابا إلى وكيل كان لى أثق به آمره أن يتعرف لى الاخبار ويكتب بها إلى مع العجوز ورسمت له أن ينفذ طيورا

مع غلام أسميته له وكنت به واثقا ويأمر بالقيام بواسط والمكاتبة على الطيور في كل يوم بالاخبار ورسمت للعجوز أن لا تعرف الوكيل موضعي لئلا يفشوا شئ من الامر ويقع الوكيل فيطالب بى فيدل على فعاد إلى الجواب بما عنده من الاخبار وانه لا ينقضى يوم إلا وينفذ الغلام والطيور وأمهلته عشرة أيام ثم رددت العجوز فانفذ على يدها كتابا ورد على الطيور فقرأته ومضت على ذلك مدة وأنا على

الغاية من النشاط والسرور فقلت للعجوز يوما امض إلى فلان فاعرفي خبره وهل ورد كتاب من واسط فمضت وللاتفاق سقط طائر عند دخولها بكتاب ففضه وسلمه إليها دون أن يقف عليه فجاءتني به فإذا هو بتاريخ يومه وأكثره رطب يذكر فيه غلامي ورود الاخبار إلى واسط بقتل الاكراد لبحكم وان الناس قد هاجوا فما نالت رجلاى الارض فرحا وسرورا وكتبت في الحال رقعة إلى كاتبه الكوفى اشكره فيها على جميله واعرفه انى ما طويت خبرى عنه إلى الآن الا اشفاقا عليه من أن يسأل عنى فيكون متى حلف أنه لا يعرف خبرى صادقا وان من حق ما عاملني به أن أعرفه ما يجب أن يتحرز عنه وذكرت ما ورد من قتل سيده وأشير عليه بالاستتار مع الاستظهار وأنفذت الرقعة في طى رقعة كتبتها لوكيلي وأمرته أن يمضى بها إليه في الحال ولا يسلمها الا بيده وقلت للعجوز: إذا مضى الوكيل فارجعي أنت ولا تقعدى في داره ففعلت وعادت فعرفتنى أن الوكيل قد توجه إلى الكوفى، فلما كان بين العشائين رددت العجوز إلى الوكيل وقلت لها: اطرقي بابه فإن كان في بيته على حال سلامة فادخلي، وان بان لك أنه معتقل أو داره موكل بها فانصرفي ولا تدخلي فعادت إلى رقعة الوكيل وفيها أنه حين أوصل الرقعة إلى الكوفى بان له في وجهه الاضطراب وأنه ما صلى العصر من ذلك اليوم حتى امتلا في البلد بأن الكوفى قد استتر وأن بحكم حدث به حادثة لا ندرى ما هي، وقد عدت بعد العصر إلى دار الكوفى فوجدتها مغلقة ليس فيها أحد وأنه قد أنفذ جوابه اليك فقرأته فإذا هو يشكرني ويقول قد علمت أن مثلك يا سيدى لم يكن ليفتعل هذا الخبر ولا يضيع مروءته وقد تشاغل الذين مع الامير بالهرب على أن يكتبوا

لى بالحادثة، وكتب به من رتبته أنت كما ذكرت في رقعتك فإن كان الخبر صحيحا وهو عندي صحيح فالرأى معى في الاختفاء وإن كان باطلا فما يضرنى ذلك عند صاحبي إن كان حيا لانه يتصورني جبانا لا غير فيكون اسلم في العاجل. وقد أنفذت إليك يا سيدى طى رقعتي هذه الكتابين اللذين كتبتهما عليك في ضيعتك بالابتياع والاجارة ابتغاء إتمام مودتك ولتعلم صدقي فيما كنت توسطته، ونصحى فيما عاملتك به فإن كان مات الرجل قد رجعت إليك ضيعتك، وإن كان باطلا فإنه لا يسألنى عنهما وإن ذكرهما يوما وسألني اجحداني تسلمتهما وقضيت حقك بذلك وأعدت نعمتك عليك فأخذت الكتابين ومزقتهما في الحال ولبست من عند الخالة خفا وإزارا بعد أن عرفتها الصورة وخرجت مع العجوز وجئت إلى دارى فدخلتها من بعض أبوابها الخفية. فلما كان الغد قوى الخبر بقتل بحكم ففتحت بابى وفرج الله عنى المحنة فلما كان العشاء أتانى رسول الخالة ومعه الجارية وقال يا سيدى سيدتي تقرئك السلام وتقول لك لم تدع جاريتك عندنا وإذا بها قد أرسلتها وحملت معها كلما كانت أخذ متنيه من فرش وآلة وأضافت عليه أشياء كثيرة جليلة القدر وقالت إنه جهاز الجارية وأحب أن تقبله فأخذت الجميع ورددت الرسول شاكرا ومن الله على بالعود إلى أحسن حال. قال محمد بن عبدوس في " كتاب الوزراء " عن سليمان البرقى قال: انصرفت عن بعض العمال فألقيت عمر بن الفرج الرجحى يتفلد الديوان وكان في نفسه شئ على فاخفيت شخصي وتسترت عن أصحابي فطلبني واركن العيون على فلم يصل إلى وأمر أن يعمل لى مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة ألف درهم وكان بينى وبين الحجاج بن سلمة مودة فأتاني عشية من عشايا استتارى رفعته يامرني بالمصير إليه فقدمت عليه فلما رأني قال صر إلى عمر بن الرجحى فسلم عليه وعرفه أرا قد بعثت بك إليه قال فقلت: يا سيدى أنظر فيما تقوله فإنه يهدر دمى كيف أمضى إليه هكذا قال اعلم أنه قال لى اليوم أن فلسطين قد

انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها وقد أكلها العمال وانه في طلب من يكفيه أمرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى كفاءته. فقلت لو أردت الكفاءة وجدتهم. هذا سليمان بن سهل وهو من الاكفاء ولا يشك فيه فلم عطلته وأخفته فقال: وكيف لى به ؟ فقلت: تؤمنه وتزيل ما عليه من المطالبة وتقلده فلسطين فإنه يكفيك امرها ويوفر عليك مالها ويحمله إليك وأنا أبعث به إليك فقال: ابعث به فهو آمن، فصر إليه فإنه لا يتعرض لك إلا بما تحب. قال فبكرت إليه فإذا هو في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على أكتافهم الحجارة والمقارع تأخذهم فهالني ما رأيت فلما وصلت إليه سلمت عليه وقلت: انى كنت خادم أبى الفضل أعنى أباه فرجا الرجحى واحد صنائعه فقال لو لا ما أتيت به من هذه الحرمة لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم، ثم رفع مصلاه وأخرج الكتب بولاية فلسطين وأمرني بكتمان أمرى واعداد السير فأخذت الكتب وأشخصت إلى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسي. عن الحكم بن عتبة أن حارثة بن بدر الغدانى كان يسعى في الارض. فسادا فهدر أمير المؤمنين على رضى الله عنه دمه فهرب واستجار بأشراف الناس فلم يجره أحد. فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك فطلب سعيدا فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فأخذ بلجام دابته وقال: أجرني أجارك الله. فقال له ما لك قال: هدر أمير المؤمنين دمى قال وفيم قال: سعيت في الارض فسادا قال: ومن أنت ؟ قال: أنا حارثة بن بدر الغدانى قال: أقم وانصرف إلى على رضى الله عنه فوجده قائما على المنبر يخطب فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ؟ قال: ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض قال: يا أمير المؤمنين، الا من تاب ؟ قال: الا من تاب، قال: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائبا وقد أجرته. قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرناه. ثم قال رضى الله عنه وهو على المنبر: أيها الناس

إنى كنت أهدرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يتعرض له، فانصرف إليه سعيد فأعلمه وكساه وحمله وأجازه فقال فيه شعرا: الله يجزى سعيد الخير نافلة * أعنى سعيد بن قيس قوم همداني أنقذني من شفا غبراء مظلمة * لو لا شفاعته ألبست أكفاني قالت تميم بن مر لا نخاطبه * وقد أبت ذلكم قيس بن غيلانى أساغ في الحلق ريقا كنت أحرضه * وأظهر الله سترى بعد كتماني انى تداركني عمن شمائله * أباؤه حين ينمى خير قحطاني عن عطاء بن العاصم بن الحدثان قال: كان أبو النمير الثقفى شبب بزينب بنت يوسف بن الحكم وكان الحجاج أخوها يتهدده ويقول لو لا أن يقول قائل لقطعت لسانه فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعرا: أتتنى في الحجاج والبحر بيننا * عقارب تسرى والعيون هواجع فضقت بها ذرعا وأجهشت خيفة * ولم آمن الحجاج والامر ناصع وحل بى الخطب الذى جاءني به * سميع فليست تستقر الاضالع فبت دبير الامير والرأى ليلتى وقد أخلقت خدى الدموع الهواطع وما أمنت نفسي الدى خفت شره * ولا طاب لى مما خشيت المضاجع ففى الارض ذات العرض عنك ابن يوسف إذا شئت منأى لا أبالك واسع فإن نلتني حجاج فاشتف جاهدا * فإن الذى لا يحفظ الله ضائع فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على النميري الهروب واشتاق إلى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجاج. فقال إيه يا نميري أنت القائل (فإن نلتني حجاج فاشتف جاهدا) فقال بل أنا الذى أقول. أخاف من الحجاج ما لست خائفا * من الاسد العرم باض لم ينهه

ذعر أخاف يديه أن تنال مفاصلي * بأبيض غضب ليس من دونه ستر
وأنا الذى أقول:

فهنا أنا ذا طوفت شرقا ومغربا * وأنت وقد دوخت كل مكاني فلو كانت العنقاء منك تطيرنى * لخلتك إلا أن يصد تراني عن مروان أبى حفصة قال: كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلبا شديدا وجعل لمن يأت به مالا فحدثني معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن نام في الشمس حتى لوحت وجهه وخفف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال الثقالة وخرج عليه ليمضى إلى البادية: وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمرو بن هبيرة بلاء حسنا فخاف فاغتاظ المنصور ووجد في طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني عبد أسود متقلدا سيفا حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على فقلت: ما لك ؟ قال: طلبة أمير المؤمنين قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ قال: أنت معن بن زائدة فقلت: يا هذا اتق الله وأين أنا من معن ؟ قال: دع هذا عنك فأنا والله أعرف بك منك فقلت: فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معى بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بى فخذه ولا تسفك دمى فقال: هاته فأخرجته إليه فنظر إليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شئ فإن صدقتني أطلقتك. فقلت قل: فقال إن الناس يصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله، قلت: لا. قال: فنصفه قلت: لا. قال: فثلثه حتى بلغ إلى عشره فاستحيت وقلت أظن أنى فعلت هذا فقال: ما أراك فعلته وأنا والله راجل ورزقي من أبى جعفر عشرون درهما، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك، ولتحتقر بعد هذا كل شئ فعلته، ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجري وخلى خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته إليك فإنى عنه غنى. فضحك وقال أردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمنا أبدا ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الارض ابتلعته قال وكان سبب

رضاء المنصور عن معن انه لم يزل مستترا حتى يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسنا وذب القوم عنه ثم، جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها بيد الربيع فقال له تنح فإنى أحق بلجامها في هذا الوقت، فقال المنصور: صدق فادفعه إليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله أبوك ؟ قال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قال: قد أمنك الله على نفسك، ومالك ومثلك يصطنع. ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوما فقال إنى أهلتك لامر كيف تكون فيه ؟ قال: كما يحب أمير المؤمنين. فولاه البصرة وتوجه إليها فبسط فيهم العطاء حتى أسرف قال: مروان وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل قد بلغني عنك شئ لو لا مكانك عندي ورأيى فيك لغضبت عليك قال وما رابك يا أمير المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال: أعطاك لمروان بن بن أبى حفصة في قوله فيك: معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان ان عد أيام الفعال فإنما * يوماه يوم ندى ويوم طعان قال والله يا أمير المؤمنين: ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر ولكن أعطيته ما أعطيته لقوله. ما زلت يوم

الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان قال فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيته لمثل هذا القول: قال نعم يا أمير المؤمنين ولو لا مخافة الشنعة لامكنته من مفاتيح بيوت الاموال وابحته إياها. فقال المنصور لله درك من إعرابى ما أهون عليك ما يعز على الناس وأهل الحزم. عن قطن بن معاوية الكلابي قال كنت ممن سارع إلى إبراهيم بن عبد الله واجتهد معه فلما قتل طلبني أبو جعفر فاستخفيت منه فطلب أموالي وذريتي

ولحقت بالبادية وجاورت في بنى نضر بن معاوية ثم في بنى كلاب ثم بنى فزارة ثم في نبى سليم ثم تنقلت في بوادي قيس أجاور فيهم حتى ضقت ذرعا بالاستخفا فازمعت القدوم على أبى جعفر والاعتراف، له وقدمت البصرة ونزلت بها ثم أرسلت إلى عمرو بن أبى العلاء وكان لى ودا فشاورته في الامر الذى أزمعته فلم يقبل رأيى وقال والله ليقتلنك فلم ألتفت إليه وشخصت إلى بغداد فنزلت خانا وليس بالمدينة أحد يركب خلا المهدى، ثم قلت للغلمان أنا ذاهب إلى أمير المؤمنين فامهلوا ثلاثا فإن جئتكم فيها وإلا فانصرفوا ودخلت المدينة وجئت إلى دار الربيع والناس ينتظرونه فلم ألبث أن خرج وهو يمشى وقام الناس إليه وقمت معهم فسلمت عليه فرد على السلام وقال: من أنت ؟ قلت قطن بن معاوية قال: انظر ما تقول قلت: أنا هو. قال: فاقبل على من معه وقال: احتفظوا بهذا فلما حرست لحقني الندم وذكرت رأى أبى عمرو فتأسفت ودخل الربيع فلم يطل حتى خرج خصى فأخذ بيدى وأدخلني قصر الذهب ثم أتى بيتا حصينا فادخلنيه وأغلق على وانطلق فاشتدت ندامتي وأيقنت بالبلاء وخلوت بنفسى ألومها فلما كان الظهر أتانى الخصى بماء فتوضأت وصليت وأتانى بطعام فأخبرته أنى صائم، فلما كان المغرب أتانى بماء فتوضأت وصليت وأرخى على الليل سدوله فأنسيت الحياة وسمعت أبواب المدينة تغلق فامتنع عنى النوم فلما ذهب صدر من الليل أتانى الخصى ففتح عنى ومضى بى فأدخلني صحن دار ثم أتانى من وراء ستور مسدولة وأخذني وأدخلني محلا فإذا أبو جعفر وحده والربيع قائم على حاله ناحية فأكب أبو جعفر هنيهة مطرقا ثم رفع رأسه فقال: هيه فقلت: يا أمير المؤمنين أنا قطن بن معاوية فقال: والله جهدت عليك جهدي حتى من الله على بك. فقلت يا أمير المؤمنين لقد عصيت أمرك ووالية عدوك وخرجت على أن أسلبك ملكك، فإن عفوت فأنت أهل لذلك وإن عاقبت فبأصغر ذنوبي تقتلني قال: فسكت هنيهة ثم قال: هيه فأ ؟ دت مقالتي فسكت ثم قال: إن أمير المؤمنين قد عفا عنك فقلت: يا أمير المؤمنين إنى أمر من ورائك فلا أصل بعدها إليك، وضياعي ودورى مقبوضة فإن رأى أمير المؤمنين أن يردها على قال:

فدعى بخادم معه الدواة ثم أمره وهو يكتب بإملائه إلى عبد الملك بن ثور النميري وهو يومئذ على البصرة أن أمير المؤمنين قد رضى عن قطن بن معاوية فاردد عليه ضياعه ودوره وجميع ما قبض له فاعلم ذلك وأنفذه إن شاء الله تعالى. ثم ختم الكتاب ودفعه إلى فخرجت من ساعتي لا أدرى أين أذهب فإذا الحرس بالباب فجلست مع أحدهم أحدثه فلم ألبث أن خرج الربيع وقال: أين الرجل الذى خرج الساعة ؟ فقمت إليه فقال: انطلق أيها الرجل فقد والله سلمت. ثم صحبني إلى منزله فعشاني وفرش لى فلما أصبحنا ودعته وأتيت غلماني وأرسلتهم يكترون لى سميرة فوجدوا صديقا لى من

الدقاقين من أهل نيسان وقد أكترى سميرة لنفسه فحملني معه فقدمت على عبد الاعلى بن أيوب بكتاب أبى جعفر فأقعدني عنده حتى رد ما اصطفى لى. حدثنى عبد الله بن أحمد بن معروف بن أبى القاسم قال: كنت بمصر وكان بها رجل يعرف بالناظرى من أبناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته وصادره فهرب منه إلى كافور الاخشيدى فأجرى عليه جراية سابغة في كل شهر كما كان يجرى على جميع من يقصده من الجرايا التى تسمى الراتب وكان له مالا عظيما قدره في السنة خمسون ألف دينار لارباب النعم وأجناس الناس وليس فيها لاحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الاعمال شئ. قال: فجرى يوما ذكر الناظرى بحضرة كافور فقيل له إنه فاسق بغاء وكثرت عليه الحكايات في ذلك فأمر بقطع جرايته فرفع إليه قصته يشكوا فيها انقطاع راتبه ويسأل التوقيع بإعادة صرفه، فأمر كافور فوقع على ظهرها قد صح عندنا أنك رجل تصرف ما نجريه عليك فيما يكرهه الله من الفساد وما نرى أن نعينك على ذلك فالحق بمن شئت فلا خير لك عندنا بعدها قال: فلما قرأها الناظرى عمل محضرا فيه خطوط كثير ممن يعرف أنه مستور ولم يعهد فيه البغاء واحتج بالمحضر وجعله طى رقعة قال فيها إن الذى كان يدفع إليه لم يكن لاجل حفظه فرجه وهتكته وإنما كان لانه منقطع غريب هارب مفارق لنعمته وأن الله عزوجل أقدر على قطع أرزاق من يرتكب المعاصي

وما فعل ذلك بأرزاقهم بل أمهلهم وأمرهم بالتوبة. فإن كان ما نسب إليه صحيحا فهو تائب إلى الله عزوجل ويسأل رده إلى رسمه ورفع القصة إلى كافور قال صاحب الحديث: ولم أدر إلى أي شئ انتهى أمره إلا أنه صار مفضوحا بين الناس وتحدثوا بحديثه واتفق خروجي من مصر عقيب ذلك إلى حضرة سيف الدولة فلقيته بحلب وحدثته بأحاديث المصريين وكان يتشوق إلى سماعها صغرت أو كبرت ثم سقت له حديث الناظرى فضحك منه ضحكا شديدا وقال: هل هذا المشؤم بلغ إلى مصر ؟ فقال لى محمد بن أسمر النديم: اعلم أن هذا الرجل كان صديقى جدا وقد هلك وافتقر وفارق نعمته فأحب أن تخاطب الامير في أمره عقيب ما جرى آنفا لاعاونك فلعل الله عزوجل أن يفرج عنه. فقلت افعل ولما أخذ سيف الدولة يسألنى عن الامر فأعدت شرحه عليه وعاد فضحك فقلت: أطال الله بقاء مولانا الامير سررت بهذا الحديث ويجب أن يكون له ثمرة إما لى وإما للرجل الذى قد صيرته فضيحة بحلب زيادة على فضيحته بمصر. قال اما لك فنعم واما له فلا يستحق فإنه فعل وصنع وأخذ يطلق القول فيه فقلت اما لى فلست أريده لان فوائدي من مولانا متصلة ولست أحتاج مع أنعامه على وترادف إحسانه إلى السبب إلى الفوائد ولكن أرى أن تجعلها لهذا المفتضح المشؤم. فقال تنفذ إليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم فشكرته الجماعة وخاطبته في أن يأذن له في العود إلى حضرته ويؤمنه ويكتب له امانا مؤكدا قال فغمزني الاسمر في الاستزادة فقلت أطال الله بقاء مولانا الامير أن الثلاثة آلاف درهم لو أنفذت إلى مصر ما كفته فيمن يحمله معه على نفقته لان أكثر أهل مصر بغاؤون وضايقوه في الناكة وغلبوه باليسار لانه لا يصل هو إلى شئ إلا بالغرم الثقيل وبلغني وأنا بمصر: أن رجلا من البغائين اشتد به حاله فطلب من يأتيه فلم يقدر فخرج إلى الموضع الفلاني قرية قريبة من مصر فأقام بها فكان إذا اجتاز بها المجتازون استدعى منهم من يصلح لهذا الحال فحمله على نفسه وكان يعيش، بالمجتاز ويتمكن من إرضاه بما لا يتمكن منه بمصر فعاش بذلك برهة حتى جاءه يوما بغاء آخر وسكن معه فكان إذا جاء الغلام الذى يصلح لهذا الحال سأل عنه ففسد على الاول أمره

فجاء الثاني وقال له يا هذا: أفسدت على أمرى وأبطلت عملي وأنا هربت من مصر لاجل المنافسة فليس لك أن تقيم معى ههنا فقال له الثاني: سواء العاكف فيه والباد ولا أبرح. ههنا فقال الاول بينى وبينك شيخنا ابن العجمي الكاتب رئيس البغائين بمصر وجذبه معه إلى مصر واحتكما إليه فحكم بن العجمي للاول ومنع الثاني من المقام في الناحية فكيف يمكن للناظرى أيد الله مولانا أن يكتفى بثلاثة آلاف درهم وقد أمرت له بها في بلد هذا قدر الناكة فيه وكثرة البغائين لو كان مقيما فكيف وقد أنعمت عليه بالاذن في المسير ويحتاج إلى بغال يركبها في الطريق بأجرة ونفقة وديون عليه يقضيها. فضحك ضحكا شديدا من حكاية البغائين وحكم ابن العجمي بينهما وقال اجعلوها خمسة آلاف درهم فقلت له: أنا والاسمر فترد إلى الرجل أطال الله بقاء مولانا ضيعته. فقال: لقد أطلتم على في أمر هذا الصانع الفاعل فأطلقوا له عن ضيعته بأسرها ووقعوا بذلك إلى الديوان وعن مستغله وأخلوا له عن داره وان تفرش له أحسن من الفرش الذى ذهب له لما سخذ عليه قال فاكبت الجماعة تقبل يديه ورجليه وقلت: أطال الله بقاء مولانا الامير ما سمع بهذا الكرم قط مع سوء رأيك في الرجل وسوء حديثه، فما على الارض بغاء أبرك على صاحبه من هذا قال: فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وأنا بحلب عاد الرجل إلى بلده ونعمته. عن أبى عمرو بن العلاء قال خرجت هاربا من الحجاج إلى مكة فبينما أنا أطوف بالبيت إذا أعرابي ينشد. ربما تجزع النفوس من الام * ر لها فرجة كحل العقال فقلت: مه. قال: مات الحجاج. قال: فلا أدرى بأى القولين كنت أفرح بقوله فرجة بفتح الفاء أو بموت الحجاج ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب وفيه أن أبا عمرو وسمع الاعرابي ينشد. يا قليل العزاء في الاهوال * وكثير الهموم والاوجال صبر النفس عند كل مهم * إن في الصبر حيلة المحتال

ربما تجزع النفوس من الام * ر لها فرجة كحل العقال قيل والفرجة من الفرج والفرجة فرجة الحائط. وعن أبى عمرو قال: كنت مستخفيا من الحجاج وذلك أن عمى كان عاملا له فهرب فهم بأخذى به. فبينما أنا على حالى إذ سمعت منشد ينشد: * ربما تكره النفوس من الامر * البيت، وذكر الحديث، وزاد فيه أن أبا عمرو يقرأ الا من اغترف غرفة بيده وفرجة بالفتح شاهد له في هذه القراءة، وذكر أبو الحسين المدايني في كتابه أن القمير الثغلبى قال في الوليد بن عبد الملك: أتتنى يا وليد بلاء قومي * بمسكن والزبيريون صيد أتنسانا إذا استغنيت عنا * وتذكرنا إذا صل الحديد فطلبه الوليد فهرب منه حينا. فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف انصرف إلى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما أكلت الجماعات بعض الاكل عرف رجل الثعلبي فأخبر الوليد به فدعا به وقال له: يا عدو الله الذى أمكننى منك بلا عقد ولا ذمة أنشدني ما قلت فبكى ثم أنشده فقال: ما ظنك بى ؟ قال: قلت ان أمهلت حتى اطأ بساطه وآكل طعامه فقد أمنت: وإن عوجلت قبل ذلك فقد هلكت، وقد أمهلت حتى وطأت بساطك يا أمير المؤمنين، وأكلت طعامك فقد أمنت إذا، فقال له الوليد: قد أمنت فانصرف راشدا، فلما ولى تمثل الوليد بقول من قال: شمس العداوة حتى يستفاد لهم * واعظم الناس أحلاما إذا قدروا عن الفضل بن العباس من ولد نافع مولى العباس بن عبد المطلب عن أبيه قال: ما أتيت زينب بنت سليمان بن على الهاشمي فانصرفت من عندها إلا ببر. وإن قل، وكان لها وصيفة يقال لها كتات فعلقتها وقلت لابي: يا أبى أنا والله مشغول القلب بكتات جارية زينب فقال يا بنى اطلبها من عندها فانها

لا تمنعها عنك. فقلت: كنت أحب أن تكون حاضرا لتعيننى عليها. فقال: ليس لك إلى ولا إلى غيرى احتياج. فغدوت إليها. فلما انقضى السلام قلت لها: جعلني الله فداك إنى فكرت في حاجة سألت أبى أن يحضر كلامي إياك فيها لاستعين به فأسكتنى. فقالت: يا بنى ان حاجة لا تقضى حتى يحضر أبوك لحاجة عظيمة القدر فما هي ؟ قلت: كتات وصيفتك أحب أن تهبها لى. فقالت: أنت صبى أحمق اقعد أحدثك حديثا أحسن من كل كتات على ظهر الارض وأنت من كتات على وعد فقلت: هاتى جعلني الله فداك قالت: كنت أول أمس عند الخيزران ومجلسي ومجلسها إذا اجتمعنا في الصدر المكان وفوقنا سبتية لامير المؤمنين المهدى، وهو كثير الدخول إليها فإذا جلس في ذلك الموضع رفع عنه وإذا انصرف طرحت عليه السبتية إلى وقت حضوره فأنا لجلوس إذ دخلت علينا حاجبة وقالت يا ستى بالباب أمرأة ما رأيت أحسن منا ولا أسوأ حالا عليها قميص ما تستر ببعضه موضعا من بدنها إلا انكشف موضع آخر تستأذن عليك فالتفتت إلى وقالت: ما ترين ؟ فقلت: تسألين عن حالها واسمها ثم تأذنين لها على علم فقالت: الجارية قد والله جهدت بها كل الجهدان تفعل فما فعلت وأرادت الانصراف فمنعتها فقلت للخيزران وما عليك أن تأذني لها فإنك منها بين مكرمة أو ثواب فأذنت لها فدخلت امرأة أكثر مما وصفت الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت تمشى وهى مستحدثة حتى صارت إلى عمارة الباب فجعلت ما يلينى وكنت متكئة فقالت: السلام عليكم. فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران أنا مزنة امرأة مروان بن محمد. فلما وقع كلامها في سمعي قلت لا حياك الله ولا قربك الحمد لله الذى أزال نعمتك وعزك وصيرك نكالا وعبرة أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك أهل بيتى يسألنك أن تكلمي صاحبك في انزال ابراهيم بن محمد من خشبته فتلقيتيهن ذلك اللقاء وأخرجتيهن ذلك الاخراج الحمد لله الذى أزال نعمتك قالت زينب فضحكت المرأة والله يا بنى حتى كادت تقهقة وبدأ لها ثغر ما رأيت أحسن منه ثم قالت: أي شئ بنت عم ؟ أي شئ أعجبك من صنع الله عزوجل بى على العقوق حتى أردت أن تتأسى بى السلام عليكم ثم ولت خارجة وهى

تمشى بخلاف الاول فقلت للخيزران أنها مخبئة من الله عزوجل وهدية منه الينا ووالله يا خيزران لا يكون اخراجها مما هي فيه إلا بى ثم نهضت على أثرها حتى وافيتها عند الستر ولحقتني الخيزران فتعلقت بها وقلت: يا أخية المعذرة إلى الله عزوجل واليك فإنى ذكرت بوجودك ما نالنا من المصيبة بصاحبنا فكان منى ما وددت انى منعت منه وقطعت عنه، ولم أملك نفسي وأردت معانقتها فوضعت يدها في صدري وقالت: لا تفعلي يا أخية فإنى على حال أصونك من الدنو منها فرددتها وقلت للجواري ادخلن معها الحمام، وقلت للمواشط اذهبن معها حتى تصلحن حفافها وما تحتاج إلى اصلاحه من وجهها فمضت ومضين معها ودعونا بكرسيين فجلست أنا والخيزران عليهما ننتظر خروجها في صحن الدار فخرجت احدى المواشط وهى تضحك فقلت لها: ما يضحكك ؟ قالت يا ستى انا لنرى من هذه الغريبة عجبا. فقلت: وما هو ؟ قالت: نحن معها في انتهار وزجر وخصومة ما تفعلين أنت ولا ستنا مثله إذا خدمنا كما قالت فقلت للخيزران: حتى تعلمي والله يا أختى أنها حرة رئيسة والحر لا يحتشم من الاحرار ثم خرجت الينا جارية ثانية فأعلمتنا أنها قد خرجت من الحمام فوجهت إليها الخيزران بصنوف الخلع فتخيرت منها ما لبسته وبعثنا إليها بطيب كثير فتطيبت ثم خرجت الينا فقمنا جميعا فعانقناها فقالت اما الآن

فنعم ثم جئنا إلى الموضع الذى كنا جلوسا فيه وأمرنا بكشف السبتية عن الموضع الذى كان يجلس فيه أمير المؤمنين وأقعدناها فيه ثم قالت: الخيزران غداؤنا قد تأخر فهل لك في الطعام فقالت والله ما فيكن أحوج إليه منى. فدعونا بالطعام فجعلت تأكل وتضع بين أيدينا كأنها في منزلها فلما فرغنا. قالت لها الخيزران: من لك ممن تعتنين به ؟ قالت ما لى وراء هذا الحائط أحد من خلق الله تعالى. فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على أن نخلى لك مقصورة ونحول إليها جميع ما تحتاجينه، ويستمتع بعضنا ببعض فقالت: وردت وأنا على أقل حال وإذ قد تفضل الله عزوجل على بكما وبهذه النعمة فلا أقل من الشكر للمبتدئ بكل نعمة ولكما فافعلي ما أحببت وبدا لك فقامت الخيزران وقمت معها وأقمناها معنا وجعلنا نطوف في المقاصير فاختارت والله

أوسعها وأحسنها فملاتها الخيزران بالجوارى والوصائف والخدم والفرش والكسوة والآلات ثم قالت لها: ننصرف عنك ولميك بمنزلك حتى تصلحينه فخفلناها في المقصورة وانصرفنا إلى موضنا فقالت لى الخيزران: إن هذه امرأة تعيسة قد عضها الفقر. وليس يملا عينها إلا المال ثم بعثت إليها بخمسة آلاف دينار ومائتي ألف درهم وأرسلت إليها يكون هذا في خزانتك تحت تصرفك، ووظيفتك ووظيفة حشمك قيام في كل يوم مع وظيتنا ثم لم نلبث ان دخل علينا المهدى فقلت: والله يا سيدى عندي خبر ظريف فقال ما هو ؟ فحدثته به فلما قلت له ما كان منى من الوثوب عليها واسماعها اقشعر واصفر ثم قال: يا زينب هذا مقدار شكرك لربك عزوجل وقد أمكنك من عدوك وأظفرك به على هذه الحالة التى تصفينها والله لو لا مكانك منى لحلفت أن لا أكلمك أبدأ أين المرأه قالت فوفيته خبرها فقال لخادم بين يديه ادفع إليها عشرة آلاف دينار ومائتي ألف درهم وأبلغها سلامى وقل لها لو لا خوفى أن احتشمها لصرت إليها مسلما ومخبرا إياها بسروري بها وقل لها إنى أخوك وجميع ما نفذ فيه أمرى فأمرك أنفذ فيه ثم قالت زينب فإذا بها قد وردت علينا مع الخادم وعلى رأسها دواج ملحم حتى قعدت ولقيها المهدى أحسن لقاء وأقامت عنده ساعة محدثة ثم انصرفت إلى مقصورتها فهذا الحديث يا بنى خير من كتاب قال: فأمسكت. فقالت لى: قد اغتممت فقلت: ما اغتم أبقاك. الله قالت توافيك كتات فلما كان الليل وجهت بها إلى ومعها ما يساوى ثمنها من كل صنف من الرقيق والكسا والآلة، وفي رواية أخرى أن الذى حملته الخيزران خمسمائة ألف درهم وأن المهدى حمل إليها ألف ألف درهم. عن أبى عبد الله الحسين بن محمد النافطائى قال: كنا نتعلم ونحن أحداث في ديوان إسحق بن إبراهيم الطاهري، وكنت ملازما لمجلس فتى من الكتاب له خلق جميل يعرف بأبى غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرا بمال أخذوه ووقف إسحق على الخبر فطلبهم فظفر ببعضه فقطع أيديهم وهرب الباقون

وكان فيمن هرب الفتى الذى كنت ألزم مجلسه فغاب سنين كثيرة حتى مات إسحق فبينما أنا ذات يوم في بعض شوارع بغداد إذا أنابه فقلت أبو غالب ؟ قال نعم فإذا تحته دابة فاره وسرج محلى وعليه ثياب حسنة فقلت: عرفني حالك ؟ قال: إلى المنزل. فسرت معه فاحتبسني ذلك اليوم عنده فرأيت فيه مروءة فسألته عن حاله فقال: لما طلبنا اسحق استترت فلما بلغني ما عامل به من كان معى في الخيانة ضاقت على بغداد فخرجت على وجهى خوفا من العقوبة

حتى وافيت ديار مصر مستخفيا وطلبت التصرف فتعذر على وتفرق من كان معى ولم يصبر إلا غلام واحد فرقت حالى جدا حتى بعت ما في البيت عن آخره على قلة فأصبحت يوما فقال لى غلامي: أي شئ تعمل اليوم ؟ فما معنا حبة. فقلت: خذ مبطنتى فبعها واشتر لنا ما نحتاج إليه فخرج الغلام وبقيت في الدار وحدي أفكر فيما وقعت فيه من الغربة والشدة والوحدة والعطلة، وتعذر المعيشة والتصرف، ومن اقترض منه فكاد عقلي أن يزول فبينما أنا كذلك وقد استلقيت على قفاى إذا بجرذ قد خرج من كوة البيت وفي فيه دينار فوضعه ثم عاد فأخرج دينارا آخر وما زال كذلك حتى أخرج ثمانين دينارا فصفها وجعل يتمرغ ويلعب وأنا أنظر إليه وأظهر التناوم وقد قويت نفسي ولست أتحرك لئلا يستوحش الجرذ ولا يحضر غيرها فما زال يلعب حتى أخذ واحدا ودخل الكوة فقمت وأخذت الدنانير وشددتها، وجاء الغلام ومعه ما قد ابتاعه فتغذينا وقلت له: اشتر لنا فاسا. فقال: ماذا نصنع به فحدثته الحديث وأريته الدنانير وقلت: عزمت على أن أقلع الكوة فلعل فيها شئ آخر فمضى وجاء به فحفرنا الكوة فأفضى بنا الحفر إلى بركة فيها سبعة آلاف دينار فأخذناها وأصلحنا الموضع على ما كان وخرجت فأخذت بالمال سفاتج بعد أن تركت بعضه وأنفذت الغلام بالسفانج إلى بغداد وانتظرته حتى ورد كتابه بصحة تلك السفاتج وتحصيله المال في بيتي وان اسحاق قد مات فانحدرت إلى بغداد وابتعت بالمال ضيعة فأثمرت ونمت فلزمتها وتركت التصرف.

الباب الثالث عشر من نالته شدة في هواه * فكشفها الله تعالى وملكه من يهواه عن عاصم بن عدى قال كان لعمرو بن دويرة السمحى أخ قد كلف بابنة عم له كلفا شديدا، وكان أبوه يكره ذلك ويأباه فشكاه إلى خالد بن عبد الله القشيرى وهو أمير العراق أنه يسئ جواره فحبسه أياما ثم تركه فلما زاد ما في نفس الفتى وحمل عليه الحب تسور الجدار إلى ابنة عمه فلما حصل معها أحس به أبوها فقبض عليه وأتى خالدا وادعى عليه بالسرقة وأتاه بجماعة يشهدون أنهم وجدوه في منزله ليلا وقد دخل دخول اللص فسأل خالد الفتى فاعترف أنه دخل ليسرق وما سرق شيئا ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه فأراد خالد أن يقاصيه فدفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها هذا الشعر: أخالد قد أوطيت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق أقر بما لم يجنه المرء أنه * رأى الموت خيرا من فضيحة عاشق ولو لا الذى قد خفت من قطع كفه * لالفيت في أمر لهم غير ناطق إذا مدت الغايات في السبق للعلى * فأنت ابن عبد الله أول سابق فأرسل خالد مولى له من الخبر ليتجسس على جلية الامر فأتاه بتصحيح ما قاله عمرو في شعره فأحضر بالجارية وأخذ بتزويجها من الفتى فامتنع أبوها وقال ليس هو بكفؤلها قال بلى إنه لكفؤ لها إذا كف يده عنها ولئن لم تزوجه لازوجته وأنت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر إلى العم من ماله وكان يسمى العاشق إلى أن مات. عن أبى العلا صاعد بن ثابت النصراني الذى كان خليفة الوزراء عن أبى الحسين بن ميمون الافطس الذى كان وزيرا للمتقى قال لما دخل أبو عبد الله اليزيدى بغداد متقلدا للوزارة المرة الثانية للمتقى قبض عليه وأحضره للبصرة فلما وردها اليزيدى منزما أحسن إليه وأطلقه وأمرني بإنزاله بالقرب منى

وائتناسه بملازمتي وافتقاده بالدعوات ففعلت فكنا متلازمين لا نفترق ووجدته أحلى الناس حديثا وأحسنهم أدبا وأتمهم عقلا ولم أر

قط أشد تغزلا ولا تهالكا في العشق منه فحدثني يوما قال عشقت مغنية في القيان عشقا مبرحا شديد فراسلت مولاتها في بيعها منى فطلبت فيها ثلاثة آلاف دينار وكنت أعرف من نفسي الملل فخشيت أن أشتريتها ان املها فدافعت بذلك ومضت أيام فانصرفت من عندي يوما وقد كان المقتدر بالله أمر أن يشترى له مغنيات وأنا لا أعلم فكانت الجارية حسنة الوجه والغنا فحملت إلى المقتدر في جملة جوار فأمر بشرائهن كلهن فاشتريت في جملتهن وأنفذت من غد أستدعيها من مولاتها فأخبرت بالخبر فقامت على القيامة ودخل على قلبى من الاحزان أمر ما دخل مثله على قط من نكبة فضلا عن عشق وزاد الامر على حتى انتهى بى إلى حد الوسواس وامتنعت عن النظر في أمر دارى وتشاغلت بالبكاء ولم يكن لى سبيل إلى الغراء وكنت أكتب حينئذ لام المتقى وله وكان حدثا فتأخرت عنهما أياما وأخللت بأمرهما وأنا متوفر تلك الايام على الطوالى في الصحارى ولا آكل ولا أشرب ولا أتشاغل بأكثر من الهيمان وأنكر المتقى وأمه أمرى لتأخري فاستدعاني وخاطبني في شئ من أمرى فوجدني لا أعى ما يقوله فسألني عن سبب اختلاطي فصدقته وبكيت بين يديه وسألته أن يسأل إباه بيع الجارية على أو هبتها. فقال: ما أجسر على هذا قال فزاد على الامر وبطلت وبلغ أم المتقى الخبر وراسلتها بما سألت به ابنها فرقت لى وحملت نفسها ان خاطبت أم المقتدر في أمرى فقالت لها السيدة ما العجب من الرجل فإن الذى في قلبه من العشق أعماه عن وجه الرأى إنما العجب منك كيف وقع لك أنه يجوز أن تقول للخليفة أنزل عن جاريتك لرجل يعشقها فراسلتني أم المتقى بما جرى فزاد ما بى من القلق وكنت لا ألقى أحدا من رؤساء البلد كالوزير ونصر القسورى وحاشية الخليفة إلا وأقصدهم وأبكى بين أيديهم وأحدثهم حديثى واسألهم مسألة الخليفة تسليم الجارية إلى ببيع أو هبة فمنهم من ينكر على ومنهم من يوبخني ومنهم من يرثى لى فيعذرني ومنهم من يقول: إن عم الخليفة هذا منك وانك تتعرض لخدمه فإن فيه تلف

نفسك ومنهم من يطير بى وأنا ملازم لهم ولابوابهم وقد تركت خدمة صاحبي وبطل أمر دارى وضيعتي فطال هذا على المتقى وأمه وأضاقا من أجل إخلالى بالنظر في أمورهما فطلبا كاتبا يصرفانني به، وبلغ الخبر إلى وقد كنت آيست من الجارية فعزلت نفسي وقلت ليس بعد الصرف إلا الفقر والنكبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت الآن قد ملكتها فلم أفقر نفسي وأقطع تصرفى وأقبلت أعظ نفسي وأسليها ليلتها كلها إلى أن طاوعتني على الصبر فبكرت إلى دار المتقى وبدأت النظر في أموره ورأوا منى خلاف ما تقدم فسروا بذلك وقالوا: أنت أحب الناس إلينا من غيرك ومن الغريب الذى نستأنفه فضمنت لهما الملازمة وتمشية الامور وأقمت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت إلى الشرب وكنت قد هجرته منذ فقدت الجارية إلى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصلح لنا مجلسنا للشرب وعد أصحابنا أعنى أصدقاء لى كانوا يعاشروننى للرواح إلى ولا تدع غناء فلما قضيت شغلى عدت إلى دارى واجتمع أصدقائى وصوبوا رايى وجلسنا نشرب ونتحدث ونلعب بالشطرنج فقالوا: لو دعوت غناء فقلت أخاف أن أتذكر به أمرى فجلسوا عندي إلى أن صليت العشاء الآخرة وانصرفوا. وجلست وحدي أشرب القدح بعد القدح فلما مضت قطعة من الليل إذا بابى يدق دقا عنيفا فقال بوابى من هذا ؟ فقال خادم من دار أمير المؤمنين فقامت قيامتي ولم اشك أن خبرى قد اتصل به فأنكره وقال مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتبا لامرأة ولا مدبرا لغلام حدث وأنه قد أنفذ للقبض على ويريد نكبتي فقمت أمشى في صحن الدار لاخرج من باب آخر كان لى فاستتر فإذا الخدم قد دخلوا ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع وإذا قد نزل من العمارية جاريتان إحداهما معشوقتي فبهت وقال أحد الخدم وهو كالرئيس لهم مولانا

يقرؤك السلام ويقول: عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك وقد وهبتها لك مع جميع مالها وتركها الخادم وعدة بغال عليها أثقال من صنوف الثياب والفرش والآلات والقماش وعدة جوار وانصرف الرسول فأخذت بيد عشيقتي وأدخلتها المجلس فلما رأته والشرب قالت سلوت عنى

وشربت بعدى فحلفت لها ما شربت نبيذا مذ فارقنها إلا في هذا اليوم بلا غناء وحادثتها حديثى بطوله وقلت لها ما سبب ما جرى ؟ فقالت: اعلم أن الخليفة لم يرنى مذيوم عرضنى وأمر بشرائي إلا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة معى بك وذلك أنها استدعتني منذ مدة ثم سألتنى عن خبرى معك وحدثتني ما دار بينك وبين أم المتقى فصقدتها وبكيت أيضا فقالت كأنك تحبينه فسكت وتغامز الجوار على وصار شعار السيدة المزاح معى فيك فلما كانت هذه الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة والجوارى فاستدعيت وغنيت للخليفة فقال: إن كنت تحسنين الصوت الفلاني تغنيه وكان صوتك على فغنيته وتمثلت لى صورتك وذكرت سرى معك فلم أملك دموعي حين جرت فقال: المقتدر ما هذا ؟ فتحيرت وجزعت ونظرت إلى السيدة فضحكت وضحك الجوارى فقال المقتدر للسيدة: ما القصة ؟ فدافعته فقال: بحياتي فحدثته الحديث فلما استوفاه قال: يا جارية الامير هكذا إنما بكيت ابن ميمون فسكت فقال: إن صدقت وهبتك له فقلت: نعم فأقبل على أمه وقال: ما هو بكثير إن وهبتها لخادم لنا فقالت: والله أردت أن أسألك هذا ولكن رأيت أنك إن تفضلت به ابتداء كان أحسن فقال لبعض الخدم القيام: خذ هذه وجميع ما في حجرتها فاحمله إلى دار ابن ميمون كاتب ابني إبراهيم واقرأه السلام وعرفه إنى وهبتها له، فلما نقلت تصايح الجوارى قد جاء فرجك وبلغت مناك فقمت في حجرتي وحملت إليك وما تراة معى فحمدت الله عز وجل وجلست معها وما شلت ما في المجلس حتى شربت معها فيه وغنت لى وبت بأتم ليلة وبكرت نشيطا إلى دار أم التقى لادعوا لهما وأقامت الجارية عندي إلى أن ماتت حدثنى عبد الله بن محمد الصروى قال: حدثنى أبى، قال: كان ببغداد من أولاد النعم فتى ورث من أبيه مالا عظيما وكان يعشق قينة فأنفق عليها شيئا ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس. فقالت الجارية: يا هذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشا كان الامر أسهل قال: وكان الفتى لشدة حبه للجارية واحضاره الاستارات لها ليزيدها في

صنعتها قد تعلم الغناء والضرب والحذق فيهما فشاور بعض معارفه فقال. ما أعرف لك أصلح من أن تغنى الناس وتحمل جاريتك إليهم وتأخذ على هذا الكثير من الاموال ويطيب عيشك فانف من ذلك وعاد إليها فأخبرها بما أشير عليه وأعملها أن الموت أسهل عنده من ذلك فصبرت معه مدة على الشدة ثم قالت: له قد رأيت لك رأيا. قال: قولى. قالت: تبيعني فإنه يحصل لك من ثمني ما أردت أن تتجر به أو تقتنى ضيعة وتعيش عيشة صالحة وتتخلص من هذه الشدة وأحصل أنا في نعمة لان مثلى لا يشتريها إلا ذو نعمة. فحملها إلى سوق النخاسين فأول من اعترضها فتى هاشمى من أهل البصرة قد ورد بغداد للعب والتمتع فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عينا. قال الرجل: فحين لفظت بالبيع وأعطيت المال ندمت واندفعت في بكاء عظيم وحملت الجارية في أقبح من صورتي وجهدت في الاقالة فم يكن إلى ذلك سبيل وأخذت الدنانير في الكيس لا أدرى إلى أين

أذهب لان بيتى موحش منها وورد على من اللطم والبكاء ما قد أموسنى فدخلت مسجدا وجلست أبكى فحملتني عينى وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ونمت فما شعرت إلا بإنسان قد جذبه من تحت رأسي فانتبهت فزعا فإذا شاب قد أخذ الكيس وهو يعدوا فقمت لاعدوا وراءه فإذا رجلى مشدودة بحبل قنب في وتد مضروب في أرض المسجد فما أمكننى أن أتخلص من ذلك حتى غاب الرجل عن عينى فبكيت ولطمت ونالني أمر عظيم أشد من الاول وقلت فارقت من أحب لاستغنى بثمنه عن الصدقة وقد صرت الآن فقيرا مفارقا فجئت إلى دجلة ولففت رأسي ووجهى برداء كان على ولم أكن أحسن السباحة فرميت بنفسى إلى الماء فظن الحاضرون أن ذلك لغلظ وقع على فطرح قوم نفوسهم خلفي فأخرجوني وسألوني عن أمرى فأخبرتهم فبعضهم رحمنى والبعض استجهلني إلى أن خلا بى شيخ فأخذ يعظني ويقول يا هذا: ذهب مالك فكان ماذا حتى تتلف نفسك أو ما علمت أن فاعل هذا في نار جهنم ولست أول من افتقر بعد غنى واستغنى بعد فقر فلا تفعل وثق بالله عزوجل. أين منزلك قم معى إليه فما فارقني حتى حملني إلى منزلي فأدخلني إليه وما زال يؤانسى فيه ويعظى إلى أن رأى من السلوان

فانصرف فكدت أقتل نفسي لوحشة منزلي على ثم ذكرت النار فخرجت ولحقت به فبكى لى رقة وأعطاني خمسين درهما وقال: خذ هذه واخرج الساعة من بغداد واجعلها نفقة لك إلى حيث وجدت قلبك يساعدك على قصده وأنت من أولاد الكتاب وخطك صالح وأدبك جيد فاقصد بعض العمال واطرح نفسك عليه فأقل ما في الامر أن تصير محررا بين يديه وتعيش معه ولعل الله أن يخلف عليك فقبلت نصيحته وعملت على ذلك وجئت إلى الكتبيين وقد قوى في نفسي أن أقصد واسطا وكان لى بها أقارب فأجعلهم ذريعة إلى التصرف مع عاملها فحين جئت إلى الكتبيين إذا بزلال مقدم وجراية كثيرة وقماش فاخر كثير ينقل إلى الزلال فسألت من يحملنى إلى واسط ؟ فقال أحد ملاحى الزلال: نحن نحملك إلى واسط بدرهمين ولكن هذا الزلال لرجل هاشمى من أهل البصرة ولا يمكنا حملك معه على هذه الصورة ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا كأنك واحد منا فحين رأيت الزلال وسمعت أنه لرجل هاشمى من أهل البصرة طمعت أن يكون هو مشترى جاريتي فانفرج لسماعها لحد واسط فدفعت الدرهمين إلى الملاح وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين وبعت تلك الثياب التى على وأضفت ثمنها إلى ما معى من النفقة واشتريت خبزا وادما وجلست في الزلال فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسهل على ما كان بى وما أنا فيه وقلت أراها وأسمع من غناءها من ههنا لحد البصرة واعتقدت أن جعلت البصرة مقصدي وطمعت في أن أداخل مولاها وأصير أحد ندمائه وقلت لا تخليني هي من المودة فإنى واثق بها ولم يكن بأسرع من أن جاء الفتى الشى اشتراها راكبا ومعه عدة من الغلمان ركبان وركبوا في الزلال وانحدر بهم فلما وصلوا إلى كلو إذ أخرج الطعام فأكل وأكل الباقون على سطح الزلال وأطعموا الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال: إلى كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق مولى كان له فعلمت ما عندها من أمرى ثم ضرب ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين في سطحه وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فإذا هم أخوته وبنو عمه

فاخرجوا الصوانى ففرقها عليهم فيها النبيذ وما زالوا يرفقون بالجارية إلى أن استدعت بالعود فأصلحته واندفعت تغنى من الثقيل الاول بإطلاق الوتر الذى في مجرى الوسطى. بان الخليط بمن عرفت فادلجوا * عمدا لقتلك ثم لم يتحرجوا وغدت كأن على ترائب نحوها * جمر الغضا في ساعة يتأجج ثم غلبها البكاء فقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت أنا مغشيا على فظن الملاحون أنى قد صرعت فأذن بعضهم في أذنى فأفقت بعد ساعة وما زالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الغناء إلى أن أصلحت العود واندفعت تغنى في الثقيل الثاني. فوقفت أسئل بالذين تحملوا * وكأن قلبى بالشفار يقطع فدخلت دارهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع ثم شهقت فكادت تتلف وارتفع لها بكاء عظيم وصعقت أنا فتبرم بى الملاحون وقالوا: كيف حملنا هذا المجنون ؟ وقال بعضهم: إذا بلغتم بعض هذه القرى فأخرجوه وأريحونا منه فجاءني أمر عظيم من كل ما أصابني وجاءني في نفسي التصبر والحيلة في أن أعلم الجارية بمكانى بالزلال لتمنع من إخراجى فأفقت وبلغنا إلى قرب المداين فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا إلى الشط فطرحوا إلى الشط وصعدت الجماعة وكان المساء قريبا وصعد أكثر الملاحين يتغطون وخلا الحريري وكان الجوارى فيمن صعد إلى مستراح ضرب لهن فمشيت سارقا نفسي حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه إلى طريقة أخرى ورجعت إلى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حاجتهم في الشط ورجعوا والقمر منبسط فقالوا لها هو ذا ترين وقتنا فتكلفي الغناء ولا تنغصي علينا فأخذت العود فجسته وشهقت وقالت: قد والله أصلح هذا العود مولاى على طريقة من الضرب كان بها معجبا وكان يضربها معى ووالله أنه معنا في الزلال. فقال لها مولاها: والله يا هذه لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته فلعله أن يخف بعض ما بك فننتفع بغنائك ولكن هذه بعيد فقالت: لا أدرى ما تقولون هو والله معنا. فقال الرجل للملاحين: ويلكم هل حملتم

معنا إنسانا ؟ قالوا: لا فأشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هو ذا أنا فقالت كلام مولاى والله وجاء بى الغلمان إلى الرجل فلما رأني فقال: ويحك ما هذا الذى أصابك وصيرك في مثل هذا الحال ؟ فصدقته عن أمرى وبكيت وعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو وأخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال يا هذا: والله ما وطئت هذه الجارية ولا سمعت غناها إلا اليوم وأنا رجل موسع على ولله الحمد وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاق من الخليفة وقد بغلت من الامرين ما أردت ولما عملت على الرجوع إلى وطنى أحببت أن أستبيع من غناء بغداد شيئا فاشتريت هذه الجارية لاضمها إلى عدة مغنيات عندي بالبصرة وإذا كنتما على هذه الحال فأنا والله أغتنم المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله أنى إذا صرت إلى البصرة أعتقتها وزوجتك منها وأجريت عليكما ما يكفيكما ويسعكما على شريطة إذا اجبتني إليها قلت: ما هي ؟ قال: ان تحضرنا كلما أردنا الغناء خلف ستارتنا وتنصرف بانصرافك إلى دار أفردها لكما وقماش أعطيكما إياه فقلت: يا سيدى وكيف أبخل بهذا على من هو المعطى لى وعلى من رد على حياتي وأخذت أقبل يده فمنعني ثم أدخل رأسه إلى الجارية فقال: يرضيك هذا فأخذت تدعوا له وتشكره فاستدعى غلاما فقال: خذ بيد هذا الرجل وغير ثيابه وبخره وقدم إليه ما يأكله وجئنا به فأخذني الغلام ففعل بى ذلك وعدت وتركت بين يدى صينية واندفعت الجارية تغنى بنشاط وسرور وانبساط واستدعت النبيذ فشربت وشربنا وأخذت أقترح عليها الاصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك أياما إلى أن بلغنا إلى نهر معقل ومحن سكارى فشد الزلال في الشط وأخذتني بولة فصعدت إلى ضيعة بنهر معقل لابول فحملني النوم فيها بالسكر ودفع الزلال وأنا لا أعلم

وأصبحوا فلم يجدونى ودخلوا البصرة ولم أنتبه إلا بحر الشمس فجئت إلى الشط فلم أر لهم عينا ولا أثرا وقد كنت أجللت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة واحتشمت أن أسأل غلمانه عن ذلك فبقيت على شاطئ نهر معقل كأول يوم بدأت بى المحنة وكأن ما كنت فيه منام واجتازت بى سميرية فركبت فيها ودخلت البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت

خانا وبقيت متحيرا لا أدرى ما أعمل ولم يتوجه لى معاش إلى أن اجتاز بى يوما إنسان عرفته من بغداد فتبعته لاكشف له حالى واستميحه فأنفت من ذلك ودخل الرجل إلى منزله فعرفته وجئت إلى بقال كان هناك على باب الخان الذى نزلته فأعطيته دانقا وأخذت منه ورقة ودواة وجلست أكتب رقعة إلى الرجل فاستحسن البقال خطى ورأى رثاثة ذلى فسألني عن أمرى فأخبرته أننى رجل ممتحن فقير وقد تعذر على التصرف وما بقى مع شئ ولم أشرح له أكثر من ذلك فقال أتعمل معى في كل يوم على نصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط حساب دكاني قلت: نعم قال: أصعد فخرقت الرقعة وصعدت فجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه وان غلمانه يسرقونه فأديت إليه الامانة فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدني فكنت معه كذلك شهورا ثم جعل رزقي في كل يوم درهما ولم يزل حالى يقوى معه إلى أن حال عليه الحول وبان له الصلاح في أمره فدعاني إلى أن أتزوج ابنته ويشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي فلزمت الدكان والحال يقوى إلا أننى في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما شرب فيجتذبنى إلى مساعدته فامتنع وأظهر أن ذلك حزنا على موتى لى واستمرت بى الحال على هذا سنين فلما كان يوما رأيت قوما يجتازن بخون ونبيذا اجتياز متصلا فسألت على ذلك فقالوا اليوم يوم الشعانين ويخرج أهل الظرف واللعب بالشراب والطعام والقيان إلى الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتنى نفسي إلى التفرج وقلت لعلى أقف لاصحابي على خبر لان هذا من مظانهم فقلت أريد أن أنظر هذا المنظر فقال لى شأنك فأصلح لى طعاما وشرابا وسلم إلى غلاما وسفينة فخرجت وأكلت في السفينة وبدأت أشرب حتى وصلت إلى الابلة وأبصرت الناس وابتدأوا ينصرفون فانصرفت فإذا بالزلال بعينه لقيته في أوساط الناس سائرا في نهر الابلة فتأملته فإذا بأصحابى على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم أتمالك فرحا وطرحت إليهم فلما رأوني وعرفوني كبروا وأخذوني إليهم وقالوا: ويحك أنت حى وعانقوني وفرحوا وسألوني عن قصتي وأخبرتهم بها على أتم

شرح فقالوا: إنا لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك بالسكر وقعت في الماء وغرقت ولم نشك في هذا فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها وبكت ولطمت فما منعناها عن شئ من هذا ووردنا البصرة فقلنا لها ما تختارين أن نعلم بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المرؤة من استخدامك معه في حال فقده والاستمتاع بغنائك فقالت: تمكنوني من القوت اليسير ولبس الثياب السود وان أعمل قبرا في بيت من الدار وأجلس عنده وأتوب من الغنا فمكناها من ذلك فيه جالسة عنده إلى الآن وأخذوني معهم فحين دخلت الدار رأيتها بتلك الصورة ورأتنى فشهقت شهقة عظيمة ما شككت في تلفها واعتنقنا فما افترقنا ساعة طويلة ثم قال لى مولاها خذها فقلت: بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك ودفع لى ثيابا كثيرة

وفرشا وقماشا وحمل لى خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت أن أجرى عليك في كل شهر من منذ أول دخولي البصره وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجراية لك مستأنفة في كل شهر وشئ آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الغنا من الجارية من وراء ستارة باق وقد وهبت لك الدار الفلانية قال فجئت إليها فإذا بذلك الفرش والقماش الذى أعطانيه فيها والجارية فجئت إلى البقال فحدثته حديثى وطلقت ابنته ووفيتها صداقها وأقمت مع الجارية على تلك الحالة والهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعدت إلى قريب مما كنت عليه وأنا أعيش كذلك إلى الآن مع جاريتي. حدثنى أبودوق الهراني عن الرباشى أن رجلا من أهل النعيم بالبصرة اشترى صبية فأحسن أدبها وتعليمها وأحبها كل المحبة وأنفق عليها حتى أملق ومسهما الضر الشديد فقالت له الجارية إنى لارثى لك يا مولاى مما أرى بك من سوء الحال فلو بعتني واتسعت بثمني فلعل الله أن يصنع بك وأقع أنا بحيث يحسن حالى فيكون بذلك أصلح لكل واحد منا قال: فحملها إلى السوق فعرضت على عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي وهو أمير البصرة يومئذ فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المولى الثمن وأراد الانصراف

استعبر كل واحد منهما إلى صاحبه باكيا وأنشأت الجارية تقول: هنيئا لك المال الذى قد أخذته * ولم يبق في كفى غير التذكر أقول لنفسي وهى في غشى كربة * أبكى فقد بان الحبيب واكثري إذا لم يكن للمرء عندك حيلة * ولم تجد شيئا سوى الصبر فأصبري فاشتد بكاء المولى ثم أنشد يقول: فلو لا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذري أروح بهم في الفؤاد مبرح * أناجي به قلبا طويل التفكر عليك سلام الله لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر فقال ابن معمر: قد شئت فخذها ولك المال وانصرفا راشدين ؛ فو الله لا كنت سببا لرفقة مجتمعين حدثنى أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه قال: حدثنى الحسين بن يحيى المرقاشى قال: حدثنا حماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال لما دخل الرشيد البصرة حاجا فكنت معه فقال لى جعفر بن يحيى يوما يا أبا محمد: قد وصفت لى جارية مغنية حسناء تباع وذكروا أن مولاها ممتنع عن عرضها إلا في داره وقد عزمت أن أركب متخفيا فأعرضها فتساعدني فقلت السمع والطاعة فلما كان في نصف النهار حضر النخاس فاعلم بحضوره فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية وأمرني فلبست مثل ذلك وركبنا حمارين قد أسرجا لنا بسروج التجار، وركب النخاس معنا وتخللنا الطريق حتى أتينا دار ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب وإذا شاب حسن الوجه عليه أثار ضرباد وعليه قميص ففتح وقال: انزلوا يا سادة فدخلنا وإذا بدهليز شعث ودار قوراء خراب منقوضة وإذا في الدهليز بيت كالعامر مغلوق الباب فأخرج لنا الرجل منه قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا وجلسنا عليها وقال له النخاس احضر لنا الجارية فقد حضر المشترى فدخل البيت وإذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذى

كان على الفتى بعينه وهى فيه مع خشونته كأنها في الحلى والحلل لحسن ووجهها وفى يدها عود فأمرها جعفر بالغناء فجسته وضربت ضربا واندفعت تغنى. ان يمس حبلك بعد طول تواصل * خلقا ويصبح بيتكم مهجورا فلقد رأني والجديد إلى بلى * دهرا بوصلك

راضيا مسرورا جذلا بمالى عندكم لا أبتغى * بدلا بوصلك خلة وعشيرا كنت المنى وأعز من وطئ الحصى * عندي وكنت بذاك منك جديرا قال ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء وسمعنا من البيت نحيب الفتى وقامت الجارية تتعثر في قميصها حتى دخلت البيت فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق ثم خفتا حتى ظننا أنهما قد ماتا وهممنا بالانصراف فإذا الفتى قد خرج وعليه ذلك القميص بعينه فقال: أيها القوم اعذروني فيما أفعله وأقوله فقال له جعفر: قل فقال: أشهد الله وأشهدكم أن هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى وأسألكم أن تزوجوني بها فتحير جعفر أسفا على الجارية ثم خاطبها فقال: أتحبين أن أزوجك من مولاك ؟ قالت: نعم فقرروا الصداق وخطب زوجها ثم أقبل على الفتى فقال له: يا هذا ما حملك على ما فعلت ؟ فقال: حديثى طويل ان نشطت له حدثتك فقال: لا أقل لمن أن نسمعه فلعلنا نبسط عذرك فقال: أنا فلان بن فلان وكان أبى من وجوه أهل هذه البلد ومياسره وهو عارف بهذا وأشار إلى النخاس وأنه أسلمني إلى الكتاب وكانت لامى صبية وسنها قريب من سنى وهى جارتي هذه وكانت معى في الكتاب تتعلم ما أعلم وتنصرف معى فبلغت ثم عطلت عن المكتب وعلمت الغناء فكنت لمحبتي بها أتعلمه منها وعلق بقلبي منها حبا شديدا وبلغت فخطبني وجوه أهل البصرة لبناتهم فخيرني أبى فأظهرت له الزهد في التزويج ونشأت متوفرا على الادب متلقبا في نعمة أبى غير متعرض لما يتعرض له الاحداث لتعلق قلبى بالصبية ورغبة أهل البلد تزداد في وعندهم أن عفتى لصلاح وما كانت إلا لتعلق قلبى بالجارية وإن شهوتي لا تتعداها لاحد وبلغت الجارية في الغناء ما قد سمعتموه فعزمت أمي على بيعها وهى لا تعلم بما في نفسي منها فأحسست بالموت واضطررت إلى أن صدقت أمي عن الصورة فحدثت أبى فأجمع رأيهما على أن وهبا الجارية لى

وجهزاها كما يجهز أهل البيوتات بناتهن وجليت على وعمل العرس الحسن فنعمت معها دهرا فمات أبى فلم أحسن أن أرب نعمته فأسأت تدبيرها وأسرعت في الاكل والشرب والقيان وأنا مع ذلك أجدد في كل يوم خمسين دينار وأكثر ولا أتجاوزها في جماع أو حب إلى أن تلفت النعمة وأفضت الحال إلى نقض الدار والفقر إلى ما ترون فأنا على هذا منذ سنين فلما كان هذا الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر مملكته بالبصرة فقلت لها يا أختى: إن شبابك يبلى وعمرك في الدنيا ينقضى ووالله ما في نفسي رغبة في بعيك فإنى أعلم أنى تالف متى فارقتك ولكني أوثر تلفها مع وصولك إلى نعمة ورفاهية فدعيني أعرضك فلعله يشتريك بعض هؤلاء الكتاب فتحصلي معه في رغد من العيش فإن مت بعدك فتلك أمنيتي ويكون كل واحد منا قد تخلص من الشقاء وإن حكم الله عزوجل على بالبقاء صبرت لفضل الله واضطربت في معاشى بثمنك فبكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت إلى هذا النخاس وأطلعته على أمرى وقد كان يسمع غناها في أيام نعمتي وعرف حالها وحالى وعلمته أنى لا أعرضها أبدا إلا عندي فإنها والله ما تسلقت عتبة هذه الدار قط وأردت بذلك أن يراها المشترى وحده ولا تمتهن بسوق ولا دخول إلى بيوت الناس وانه لم يكن لها ما تلبسه إلا قميصي هذا وهو مشترك بيننا ألبسه إذا خرجت لابتياع القوت وتتشح هي بإزارها فإذا جئت إلى البيت ألبستها إياه واتشحت أنا بالازار فلا جئتما لعرضها خرجت فغنتكم فلحقني من البكاء والقلق أمر عظيم ودخلت إلى وقالت لى: يا هذا ما أعجب أمرك أنت مللتنى وآثرت فراقي وتبكى هذا البكاء على فقلت: يا هذه والله لفراق نفسي أسهل على من فراقك وإنما أردت أن تتلخصى من هذا الشقاء فقالت: والله يا مولاى لو تملكت منك ما تملكته منى ما بعتك أبدا وأموت جوعا فيكون الموت هو الذى يفرق بيننا فقلت لا عليك تريدين أن تعلمي صدق

قولى قالت نعم قلت هل لك أن أخرج الساعة إلى المشترى فاعتقك بين يديه وأتزوجك ثم أصير معك على ما نحن عليه إلى أن يأتي الله بفرج أو صنع أو موت وراحة فقالت إن كنت صادقا فافعل هذا فما أريد غيرك فخرجت إليكم وكان منى ما قد علمتم

فاعذروني فقال جعفر: أنت معذور ونهض فنهضت والنخاس فلما قدمت الحمير لنركب دنوت منه فقلت: يا سبحان الله مثلك في جودك ترى هذه الكرامة ولا تنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبى على الفتى فقال: ويحك وقلبي والله. ولكن غيظي من فوت الجارية منعنى من التكرم عليه فقلت: فأين الرغبة في الثواب فقال: صدقت والله، ثم التفت إلى النخاس فقال له: كم كان الخادم سلم إليك عند ركوبنا لثمنها قال: ثلاثة آلاف دينار قال: فأين هي ؟ قال: مع غلامي فقال لى وللنخاس خذاها وادفعاها إلى الفتى وقولا له يكتسى ويركب ويجيئني لاحسن إليه وأستخدمه فرجعت إلى الفتى وأنا أبكى فقلت له قد عجل الله عزوجل عليك بالفرج ان الذى خرج من عندك هو الوزير الامير جعفر بن يحيى البرمكى وقد أمر لك بهذا وهو يقول لك كذا وكذا قال: فصعق حتى قلت قد تلف ثم أفاق فأقبل يدعو ويشكرني فركبت فلحقت بجعفر فأخبرته فحمد الله عزوجل على ما وفقه له وعاد إلى داره وأنا معه فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد فأخذ يسأل جعفر عن حاله في يومه وهو يخبره بالامور السلطانية ثم فاوضه فيما سوى ذلك إلى أن قص عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد: فما عملت فأخبره فاستصاب رأيه وقال: وقع له برزق سلطاني في رسم أرباب النعم في كل شهر كذا وكذا واعمل بعد ذلك ما شئت فلما كان من الغد جاءني الفتى راكبا بثياب حسنة وهيئة جميلة وإذا هو أحلى الناس كلاما وأتمهم أدبا فحملته معى إلى جعفر وأوصلته إلى مجلسه فأمر بتسهيل وصوله إليه وخلطه بحاشيته ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشئ آخر وشاع حديثه بالبصرة وفى أهل العسكر فلم يبق فيهما متغزلا ولا متظرف إلا أهدى إليه شيئا جليلا فما خرجنا من البصرة إلا وهو رب نعمة صالحة ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبى على بن محمد بن الحسن بن جهور العجمي البصري الكاتب في كتابه " كتاب السمار والندماء ". فزعم أن الرشيد لما حج كان معه إبراهيم الموصلي واقتص الخبر على قريب مما ذكرناه وأن الجارية بدأت فغنت بصوت من صنعة إبراهيم وهو.

نمت علينا زفرة صا ؟ دة * وملنى العائد والعائدة يا رب كم فرجت من كل كربة * عنى فهذه المرة الواحدة وإن الذى حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متنكرين ومعهما إبراهيم الموصلي والنخاس وانهم انصرفوا وقطعوا الثمن على مائتي ألف درهم ثم عادوا بالمال معهم فأمروا باعادة التقليب فخرجت الجارية فغنت لابراهيم أيضا ومن عادة الايام أن صروفها * إذا سر منها جانب ساء جانب وما اعرف الايام إلا ذميمة * ولا الدهر إلا وهو بالثار طالب ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا. وفى الخبر الاول زيادات ليست في حديث ابن جهور * وبلغني خبر لجعفر بن يحيى مع جارية تقارب هذا اخبرني به أبو محمد الحسن أبو عبد الرحمن بن خلاد الوانهرزى خليفة أبى على القضاء بها قال: أخبرنا محمد بن الصلت الجمانى قال: حدثنى بيلخ وشير النخاسان قالا: أرسل إلينا جعفر بن يحيى البرمكى يطلب جارية قوالة ذات أدب وظرف على صفة ذكرها وحدها فبقينا نجيل الرأى ونخوض في ذكرهن ونتواصف من يعرف منهن وإلى جانبنا

شيخ من أهل الكوفة يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندي بغية الوزير فانهضوا ان شئتم لتنظروا إليها فنهضنا معه حتى إذا وصلنا إلى داره وجدناها ظاهرة الاختلال ولم نر فيها إلا مسحا خلقا وثلاث قصبات عليها مسرجة فارتبنا لقوله لما ظهر من سوء حاله ثم صوت بها فخرجت والله الينا جارية والله كأنها فلقة قمر تنثني كالقصب فاستقراها فقرأت آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكنا واتبعتها بقصيدة مليحة شوقتنا وأطربتنا فقلنا أصناع ؟ وأشرنا إلى يدها فقالت: نعم علمت العود وأنا صغيرة فقلنا اتحفينا به فقالت سبحان الله وهل يصلح ذلك العود الا لمولى مالك ان دعاني إليه فعلته. قال: وراح الرسول إلى جعفر فأخبره بما شاهده فلم يتمالك جعفر حين سمع بقصة الجارية حتى استنهض الرسول إلى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وسأله اخراجها إليه

ففعل فلما رآها جعفر أعجب بها قبل أن يستنطقها ثم استنطقها فأخذت بمجامع قلبه فقال لمولاها: قل ما تشاء فقال الشيخ: لست أحدث أمرا حتى استأذنها ولولا الضر الذى نحن فيه ما عرضتها ولكن حالى ما يشاهده الوزير ووراء ذلك دين كثير قد قدحني ومن أجله فارقت وطنى وعرضت على البيع ثمرة قلبى فقال جعفر فما مقدار ما في نفسك إن أردت بيعها قال ثلاثون ألف دينار قال جعفر: فهى لك ان بعتنيها فلما سمعت ذلك استعبرت فلما رأى الشيخ استعبارها أقبل على جعفر ومن حضر معه فقال أشهدكم أني قد أعتقتها وجعلت صداقها والله لا ملكتها أحدا أبدا فغضب جعفر وأقبل من حضر على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونه ويقولون: ضيعت هذا المال الجليل وعجلت وحمقت فقال الشيخ: النفس أولى أن يبقى عليها من المال والرزاق الله عزوجل وعاد جعفر إلى أبيه فأخبره بما كان من الرجل والجارية فقال أبوه له: فما صنعت بهما قال تركتهما وانصرفت قال: ويحك ما أنفت أن تنصرف عن متحابين مثلهما فقيرين لا نجبر حالهما أرضيت أن يكون الكوفى أسمح منك ودعا بغلام فحمل معه إلى الشيخ ثلاثين ألف دينار على بغل فلما وصل المال إلى الشيخ أخذه وحمد الله عزوجل وعاد بالجارية والمال إلى منزله بالكوفة. وجدت في بعض كتبي أن عمرو بن شيبة قال: حدثنى أبو غسان قال: أخبرني بعض أصحابنا أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما اشترى جارية من مولدات أهل مكة وكان يتعشقها غلام من أهلها فقدم في أثرها المدينة فنزل قريبا من منزل عبد الله بن جعفر ثم جعل يلطف عبد الله بظرائف مكة حتى عرفه وجعلت الجارية تراسله فأدخلته ليلة في اصطبل دواب عبد الله بن جعفر فعبر عليه السايس فأعلم عبد الله بن جعفر فأتى به فقال: مالك قبحك الله أبعد تحرمك بنا تتعرض لحرمنا قال: لا انك لما ابتعت الجارية كنت لها محبا وكانت تجدني مثل ذلك قال: فدعا الجارية فسألها فجاءت بمثل قصة الفتى فقال: خذها فهى لك. فلما كان بعد ذلك بقريب عشق عبد السلام ابن أبى سليمان مولى أسلم جارية لآل طلحة ابن عبد الله بن معمر التميمي يقال

لها رواح فطلبها منهم ورجا أن يفعلوا به مثل ما فعل ابن جعفر بالفتى المكى فلم يفعل الطلحيون ذلك فسأل في ثمنها حتى اجتمع له فاشتراها منهم وقال عبد السلام: وأنت فلا تعدل نوال بن جعفر * وأين لعمري من نوال بن معمري يطير لذى الجنات هذا لفضله * وقد قص هذا في الجحيم المسعر وقد كان في عصرنا ما يقارب مثل هذا وهو ما حدثنى به أبو الحسن على ابن عمر

الدارقطني الحافظ قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني الفقيه الذى كنا ندرس عليه مذهب الشافعي قال: كنا ندرس على أبى إسحاق المروزى الشافعي وكان يدرس عليه معنا فتى من أهل خراسان له والد هناك يوجد إليه في كل سنة مع الحجاج قدر نمقته للسنة فاشترى جارية فوقعت في نفسه وألفته وألفها وكانت معه سنين وكان رسمه أن يستدين في كل سنة دينا بقدر ما يعجز عن نفقته فإذا جاء ما ينفذه إليه أبوه قضى دينه وأنفق الباقي مدة ثم عاد إلى الدين فلما كان سنة من السنين جاء الحجاج وليس معهم نفقة من أبيه فسألهم عن ذلك فقالوا ان أباك اعتل علة عظيمة صعبة فاشتغل بنفسه فلم يتمكن من إنفاذ شئ معنا قال: فقلق الفتى قلقا شديدا وخاف غرماؤه يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب وأخرج الجارية إلى النخاسين فعرضها وكان الفتى ينزل بقرب منزلي ويختلف إلى مجلس الفقه ولا يكاد يفترق فباع الجارية بألف درهم وكسر لينفق منها على غرمائه قدر مالهم ويتمرر بالباقي وعند رجوعنا من النخاسين كان قلقا موجعا فلما كان الليل لم أشعر إلا وبابى يدق ففتحته فإذا بالفتى فقلت: مالك ؟ فقال: قد امتنع على النوم وحشة للجارية وشوقا إليها قال: ووجدته من القلق على أمر عظيم حتى أنكرت عقله فقلت ما تشاء قال: لا أدرى وقد سهل الله على أن ترجع الجارية إلى ملكى وأبكر غدا فأقر لغرمائي بما لهم واحتبس في حبس الحاكم إلى أن يفرج الله عزوجل ويجيئى من خراسان نفقتى في العام المقبل بعد أن تكون الجارية في ملكى فقلت له: أنا أكفيك ذلك في غد ان شاء الله واعمل في رجوع الجارية إليك إذا كنت وقد وطنت نفسك على هذا قال: وبكرنا

إلى السوق فسألنا من اشترى الجارية ؟ فقالوا: امرأة من دار أبى بكر بن أبى حامد الخرساني صاحب بيت المال فجئنا إلى ملجس الفقه فشرحت لابي إسحاق المروزى بعض حديث الفتى وسألته أن يكتب إلى أبى بكر بن أبى حامد رقعة يسئله فيها فسخ البيع والاقالة وأخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقمت وأخذت بيد الخراساني صديقى وجئت إلى أبى بكر بن أبى حامد فإذا مجلس حاشد فأمهلنا حتى خف فدنوت أنا والفتى فعرفني وسألني عن المروزى فقلت هذه رقعته في حاجة له فلما قرأها قال أنت صاحب الجارية قلت: لا ولكنه صديقى هذا وأومأت إلى الخراساني وقصصت عليه القصة في سبب بيعه الجارية فقال لى والله ما أعلم اننى ابتعت جارية ولا ابتيعت لى فقلت ان امرأة جاءت فابتاعتها وذكرت انها من دارك فقال يجوز. يا فلان: فجاء خادم فقال ادخل إلى دور الحرم وسل عن جارية ابتيعت أمس فلم يزل يدخل ويخرج من دار إلى أخرى حتى وقع عليها فقال عثرت ؟ فقال نعم فقال أحضرها فأحضرت فقال لها: من مولاك فأومأت إلى الخراساني فقال لها: أتحبين أن أردك عليه فقالت: والله ليس مثلك من يختار عليه ولكن لمولاي حق التربية فقال هي كيسة عاقلة قال: فاخرج الخراساني الكيس وتركه بحضرته فقال للخادم امض إلى الحرم فقل لهن ما كنتن وعدتن به هذه الجارية من إحسان وبر فعجلنه الساعة فجاء الخادم بأشياء لها قدر فدفعها إليها ثم قال للخراساني خذ كيسك فاقض منك دينك ووسع بباقيه على نفسك وعلى جاريتك والزم الدرس فقد أجريت لك في كل شهر قفيز دقيقا ودينارين تستعين بها في دارك فو الله ما انقطعت عن الفتى حتى مات. قال مؤلف هذا الكتاب: وجدت هذا الخبر مستفيضا ببغداد وأخبرت به على جهات مختلفة الا أننى أذكر بعض الطرق الاخر التى بلغتني. حدثنى أحمد بن عبد الله عن شيخ من دار القطن ببغداد قال: كان لابي بكر بن أبى حامد جارية ظريفة وكان ثم رجل يعرف بعبد الرحمن

الصيرفى باعها له بثلثمائة دينار وكان يهواها فلما جاء الليل استوحش لها وحشة

شديدة ولحقه من القلق والهيام والجنون والاسف على فراقها ما منعه من النوم، ولحقه من البكاء والسهر ما كاد يخرج نفسه فلما أصبح خرج إلى دكانه ليتشاغل بالنظر في أمره فلم يكن إلى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية وجاء إلى دار أبى بكر بن أبى حامد ودخل ومجلسه حافل فسلم وجلس في أخريات الناس إلى أن انفضوا فلما لم يبق منهم غير أبى بكر ابن أبى حامد. قال له: إن كانت لك حاجة فاذكرها ؟ فحصر وجرت دموعه وشهق فرفق به ابن أبى حامد وقال له: قل عافاك الله ولا تستحى. قال: بعت أمس جارية كانت لى أحبها واشتريت لك أطال الله بقاك وقد أحسست بالموت أسفا عل فراقها وأخرج الثمن ووضعه بحضرته وقال: أنا أسألك أن ترد على حياتي بأخذ هذه الدنانير واقالتي البيع. قال فتبسم له ابن أبى حامد وقال: فلما كانت بهذا المحل من قلبك فلم بعتها ؟ قال أنا رجل صيرفي وكان رأس مالى ألف دينار فلما اشتريتها تشاغلت بها عن لزوم الدكان فبطل كسبى وكنت أنفق عليها من رأس مالى نفقة لا يحتملها مالى فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت فإذا لم يبق معى من رأس مالى إلا ثلثه أو أقل وصارت تطالبني من النفقة بما أن اطعتها فيه حتى ذهبت هذه البقية فلما منعتها ساءت أخلاقها على، وتنغصت عيشتى فقلت أبيعها وأرد ثمنها فيما اختل من دكاني، ويستقيم عيشي وأستريح من أذاها وأتصبر على فراقها وينضبط أمرى بسقوط النفقة على وتوفرى على التجارة ولم أعلم أنه يلحقني هذا الامر العظيم وقد آثرت الفقر الآن بأن تحصل لى الجارية فان الموت أسهل مما أنا فيه. فقال ابن أبى حامد يا فلان: فجاء خادم أسود فقال أخرج الجارية التى اشتريت لنا أمس. قال: فأخرجت الجارية. قال: يا بنى إن مثلى لا يطأ قبل الاستبراء والله ما وقعت عينى عليها منذ اشتريت إلى الآن وقد وهبتها لك فخذها وخذ دنانيرك بارك لك فيها ورد الدنانير إلى دكانك. ثم قال للخادم هات ألف درهم فجاء بها. فقال للجارية: قد كنت عملت على أن أكسوك فجاء من أمر مولاك ما رأيت، وليس من المروءة منعه منك فخذي هذا الدراهم واتسعى بها على

نفسك ولا تحملي مولاك ما لا يطيق فيفتقر ويحتاج لبيعك وأين تجدين من يرغب فيك مثل رغبته فاعرفي له حق هذه المحبة، وهذه الالف درهم لك عندنا كل سنة يجئ مولاك ويأخذها لك إذا شكرك ورضى طريقك، ثم قال له لا تنفق عليها إلا بقدر طاقتك وهذه الالف درهم لها في كل سنة كفاية مع ما تطيقه أنت من الانفاق عليها وتوفر على دكانك ومعاشك وليس كل وقت يتفق لك ما اتفق الآن، فقام الرجل وقبل يديد ورجليه وجعل يبكى ويدعوا له ورجع إلى بيته بماله وجاريته وأصلح دكانه ومعيشته وفرج الله عزوجل ما كان من الشدة وكان ما فعله أبو بكر بن أبى حامد سببا لصلاح حاله. ويشبه هذا الحديث ما وجدته في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز ابن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبى على ديوان السواد وذكر أنه نسخه من كتاب أعطاه له أبو الحسن الخصيبى وكان فيه اصلاحات بخط ابن ما بيداد: اشترى الحسن بن سهل من القسطاطى التاجر جارية بألف دينار فحملت إلى منزل الحسن وكتب للقمطاطى بثمنها فأخذ الكتاب احالة عليه بالمال وانصرف فوجد منزله مفروشا نظيفا وفيه ريحان قد عبى تعبية حسنة

ونبيذا قد صفى فقال ما هذا فقيل له جاريتك التى بعتها الساعة أعدت لك هذا لتنصرف إليها فبعتها قبل انصرافك. قال: فقام القسطاطى فرجع إلى الحسن وقال: أيها الامير أقلنى بيع الجارية أقالك الله في الآخرة فقال ما إلى هذا سبيل وما دخلت قط دارنا جارية فخرجت منها. قال أيها الامير: إنه الموت. قال وما ذلك ؟ فقص عليه القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن ورد الجارية عليه وقال له الالف دينار لا يرجع إلى ملكى منها دينار واحد فأخذ القسطاطى الجارية والدنانير وعاد إلى منزله وجلس مع جاريته على ما أعدته له. عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف

الصحراء وأتفرج بها فقلت لغلماني إن جاء رسول الخليفة فعرفوه انى بكرت في مهم لى وانكم لا تعرفون أين توجهت ومضيت وطفت ما بدا لى ثم عدت وقد حمى النهار فوقفت في شارع المخزم في الظل عند جناح رحب في الطريق لاستريح فلم ألبث ان جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل ديبقى وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية ورائه ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فاتنا وشمائل ظريفة فحدثت أنا مغنية فدخلت الدار التى كنت واقفا عليها وعلقها قلبى في الوقت علوقا شديدا لم أستطع معه البراح فلم ألبث إلا يسيرا حتى أقبل رجلان شابان جميلان لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستأذنا فأذن لهما فحملني حب الجارية على أن نزلت معهما ودخلت بدخولهما فظنا أن صاحب الدار دعاني، وظن صاحب الدار أنى معهما فجلسنا فأتى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفى يدها عود فرأيتها حسناء وتمكن ما في قلبى منها وغنت غناء صالحا وشربنا وقمت قومة للبول فسأل صاحب المنزل من الفتيين عنى فأخبراه أنهما لا يعرفاننى فقال: هذا طفيلى ولكن ظريف فاجملوا عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية في لحن لى: ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن * امام المطايا تستريب وتطمح من المولعات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى في بيتها يتوضح فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي. الطول الدوار * فارقتها الاوانس أوحشت بعد أهلها * فهى قفر يابس فكان أثرها فيه أصلح من الاول ثم غنت أصواتا من القديم والمحدث وغنت في أضعافها من صنعتي في شعرى. قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا قد بلغت الذى أرد * ت وإن كنت لاعبا واعترفنا بما أدعي * ت وإن كنت كاذبا فكان أصلح مما غنته، فاستعدته منها لا صححه لها فأقبل على رجل منهم فقال: ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك. لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا

تصديق المثل طفيلى ويقترح، فأطرقت ولم أجبه وجعل صاحبه يكفه عنى فلم يكف ثم قاموا إلى الصلاة وتأخرت وأخذت العود واشددت طبقته واصلحته إصلاحا محكما وعدت إلى موضعي فصليت وعادوا وأخذ الرجل في عربدته على وأنا صامت ثم أخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حال وقالت: من مس عودي ؟ فقالوا: ما مسه أحد قالت: بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صنعته. فقلت لها: أنا أصلحته قالت: بالله عليك خذه فاضرب به فأخذته وضربت مبدأ عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى في المجلس أحد إلا ووثب فجلس بين يدى وقالوا: بالله عليك يا سيدنا أتغنى ؟ قلت نعم وأعرفكم نفسي أيضا أنا إسحق بن إبراهيم

الموصلي وإنى والله لاتيه على الخليفة وأنتم تشتموني اليوم لانى تملحت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعاند ونهضت لاخرج فتعلقوا بى فلم أرجع فلحقتني الجارية فتعلقت بى فلنت وقلت: لا أجلس حتى تخرجوا هذا البغيض. فقال له صاحبه: من هذا كنت أخاف عليك فأخذ يعتذر فقلت أجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر فأخذوا بيده وأخرجوه فبدأت أغنى بالاصوات التى غنتها الجارية من صنعتي فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال هل لك في أمر أعرضه عليك: فقلت وما هو ؟ قال تقيم عندي شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليه من حلية وللجارية من كسوة فقلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف احد أين أنا والمأمون يطلبني في كل موضع فلم يعرف لى خبرا فلما كان بعد ذلك سلم إلى الجارية والحمار والخادم وجئت بذلك إلى منزلي وهو في أقبح صورة لخبري وتأخري عنهم وركبت إلى المأمون من وقتى فلما رأني قال لى يا اسحاق ويحك أين أنت. وأين تكون ؟ فاخبرته بخبرى فقال على بالرجل الساعة فدللتهم على بيته فأحضر فسأله المأمون عن القصة فأخبره بها فقال أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم وقال: لا تعاشر ذاك المعربد السفل. فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال لى احضر الجارية فأحضرته إياها فغنته فقال لى قد جعلت لها توبة كل يوم

ثلاثاء تغنيني من وراء الستارة مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله بتلك الركبة وأربحت. عن نمير بن خلف الهلالي قال: كان منا فتى يقال له سيرين بن عبد الله ويعرف بالاشتر كان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت ذات زوج وشاع خبره في حبها فمنع منها وضيق عليه حتى لم يقدر ان يلم بها فجاءني يوما فقال يا أخى: قد بلغ من الوجد وضاق على الصدر فهل تساعدني على زيارتها فأجبته فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا قريبا من حيها فكمن في موضع وقال لى اذهب إلى القوم فكن ضيفا فيهم ولا تذكر شيئا من أمرنا حتى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا فتعلمها خبرى وتأمرها بأخذ موعد منها فمضيت وفعلت ما أمرنى به حتى لقيت الراعية فخاطبتها فمضت إلى جيداء وعادت وقالت موعدك الليلة عند تلك الشجرة من موضع كذا فمضيت إليه وجلسنا عند الشجرة إلى الوقت المعلوم فإذا بجيداء قد أقبلت فوثب الاشتر يقبل عينها فقمت موليا عنهما فقالا نقسم عليك إلا رجعت فو الله ما بيننا ما نستره عليك فرجعت وجلسنا نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك من المصاحبة الليلة فنتعلل بها قالت لا والله إلا بأن يعود حالى وإلى ما تعرف من البلاء والشدة فقال ما من ذلك بد ولو وقعت السماء على الارض. فقالت هل في صاحبك هذا خير ؟ فقلت أي والله فقالت: وقد خلعت ثيابها خذها والبسها واعطني ثيابك ففعلت فقالت: اذهب فان زوجي سيأتيك بعد العتمة يطلب منك القدح ليحلب فيه الابل فلا تدفعه إليه من يدك فهكذا كنت أفعل به ودعه بين يديه فانه سيذهب فيحلب فيه ثم يأتيك به فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تطيل نكدك عليه ثم تأخذه أو تدعه حتى يضعه هو ثم لست تراه حتى يصبح فذهبت وفعلت ما أمرتني وجاء بالقدح فلم آخذه وأطلت النكد عليه ثم أهويت لآخذه وأهوى ليضعه فاختلفت أيدينا فانكفا القدح فقال إن هذا الطماح مفرط وضرب بيده إلى سوط ثم تناول جمتى فضرب ظهر بذل السوط ثلاثين فجاءت أمه وأخته وانتزعاني من يده بعد أن زال عقلي وهممت أن أوجئه بالسكين فلما

خرجوا عنى لم ألبث إلا يسيرا، فإذا بأم جيداء قد دخلت على تكلمني وتزبرني. فلزمت الصمت والبكاء فقالت يا بنيتي: اتق الله وأطيعي زوجك أما الاشتر فلا سبيل لك إليه، وأنا أبعث اليك أختك الليلة. ثم مضت وبعثت إلى الجارية فجعلت تكلمني وتدعو على من ضربني وتبكى وأنا ساكت ثم اضطجعت إلى جنبى فشددت يدى على فمها وقلت: يا جارية ان أختك مع الاشتر، وقد قطع ظهرى بسببها، وأنت أولى بسترها منى وإن تكلمت بكلمة فضحتيها، وأنا لست أبالى. فاهتزت مثل القضيب فزعا ثم ضحكت. وباتت معى أظرف الناس، ولم نزل نتحدث حتى برق الفجر. ثم خرجت وجئت إلى أصحابي فقالت جيداء: ما الخبر ؟ فقلت: سلى أختك عنه فلعمري أنها عالمة به، ودفعت إليها ثيابها وأريتها ظهرى. فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل الاشتر يبكى وأنا أحدثه وأرتحلنا. عن بعضهم قال: حضرت في دعوة عند صديق لى من البزازين، كان مشهورا. فقدم إليه في جملة طعامه داجيراجه فلم يأكلها فامتنعنا من أكلها. فقال: أحب أن تأكلوا وتعفوني من أكلها. فلم ندعه حتى أكل فلما غسلنا أيدينا انفرد يغسل يديه، ووقف غلام يعد عليه حتى قال: لقد غسلت يدك أربعين مرة. فقطع الغسل فقلنا: ما سبب هذا ؟ فامتنع فألححنا عليه فقال: مات أبى وسنى نحو العشرين سنة وخلف على حالا ضعيفة، وأوصاني قبل موته بقضاء ديونه، وملازمة السوق وأن أكون أول داخل إليها وآخر من يخرج منها فرأيت في ذلك منافع كثيرة وبينما أنا جالس ذات يوم، ولم يتكامل السوق إذ بامرأة راكبة حمارا على كفله منديل ديبقى، وخادم يمسك العنان فنزلت عندي فقمت إليها ولزمتها وسألتها عن حاجتها فطلبت شيئا من الثياب ذكرته، فسمعت منها أحسن نغمة، ورأيت وجها لم أر أحسن منه قط. فذهب على أمرى وهمت بها في الحال. فقلت: تصبري حتى يتكامل السوق وآخذ لك ما تريدين. فأجابت، وأخذت تحادثني، وأنا كدت أن أموت عشقا وخرج الناس فأخذت لها ما أرادت فجمعته وركبت، ولم تخاطبني في ثمنه

بحرف، وكان يبلغ الخمسة آلاف درهم فلما غابت عن عينى أفقت وأحسست بالفقر، وقلت: محتالة خدعتني بكشف وجهها ورأتنى حدثا ولم أكن سألتها عن منزلها، ولا طالبتها بالثمن لدهشتي بها فكتمت خبرى لئلا أفتضح وأتعجل المكروه، وعملت على اغلاق دكاني وأن أبيع كل ما فيه وأفى الناس حقوقهم وأجلس في بيتى مقتصرا على شئ يسير من عقار خلفه أبى فلما كان بعد أسبوع إذا بها قد باكرتنى ونزلت عندي. فحين رأيتها أنسيت ما كنت فيه، وقمت إليها اجلالا. فقالت: يا فتى قد تأخرنا عنك وما شككنا أن قد روعناك وظننت أننا احتلنا عليك ؟ فقلت قد رفع الله قدرك عن هذا. فاستدعت الميزان ووفتنى دنانير بقيمة ما قلت لها أنه ثمن المتاع، وأخذت تذكر متاعا آخر. فأجلسنها أحدثها وأتمتع بالنظر إليها إلى أن تكاملت السوق فقمت فدفعت إلى كل إنسان ممن كان له شئ ماله، وطلبت منهم ما أردت فأعطوني فجئت به معى فأخذته وانصرفت ولم تخاطبني في ثمنه، ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن عينى ندمت وقلت المحنة هذه لانها أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت متاعا ثمنه ألف دينار، والآن لم أقف لها على خبر فليس إلا الفقر وبيع المحكم لمتاع الدكان وما ورثته من أبى وتطاولت غيبتها عنى أكثر من شهر وأخذ التجار يشدون على المطالبة فعرضت عقارى على البيع وأشرفت على الهلاك، وأنا في ذلك وإذا بها قد نزلت عندي فحين رأيتها ورأتنى زال عنى الفكر، وأنسيت ما كنت فيه وأقبلت على تحادثني وقالت: هات الطيار. فوزنت لى بقيمة المال فأخذت أطاولها، ونشطت لكلامها فباسطتنى

فكنت فرحا وخجلا إلى أن قالت قل لك زوجة ؟ فقلت: لا والله يا ستى ما عرفت امرأة قط وبكيت. فقالت: مالك ؟ قلت: خيرا، وأخذت بيد خادمها، وأخرجت إليه دنانير كثيرة، وسألته التوسط بينى وبينها. فضحك وقال: انها والله أعشق منك لها وما بها حاجة إلى ما اشترته منك وإنما تجيئك لمطالبتك فخاطبها بما تريد فانها تقبله، وتستغني عنى فعدت وقلت لها إنى مضيت لانقد الدنانير. فضحكت وكانت قد رأتنى مع الخادم فقلت: يا ستى الله الله في دمى، وخاطبتها بما في نفسي فأعجبها ذلك، وقبلت الخطاب

أحسن قبول ثم قالت: الخادم يجيئك برسالتى بما تعمله، وقامت ولم تأخذ ثيابا فوفيت الناس أموالهم، وحصل لى ربح واسع واغتممت غما شديدا خوفا من انقطاعها عنى ولم أنم ليلتى قلقا وحزنا فلما كان بعد أيام جاءني الخادم فأكرمته وأعطيته دنانير وسألته عنها قال: هي والله عليلة شوقا اليك. قلت: فاشرح لى أمرها. قال: هذه صبية ربتها السيدة أم المقتدر، وهى من أخص جوارها واشتهت رؤية الناس، والدخول والخروج فتوصلت إلى أن صارت تخلف القهرمانة فتخرج لقضاء بعض الحوائج فترى الناس، وقد والله حدثت السيدة بحديثك، وسألتها أن تزوجها منك فقالت: لا أفعل حتى أراه فان كان يستحقك وإلا لم أدعك باختيارك، ويحتاج أن تحتال في دخولك الدار بحيلة ان تمت وصلت إلى حاجتك وإن انكشفت ذلك ضرب عنقك فما تقول ؟ قلت اصبر على هذا. فقال: إذا كان الليلة فأعبر المخزم وأدخل المسجد الذى بنته السيدة على شاطئ دجلة، وعلى الحائط الآخر مما يلى دجلة اسمها مكتوب بالاجر المقطوع (وهو المسجد الذى سد بابه الآن سبكتين الحاجب الكبير مولى معز الدولة المعروف بشاشنكير وأدخله إلى ميدان داره وجعله مصلى لغلمانه) فبت فيه تصل لمشتهاك. ففعلت فلما كان السحر إذا بطيار لطيف قد قدم، وخدم قد نقلوا صناديق فارغة وجعلوها في المسجد، وانصرفوا وبقى منهم واحد فتأملته فإذا هو الواسطة بينى وبينها ثم ظهرت الجارية فاستدعتني فقمت وعانقتها وقبلت يدها، وقبلتني قبلا كثيرة وتحدثنا ساعة ثم أجلستني في واحد من الصناديق كبير وأقفلته وأقبل الخدم يتراجعون بثياب وماء ورد وعطر، وأشياء قد أحضروها من مواضع ففرقت في باقى الصناديق، وأقفلت ثم حملت الصناديق في الطيار وانحدر فلحقني أمر عظيم من الندم وقلت قتلت بشهوة لعلها لا تتم ولو تمت ما ساوت قتل نفسي، وأقبلت أبكى وأدعو الله عزوجل وأتوب إليه وأنذر إلى أن حملت الصناديق بجهازها في دار الخليفة، وحصل صندوقى خادمان أحدهما الواسطة ومشت هي أمام الصندوق، والصناديق كلها خلف صندوقى. فلما اجتازت بطائفة من الخدم الموكلين بأبواب الحرم. قالوا: نريد نفتش الصناديق فكانت تصيح على

بعضهم وتشتم بعضهم، وتدراى بعضم إلى أن انتهينا إلى خادم ظننته رئيس القوم فخاطبته بفزع وخضوع وذلة، وحقق أن لابد من فتح الصناديق. فبدأ بصندوقي فأنزله فحين حسست بذلك ذهب عقلي وغاب على أمرى وبلت في الصندوق فزعا فجرى البول حتى خرج من خلاله. فقالت: يا أستاذ أهلكتني وأهلكت التجار ذهب على الامر كله، وهلك علينا ما في الصندوق من متاع وثياب وغيره قيمة الجميع عشرة آلاف دينار، لان فيه قارورة من ماء زمزم وقد انقلبت وجرت على الثياب، والآن تستحيل ألوانها. فقال لها: خذى صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ومرى فحمل الخادم صندوقى بعد أن اشتد

عليه وتلاحقت الصناديق فيما بعد وما راعني بعدها إلا حين سمعتها تقول: ويلاه الخليفة. فمت رعبا وجاءني ما لم أحتسبه. فقال لها الخليفة ويحك أي شئ في صناديقك ؟ قالت يا مولاى ثياب للسيدة. فقال: افتحي حتى أراها فقالت يا مولاى: الساعة أفتحها بين يديك وتراها. قال: مرى هو ذا سأجئ اليك. قالت للخدم: أسرعوا فأسرعوا، ودخلت حجرة وفتحت صندوقى وقالت: اصعد تلك الدرجة. ففعلت وأخذت مما في بعض تلك الصناديق، وجعلته في صندوقى، وجاء المقتدر ففتحت الصناديق بين يديه ثم أغلقت الحجرة، ومضت ومعها الصناديق بحيث تجلس ثم عادت إلى وطيبت نفسي وأحضرتنى طعاما وشرابا وما احتاج إليه وأقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتني فصعدت إلى وقالت السيدة تجئ الساعة لتراك فانظر كيف تكون فما كان بأسرع من أن جاءت السيدة فجلست على كرسى وفرقت جواريها، ولم يبق معها واحدة منهن ثم أنزلتني الجارية. فحين رأتنى السيدة قبلت الارض، وقمت ودعوت لها، فقالت، لجاريتها ما بئس ما أخذت هو كيس ونهضت فجاءتني صاحبتي بعد ساعة وقالت: ابشر فقد وعدتني والله ان تزوجني بك وما بين أيدينا الآن إلا عقبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى. فلما كان من غد حملتني في الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش أيسر وتركت في المسجد فرجعت وتصدقت ووفيت بنذري فلما كان بعد أيام جاءني الخادم برقعة بخطها الذى أعرفه وكيس فيه ثلاثة آلاف

دينار عينا وتقول في الرقعة أمرتنى السيدة بايصال هذا اليك من مالها وقالت اشتر ثيابا ومركوبا ومملوكا يسعى بين يديك، وأصلح به ظاهرك وتجمل بكل ما تقدر عليه وأحضر يوم الموكب إلى باب العامة وقف حتى تطلب فتدخل على الخليفة فتزوج بحضرته فأجبت على الرقعة وأخذت المال واشتريت منه ما قالوه بأحسن ما يكون، واحتفظت الباقي، وركبت دابتي يوم الموكب إلى باب العامة ووقفت إلى أن جاءني من استدعاني فأدخلت على المقتدر، وهو على السرير، والقضاة والهاشميون والجيش قيام فداخلني هيبة عظيمة وخطب بعض القضاة وزوجني فلما صرت في بعض الممرات عدل بى إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفرش الفاخر والآلات والخدم فأجلست وتركت وحدي وانصرف من أدخلني فلبثت يومى لا أدرى من أعرف إلا خدم يدخلون ويخرجون، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة تزف فلانة اسم زوجتني إلى فلان البزاز. فلما جاء الليل أثر الجوع بى، وأقفلت الابواب وآيست من الجارية فقمت أطوف في الدار فوقعت على المطبخ وإذا قوم طباخون جلوس فاستطعمتهم فلم يعرفونى فقدموا إلى داجيراجة فأكلتها ومسحت يدى باشنان كان في المطبخ وأنا مستعجل لئلا يفطن بى وظننت انى نقيت من ريحها، وعدت إلى مكاني فلما انتصف الليل إذا بطبول وزمور والابواب تفتح وصاحبتي قد أهديت إلى وجاؤا بها يحملونها وأنا أقدر أن ذلك في النوم ولا أصدق به، وقد كادت مرارتي تنشق سرورا ثم خلوت بها وانصرف الناس فحين تقدمت إليها وقبلتها رفستني فرمت بى عن المنضدة، وقالت: أنكرت أن تفلح يا عامى، وقامت لتخرج فتعلقت بها وقبلت الارض بين يديها وقلت: عرفيني ذنبى واعملى بعده ما شئت فوقفت وقالت: هات حديثك عن يومك كله فقصصت عليها القصة كلها فلما وقفت عليها قالت: قل على، وعلى، وحلفتني بأيمان غليظة لا أكلت داجيراجة إلا غسلت يدى أربعين مرة فاستحيت وتبسمت قلت فرجعت إلى المنضدة وصاحت يا جواري فجاءت عدة وصائف. فقالت: هاتن ما نأكل. فقدمت الينا مائدة حسنة وألوان فاخرة من موائد الخلفاء وألوانهم فأكلت وأكلت معها واستدعت

شرابا أنا وهى وغنى لنا أولئك الوصائف وقمنا إلى الفراش فدخلت معها وافتضضتها وبت بليلة من ليالى الجنة ولم نفترق أسبوعا ليلا ونهارا إلى أن انقضت وليمة الاسبوع وكانت عظيمة فاخرة. فلما كان من الغد قالت: إن دار الخلافة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا، وما تم لاحد أن يدخل فيها بعروس غيرك، وكل ذلك بعناية السيدة وقد أعطتني خمسين ألف دينار من عين، وورق وجوهر وقماش، ولى خارج القصر أموال وذخائر وكلها لك فاخرج وخذ معك مالا واشتر لنا دارا عظيمة حسنة واسعة الصحن فيها بستان كبير كثيرة الحجر، ولا تضيق على نفسك كما تضيق نفوس التجار فانى ما تعودت السكن إلا في الصحون الواسعة واحذر أن تبتاع شيئا ضيقا فلا أسكنه وإذا تم البيع فأصلحها ونظفها وعرفني لانقل اليك مالى وانتقل. فقلت: أفعل كما تأمرين. فسلمت لى عشرة آلاف دينار فأخذتها وخرجت وآتيت دارى فانهال الناس على واعترضت الدور حتى ابتعت ما وافق اختيارها، وكتبت إليها بالخبر، فنقلت إلى تلك النعمة بأسرها، وعندي ما لم أظن أنى أراه فضلا عن أن أملكه، وأقامت عندي كذا وكذا سنة أعيش معها بعيش الخلفاء، وأتجر في خلال ذلك لان نفسي لم تسمح بترك الصنعة وابطال المعيشة، فتزايد مالى وجاهى، وولدت لى هؤلاء الشبان، وأومى إلى أولاده، وماتت رحمها الله وبقى على مضرة الداجيراجة أنى لا آكلها إلا غسلت يدى أربعين مرة. وجدت في بعض الكتب أن عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها: أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت: قد طلقتني وباتت بليلة عظيمة فلما أصبح عدا على المنصور وأخبره الخبر وقال له: يا أمير المؤمنين ان تم على طلاقها تلفت نفسي عنها، وكان الموت أحب إلى من الحياة، وأظهر للمنصور جزعا شديدا. فأحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم ؟ فقال جميع من حضر: قد طلقت إلا رجلا واحدا من أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه فان سكت،

فقال له المنصور: مالك لا تتكلم ؟ فقال: " بسم الله الرحمن الرحيم، والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " فلا شئ يا أمير المؤمنين أحسن من الانسان فقال المنصور لعيسى بن موسى: قد فرج الله عزوجل عنك، والامر على ما قال هذا فأقم على زوجتك. وراسلها أن أطيعي زوجك فما طلقك. عن محمد بن يونس قال لما سلمت عمل دمشق إلى أبى المغيث الرافعى سألني ان اكتب له عليه ففعلت فلما تآنست أنا وهو حدثنى أول خبره في تقلده الناحية فقال لى كنت قصدت عيسى بن موسى وهو يتقلد حمص فصرفني وقلده ابن عم لى فانصرفت عنه إلى الرافقة وكان لابنة عم لى جارية نفيسة قد ربتها وعلمتها الغناء وكنت ادعوها فالفتها ووقعت في قلبى موقعا عظيما واشتد حبى لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها وناظرت مولاتها في ذلك فحلفت إنها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار فنظرت فإذا أنا افتقر ولا تفى حالى كلها بثمنها فقامت قيامتي واشتد وجدى، وانحدرت إلى سر من رأى أطلب تصرفا أو ما به شراها وكان محمد بن اسحق الطاهري وأبوه يوهبان لى فقصدت محمدا ومعى دواب وبقية من حالى فأقمت عليه مدة لم يسنح لى فيها تصرف فأبدت لى رقة الحال فانحدرت إلى بغداد اقصد اسحق بن إبراهيم الطاهري فوردت في زورق وفكرت في أمرى وعلى من انزل فلم اثق بغير محمد بن الفضل الحوحوائى لمودة كانت بينى وبينه فقصدته ونزلت عليه ووقع ذلك منه أجل موقع وفاتشنى عن أمرى وسألني عن

حالى فذكرت له قصتي مع الجارية فقال والله لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها وأمر خادمه فأحضر كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار وسلمت إلى وتأبيت عليه فحلف إيمانا مؤكدة ان اقبله وقال ان اتسعت لقضائه واحتجت إليه لم امتنع من أخذه منك فأخذت الكيس وشكرته وتشاغلنا بالشرب فلما كان من الغد أتى رسول اسحاق بن إبراهيم الطاهري يطلبني فصرت إليه فأحتفى بى واكرمني وقال ما ظننت إنك توافي بلدا احله فتنزل غير دارى فقلت والله ما وافيت إلا قاصدا إلى الامير ولكن

دوابى تأخرت فتوقعت ورودها لاصير إلى باب الامير عليها فدعا بكتب وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب من أمير المؤمنين المعتصم بولايتي دمشق وأرانى كتابا يعلمه فيه ما خبأ على بن اسحاق من قتل رجاء بن الضحاك بدمشق وان أمير المؤمنين رأى تقليدك وطلبت بسر من رأى فذكر له إنك انحدرت إلى اسحاق بن إبراهيم فأمر بتسليم كتبك إلى ودفع مائة ألف دينار لك معونة على خروجك واحضر المال ووكل بى من يستحثنى على البدار فورد على من السرور ما أدهشني وودعته وخرجت إلى محمد بن الفضل فعرفته ما جرى وودعته أيضا وأخرجت دنانيره فرددتها عليه فحلف بايمان غليظة عظيمة لا عادت إلى ملكه أبدا وقال ان جلست في عملك واتسعت لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا. فشحت ومررت بالرقة وابتعت الجارية وبلغت مناى بملكها واجتزت بحمص بابن عمى وأنا أجل منه عملا ودخلت عملي فصنع الله سبحانه ووسع * ووجدت في كتاب " السمير " للمداييني أن رجلا من بنى أسد علق امرأة من همدان بالكوفة وشاع امرهما فوضع قوم المرأة عليه عيونا حتى أخبروا أنه قد اتاها في منزلها فأتوا دارها واحتاطوا بها فلما رأت ذلك ولم تجد للرجل مهربا وكانت المرأة بادية فقالت له ما أرى لك موضعا أستر من أن أدخلك خلف ظهرى وتلزمني فأدخلته بينها وبين القميص ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى لم يتركوا موضعا إلا فتشوه فلما لم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم وأغلظت المرأة عليهم وعنفتهم فخرجوا وأنشأ الرجل يقول: حبك اشهانى وحبك قادني * لهمدان حتى امسكوا بالمحنق فجاشت إلى النفس أول مرة * فقلت ها ما تفرقي حين مفرقى رويدك حتى تنظري عم تنجلي * عماية هذا العارض المتعلق ذكر الهيثم بن عدى أن جماعة من عذرة حدثوه أن جميل بثينة حضر ذات ليلة عند خباء حتى إذا صادف منها خلوة تنكر ودنا منها وكانت الليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح فحذف بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت ولت

ما حذفني في هذه الليلة إلا الجن، ففطنت بثينة أن جميلا فعل ذلك فقالت لربتها الا فانصرفي يا أخية إلى منزلك حتى تنامى فانصرفت وبقت مع بثينة أم الحسين ويروى أم اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت إلى جميل فادخلته الخباء معها وتحدثوا جميعا ثم اضطجعوا وذهب بهم النوم حتى أصبحوا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها فرآها نائمة ونظر جميلا فمضى لوجهه حتى خبر سيده وكانت ليلى رأت الغلام والصبوح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها وقالت حذرى جميلا وبثينة فجاءت الجارية ونبهتهما فلما تبينت بثينة أن الصبح قد اضاء والناس قد انتشروا ارتاعت لذلك وقالت يا جميل نفسك قد جاء غلام بعلى بصبوح من اللبن فرآنا نائمين فقال: جميل وهو غير مكترث: لعمرك ما خوفتني من مخافة *

على ولا حذرتني موضع الحذر وأقسم ما يلقى لى اليوم عزة * وفى الكف منى صارم قاطع ذكر فأقسمت عليه أن يلقى نفسه تحت النضد وقالت إنما اسألك ذلك خوفا على نفسي من الفضيحة لا خوفا عليك ونامت واضجعت أم الحسين إلى جانبها فجاء زوجها إلى أخيها وأبيها فعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهى نائمة فكشفوا عنها الثوب فرأوا أم الحسين إلى جانبها نائمة فخجل زوجها وسب عبده وقالت: ليلى لابيها وأخيها قبحكما الله في كل يوم تفضحان المرأة في فنائكما ويلكما هذا لا يجوز، فقالا إنما فعل ذلك زوجها فقالت: قبحه الله وإياكما فجعلا يسبان زوجها وانصرفوا وأقام جميل تحت المنضد إلى الليل ثم ودعها وانصرف: عن أبى القاسم على بن أحمد الكاتب المعروف بابن كردويه قال: كان لى صديق من أهل واذان عظيم النعمة والضيعة فحدثني قال: تزوجت في شبابى امرأة من آل وهب ضخمة النعمة حسنة الخلقة والادب كثيرة المروءة ذات جوار مغنيات فعشقتها عشقا مبرحا وتمكن لها من قلبى أمر عظيم ومكث

عيشي بها طيبا مدة طويلة ثم جرى بينى وبينها بعض ما يجرى بين الناس فغضبت على وهجرتني واغلقت باب حجرتها من الدار دوني ومنعتني الدخول إليها وراسلتني بأن اطلقها فترضيتها بكل ما يمكننى فلم ترض ووسطت بيننا أهلها من النساء فلم ينجع فلحقني الكرب والغم والقلق والجزع حتى كاد يذهب بعقلي وهى مقيمة على حالها فجئت إلى باب حجرتها وجلست عنده مفترشا الترات ووضعت خدى على العتبة أبكى وانتحب واتلافاها واسألها الرضا وأقول كلما يجوز أن يقال في مثل هذا وهى لا تكلمني ولا تفتح الباب ولا تراسلني ثم جاء الليل فتوسدت العتبة إلى أن أصبحت وأقمت على ذلك ثلاثة أيام بلياليها وهى مقيمة على الهجران فآيست منها وعزلت نفسي ووبختها ورضيتها على الصبر وقمت من باب حجرتها عاملا على التشاغل عنها ومضيت إلى حمام في دارى فأمطت عن جسدي الوسخ الذى كان لحقه وجلست لاغير ثيابي وأتيخر فإذا بزوجتي قد خرجت إلى وجواريها المغنيات حواليها بآلاتهن يغنين ومع بعضهن طبق فيه أوساط وسنوسج وماء ورد وما أشبه ذلك فحين رأيتها استطرت فرحا وقمت إليها وأكببت على يديها ورجليها وقلت ما هذا يا ستى ؟ فقالت: تعال حتى نأكل ونشرب ودع السؤال وجلست وقدم الطبق فأكلنا جميعا ثم جئ بالشراب واندفع الجوارى بالغناء وأخذنا في الشراب وقد كاد عقلي يزول سرورا فلما توسطنا أمرنا قلت لها يا ستى: أنت هجرتيني بغير ذنب كبير أوجب ما بلغته من الهجران وترضيتك بكل ما في المقدرة فما رضيت ثم تفضلت أسداء بالرجوع إلى وصالي بما لم تبلغه أمالى فعرفيني ما سبب هذا ؟ قالت: كان الامر في سبب الهجر ضعيفا كما قلت ولكن تداخلنى في التجنى ما يتداخل المحبوب ثم استمر بى اللجاج وأرانى الشيطان الصواب فيما فعلته فأقمت على ما رأيته فلما كان الساعة أخذت دفترا كان بين يدى وتصفحته فوقعت عينى على قول الشاعر. الدهر أقصر مدة * من أن يضيع في الحساب فتغتنم ساعاته * فمرورها مر السحاب قالت: فعلمت أنها عظة لى وأن سيبلى ان لا أسخط الله عزوجل بإسخاط

زوجي ولا أستعمل اللجاج فأسوءك وأسوء نفسي فجئتك لا ترضاك وأرضيك فانكببت على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا. عن عبد الملك بن عمر قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفى فأرسل إلى

عشرة من أصحابه وإذا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسهرنا عنده ثم قال: ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت فقلت أصلح الله الامير: أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال: بل حديث الحق قلت: إن امرئ القيس بن حجر الكندى حلف أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية، وأربعة، واثنين وجعل يخطب النساء وإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر فبينما هو يسير في الليل إذا برجل يحمل بنتا له صغيرة كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال: يا جارية ما ثمانيه، وأربعة، واثنان ؟ قالت: أما الثمانية فأطباء الكلبة، وأما الاربعة فأخلاق الناقة، وأما الاثنان فثديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بناءها عن ثلاثة خصال فجعل لها ذلك على أن يسوق لها مائة من الابل وعشرة عبيد وعشرة وصائف وثلاث أفراس ففعل ثم أنه بعث عبدا له إلى المرأة وأهدى إليها نحيا من سمن، ونجيا من عسل، وحلة من عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بشجرة فانشقت وفتح النحيين واطعم أهل الماء منهما ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها فقالت: اعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخى يراعى الشمس، وإن سماكم قد انشقت، وان وعاكما قد نضبا فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال: ما أقوى قولها انها تعنى بقولها ان أباها ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا ان أباها ذهب يحالف قوما على قوم، وقولها ذهبت أمي تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء وأما قولها أخى يراعى الشمس فإن أخاها في سرح له يرعاه فينتظر وجوب الشمس ليروح به وأما قولها ان سماكم قد انشقت فإن البرد الذى بعثت به انشق ؟ وأما قولها ان وعاكما قد نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني قال يا مولاى إنى نزلت

بماء لبنى تميم. فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنى اعمك، ونشرت الحلة فلبستها فتعلقت بشجرة، وانشقت ثم فتحت النحيين، وأطعمت منهما أهل الماء فقال: أولى لك ثم ساق الابل، وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا فقام الغلام يستقى فأعانه امرئ القيس فرمى به الغلام في البئر وخرج حتى أتى المرأة بالابل وأخبر أباها أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت: والله ما أدرى أهو زوجي أو لا، ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها. ففعلوا فأكل ما أطعموه، فقالت: اسقوه لبنا خازرا وهو الحامض فسقوه فشرب. فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم. ففرشوا له فنام، فلما أصبح أرسلت إليه أنى أريد أن أسألك فقال: سلى ما شئت. فقالت: مم تختلج شفتاك ؟ فقال: لتقبيلي إياك. فقالت: مم يختلج كشحاك ؟ فقال: لالتزامى إياك. فقالت: مم يختلج فخذاك ؟ فقال: لتوركى إياك. قالت: عليكم بالعبد فشدوا أيديكم به ففعلوا. قال ومر قوم فاستخرجوا امرئ القيس من البئر فرجع إلى حيه واستاق من الابل، وأقبل إلى امرأته. فقالت: والله لا أدرى أهو زوجي أو لا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها. ففعلوا فلما أتوه بذلك. قال: أين الكبد والسنام والملحاء وأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبنا خازرا فأبى أن يشربه، وقال: أين الضريب والرايب. فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فأبى أن ينام وقال: افرشوا لى عند التلعة الحمراء واضربوا لى عليها خبا ثم أرسلت إليه هلم شرطى عليك في المسائل الثلاث قال: فأرسل إليها أن سلى عما شئت قالت: مم تختلج شفتاك ؟ قال: لشرب المشعشات. قالت: فمم يختلج كشحاك ؟ قال: للبسى الحبرات. قالت: فمم يختلج فخذاك ؟ قال: لركضي المطهمات. قالت: هذا زوجي فعليكم به واقتلوا العبد. فقتلوه، ودخل امرئ القيس بالجارية. قال ابن هبيرة: حسبكم فلا

خير في الحديث سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن تأتينا بأعجب منه فقمنا وانصرفنا وأمر لى بجائزة سنية.

وجدت في كتاب الاغانى الكبير لابي الفرج المعروف بالاصبهاني الذى أجاز لى روايته في جملة ما أجازه لى أخبار قيس بن دريج الكنانى قال في صدرها: أخبرني بخبر قيس بن دريج، ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطعة، وأخبار منثورة ومنظومة فألفت جميع ذلك ليتسق حديثه إلا ما جاء منفردا، وحسن إخراجه عن جملة النظم، فذكرته على حدة، فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال: حدثنا عمر بن شبة، ولم يتجاوزه إلى غيره، وابراهيم بن أيوب عن أبى شبة، والحسن بن على عن محمد بن موسى عن حماد البريدى عن أحمد بن يوسف عن جرير بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن أبى السرى عن هشام بن محمد الكلبى، وعلى روايته أكثر المعول ونسخت أيضا من أخباره المنظومة أشياء ذكرها عن رجاله، وخالد بن كلثوم عن نفسه، ومن روى عنه، وخالد بن حمل، ونتفا حكاها التوسعى صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد جميل، عن ابن أبى جناح الكعبي، وحكيت كل متفق فيه متصلا، وكل مختلف في معانيه منسوبا إلى قالوا جميعا: كان ينزل قيس برصة في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة فمر قيس لبعض حوائجه بخباء من بنى كعب من خزاعة، والحى جلوس فوقف على خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت به إليه، وكانت امرأة شديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام، فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء. فقالت له: أتنزل عندنا ؟ قال: نعم، فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فانصرف قيس وفى قلبه من لبنى حر لا يطفى فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وروى ثم أتاها يوما آخر وقد اشتد وجده بها فسلم، وظهرت له وردت عليه سلامه، وتحفت به فشكا إليها ما يجد بها، وما لقى من حبها. فشكت مثل ذلك فأطالت، وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه، فانصرف إلى أبيه فأعلمه حاله، وسأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بنى عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك وكان دريج كثير المال فأحب أن لا يخرج ابنه عن يده فانصرف قيس، وقد ساءه ما خاطبه به أبوه، فأتى أمه وشكا ذلك إليها، واستعان بها على أبيه

فلم يجد عندها ما يحب فأتى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وروى أبو الفرج قبل هذا في أخبار قيس باسناد مفرد لم أذكره ههنا خوف الاطالة أنه كان رضيع الحسين عليه السلام، وأتى إلى ابن عتيق، وكان صديقه فشكا اليهما ما به، وما رد عليه أبوه. فقال له الحسين عليه السلام: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبى لبنى، فلما بصر به أعظمه ووثب إليه وقال: يا ابن رسول الله ما جاء بك الا بعثت إلى فأتيك فقال: إن الذى جئت له يوجب قصدك، وقد جئتك خاطبا لبنى لقيس بن دريج. فقال: يا ابن رسول الله الا بعثت إلى وما كنا لنعصى لك أمرا، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب أمرين إليها أن يخطبها أبوه دريج، وأن يكون ذلك عن أمره، فإنا نخاف إن سمع أبوه بعد هذا يكون عارا وسبة علينا. فأتى الحسين رضى الله عنه دريجا، وقومه مجتمعون عليه فقاموا إليه اعظاما وقالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال يا دريج: أقسمت عليك الا خطبت لبنى لابنك قيس. قال: السمع والطاعة لامرك. فخرج معه في وجوه قومه حتى أتى حى لبنى فخطبها دريج على ابنه لابيها فزوجه إياها،

وزفت إليه. فأقام معها مدة لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئا، وكان أبر الناس بأمه فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت أمه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برى، ولم تر للكلام موضعا، حتى مرض قيس مرضا شديدا. فلما برأ قالت أمه لابيه: لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفا، وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا، وألحت عيله في ذلك. فأمهلها حتى اجتمع قومه ثم قال يا قيس: إنك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ولا لى سواك، وهذه المرأة ليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله تعالى أن يهب لك ولدا تقربه أعيننا وعينك. فقال قيس: لست متزوجا غيرها أبدا. فقال أبوه ان في مالى سعة فتسرى بالاماء. فقال. ولا اسؤها بشئ أبدا. فقال أبوه: إنى أقسم عليك إلا طلقتها. فأبى وقال: الموت والله أسهل على من

ذلك، ولكن أخيرك خصلة من خصال. قال: وما هي ؟ قال: تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك بولد غيرى، قال: ما بى فضل لذلك. قال: فدعني أرحل عنك بأهلى قال: ما كنت لاصنع. قال: فدع لبنى عندك وارتحل أنا عنك لعلى أسلوها فأتي ما تحب بعد أن تكون نفسي طيبة بأنها في حبالى. قال: لا أرضى أو تطلقها. ثم حلف أنه لا يكنه سقف بيت أبدا حتى تطلق لبنى، وكان يخرج فيقعد في حر الشمس، ويجئ قيس فيقف إلى جانبه، ويظله بردائه، ويصلى وهو بحر الشمس حتى يفئ الفئ وينصرف إلى لبنى فيعانقها ويبكى وتبكى معه وتقول يا قيس: لا تطع أباك تهلك وتهلكني معك. فيقول: ما كنت لاطيع أحدا فيك أبدا. فيقال: انه مكث على ذلك سنة. وقال خالد ابن كلثوم ذكر ابن عائشة: أنه أقام كذلك أربعين يوما ثم طلقها. وحكى ليث بن عمرو أنه سمع قيس بن دريج يقول ليزيد بن سليمان: هجرني أبواي في لبنى عشر سنين استأذن عليهما فيردانني حتى أطلقها. قال ابن جريج: فأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقى دريجا أبا قيس فقال له: ما حملك ان فرقت بينهما أو ما علمت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما أبالى فرقت بينهما أو مشيت إليهما. بالسيف وروى هذا الخبر من طريق آخر ان الحسين ابن على رضى الله عنهما قال لدريج أبى قيس أحل لك ان فرقت بين قيس ولبنى اما انى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: ما أبالى أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لبنى منه بطلاقه إياها وفزع من الكلام لم يصمت حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وجعل يبكى ويتشنج أحر تسنج وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحملها وقيل بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل إليها فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل يحمل أثاثها فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها وقال ويحك ما دهانى فيكم ؟ قالت لا تسئلنى وسل لبنى فذهب ليلم بخبائها فمنعه قومها وأقبلت إليه امرأة من قومه فقالت: مالك تسئل ويحك كأنك جاهل أو متجاهل هذه لبنى ترحل الليلة أو غدا فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول: وانى لمفن دمع عينى بالبكا * حذار الذى قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد غد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكفى إلا أن من خان خائن قال أبو الفرج من هذه الابيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون يعنى قيس بن الملوح مجنون بنى عامر ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا

عدة قطع من شعر قيس بن دريج. ثم قالوا فلما أرتحل بها قومها اتبعها مليا ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها فوقف ينظر إليها ويبكى حتى غابوا عن عينه فكر راجعا ونظر إلى خف بعيرها فاكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدميها فليم على ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال: وما أحببت أرضكم ولكن * أقبل أثر من وطئ الترابا لقد لاقيت من كلفي بلبنى * بلاء ما أسيغ له شرابا ثم ذكر أبو الفرج قطعة من شعر قيس وأخبارا من أخباره في لبنى مشهورة بأسانيد مفردة عن الاسناد الذى رأيته عنه هاهنا ثم رجع إلى موضع من الحديث الذى جمع فيه أسانيده وأتى بسباقة تطول عن أن أذكرها في كتابي هذا جملتها عظيم ما لحق قيسا من التململ والسهو والكمد والاسف والبكاء العظيم والجزع المفرط والصاق خده بالارض على أثارها وخروجه في أثرها يشم روائحها وعتابة نفسه في طاعة أبيه على طلاقها وعلة اعتلها أشرف منها على الموت وجمع أبيه له فتيات الحى يعللنه ويحدثنه طمعا في أن يسلوا عن لبنى ويعلق واحدة منهن فيزوجها منه وقصة له مع طبيب حضره وقطع شعره كثيرة له في خلال ذلك وذكر في جملة أخبار كثيرة بأسانيد متفرقة وبالاسناد الذى ذكره أن ابا لبنى شكا قيسا إلى معاوية بن أبى سفيان وذكر تعرضه لها بعد الطلاق فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها فكتب مروان بذلك إلى صاحب الماء وأن أباها زوجها فبلغ ذلك قيسا فاشتد جزعه وجعل يتشنج أحر تشنج ويبكى أشد بكاء وأتى محلة قومها فنزل. عن راحلته وجعل يبكى في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكى أحر بكاء ثم قال قصيدة أتى بها أبو الفرج وبأخبارها أولها. إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * إلى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها أخبارا له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة ووجدها به وبكاها وإنكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلة أخرى لحقت قيسا واشهارها وافتضاحها وما لحق قيسا ولبنى من الخبل واختلال العقل وقطع شعر كثيرة أخر لقيس في خلال ذلك وأن قيسا مضى إلى يزيد ابن معاوية فمدحه وشكى إليه ما به فرق عليه وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به في هدر دمه وقطع شعر كثيرة لقيس في خلال ذلك وأخبار مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من أمر قيس ولبنى وذكر كلاما كثيرا في ذلك والجمع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك كله وذكر الفخذمى وابن عائشة وخالد ابن حمل ان أبى عتيق صار إلى الحسن والحسين عليهما السلام و عبد الله ابن جعفر رحمهما الله وجماعة من قريش فقال لهم: ان لى حاجة أخشى ان تردوني فيها وانى أستعين بجاهكم وأموالكم عليها قالوا ذلك مبذول لك منا فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فمضى بهم إلى زوج لبنى فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره فقالوا قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبى عتيق فقال مقضية كائنة ما كانت قال ابن أبى عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل أو مال قال نعم قال فتهب لى اليوم لبنى زوجتك وتطلقها قال فإنى أشهدكم أنها طالق ثلاثا فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها قال ابن عائشة فعوضه الحسن عليه السلام في ذلك بمائة ألف درهم وحملها ابن أبى عتيق إليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدتها فأتى القوم أباها فزوجها قيسا ولم تزل معه إلى أن ماتا فقال قيس بن دريج يمدح ابن أبى عتيق. جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق فقد جربت إخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق سعى في جمع شملى بعد صدع * ورأى حرت فيه عن طريق واطفا لوعة كانت بقلبي * أغصتني حرارتها بريق

قال فقال له ابن أبى عتيق يا حبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه أحد إلا ظنني قوادا. أخبرني أبو الفرج المعروف بألاصبهانى قال: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عبد الله بن سعد قال: حدثنى عبد الله بن نصر المروزى قال: حدثنا محمد بن عبد الله الطلحى، قال حدثنى سليمان بن يحيى بن معاذ قال: قدم على بنيسابور إبراهيم بن سبابة يعنى الشاعر البصري الذى كان جده حجاما فاعتقه بعض بنى هاشم فصار مولى لهم فأنزلته على فجاءني ليلة من الليالى وهو مكروب وقد هام فجعل يصيح بى يا أبا أيوب ؟ ! فخشيت أن يكون قد غشيته بلية فقلت له ما تشاء فقال (أعيانى الشاذن الربيب) فقلت له ماذا تقول فقال (أشكو إليه فلا يجيب) فقلت داره وداوه فقال: من أين أبغى شفاء ما بى * وإنما دائي الطبيب فقلت فلا إذا الا أن يفرج الله تعالى فقال (يا رب فرج اذن وعجل) فإنك السامع المجيب) * ثم انصرف. أخبرني أبو الفرج المعروف بالاصبهاني قال حدثنى محمد بن مزيد أبى الازهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثنى أبى قال سرت إلى سر من رأى بعد قومي من الحج فدخلت إلى الواثق فقال بأى شئ اطرفتني من الاحاديث التى استفدتها من العرب في اشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جلس إلى فتى من الاعراب في بعض المنازل يحدثنى فرأيت منه أحلى من رأيت من الفتيان منظرا وحديثا وظرفا وأدبا فاستنشدته فأنشدني. سقى العلم الفرد الذى في ظلاله * غزالان مكتنفان مؤتلفان إذا أمنا التفا بجيدي مواصل * وطرفاهما للريب مسترقان أردتهما ختلا فلم استطعهما * ورميا ففاتانى وقد قتلان ثم تنفس تنفسا ظننت أنه قد قطع حياذيمه فقلت ما لك بأبى أنت وأمى ؟ ! فقال لى ورأ هذا الجبلين شجى لى وقد حال قومه بينى وبين المرور بهذه البلاد

وهدروا دمى فأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللا به إذا قدم الحاج ثم يحال بينى وبين ذلك فقلت له زدنى مما قلت فأنشدني. إذا ما وردت الماء في بعض أهله * حضور فعرض بى كأنك مادح فإن سألت عنى حضورا فقل لها * به غير من دائه وهو صالح فأمرني الواثق فكتبت الشعرين فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحنا فاسمعه فإن ارتضيته أظهرناه وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته فغنى لنا فيه من وراء الستارة فكان في نهاية الجودة وكذا كان يفعل إذا صنع شيئا فقلت له أحسن الله صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء فقال بحياتي فقلت وحياتك وحلفت له بما وثق به فأمر لى برطل فشربته ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات فلما كان بعد أيام دعاني وقال لى قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر الآخر لحنا وأمر فغنى به وكانت حالى به كالحالة الاولى في الشعر الاول لما استحسنته وحلفت له على جودته وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لى بثلاثة ألف درهم ثم قال قد قضيت حق هديتك قلت نعم يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك وأتم نعمته عليك ولا أفقدنيها منك ربك فقال: ولكنك لم تقض حق جليسك الاعرابي ولا سألتنى معونة على أمره وقد سبقت منه مسئلتك ثم قال: ولكني كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره وخطبة المرأة له وحمل صداقها إلى قومها من مالى ففعل فقبلت يده وقلت السبق إلى المكارم لك وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس قال أبو الفرج: وصنعة الواثق في الشعرين جميعا من الرمل. وجدت في بعض كتبي قال أبو عبيد الله محمد بن على بن حمزة: كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه فعشقتها فعلمت زوجتى بذلك فحجبتها عنى واشتد ما بى

من الوجد عليها وتنغصت على حياتي وقاسيت شدة شديدة فبينما أنا ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتى إلى جانبى إذ رأيت في النوم كان الجارية حيالي وأنا أبكى وقد لاح إنسان أنشدني: وقفت حبالك أذرى الدموع * وأخلط بالدمع منى دما

---

[٤٢٥]

وأشكو الذى بى إلى عاذلي * ولا خير في الحب أن يكتما رضيت بما ليس فيه رضا * بتسليم طرفك ان سلما فتهت على واقضيتني * واعزر على بأن أرغما قال فانتبهت جزعا ودعوت بدواة وبياض وجلست في فراشي فكتبت الشعر فقالت زوجتى مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت هذا كله من حب فلانة قد وهبتها لك. أخبرني أبو الفرج القرشى المعروف بالاصبهاني قال: نسخت من كتاب محمد بن موسى بن حماد ذكر الرياشى قال حماد الراوية أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبى ربيعة المخزومى فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن أبى ربيعة: كان لى صديق من بنى عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان أحد بنى سلامان وكان يلقى من الصبابة بالنساء على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في كل سنة إذا جاء وقته وترجمت عنه الاخبار وتوكفت له الاسفار فغمنى ذات سنة أبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فأتيت القوم أنشد صاحبي وإذا غلام قد تنفس الصعدا ثم قال عن أبى المسهر تسأل ؟ قلت: نعم عنه اسأل وإياه أردت. قال: هيهات هيهات أصبح أبو المسهر لا ما يوس منه فيهمل ولا مرجو فيعلل والله كما يقول الشاعر: لعمري ما حبى لاسماء تاركى * أعيش ولا أقضى به فأموت فقلت وما الذى به ؟ قال: مثل الذى بك من الهيمان في نهوككما في الضلال وجركما أذيال الخسار كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار قلت ومن أنت منه يا ابن أخى قال أخوه قلت فما يمنعك أن تسلك أخيك من الادب وان تركب منه مركبه وأخوك كالبرد والبحار لا ترفعه ولا يرفعك ثم صرفت وجه ناقتي وأنا أقول: أرائحه حجاج عذرة وجهه * ولما يرح في القوم جعد بن مهجع خليلان نشكو ما نلاقى من الهوى * متى أقل يسمع وان قال أسمع ألا ليت شعرى أي شئ أصابه * بلى زفرات هجن من بين أضلع

---

[٤٢٦]

فلا يبعدنك الله خلا فإننى * سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي ثم انطلقت حتى وقفت موقفي من عرفات فبينما أنا كذلك إذا بإنسان قد تغير لونه، وساءت هيأته فأدنى ناقته من ناقتي ثم خالف بين أعناقهما وعانقني وبكا حتى اشتد بكاؤه فقلت ما وراءك فقال نوح العذل وطول المطل ثم أنشأ يقول: لئن كانت غدية دات لب * لقد علمت بأن الحب داء ولا تنظر إلى تغيير جسمي * وإنى لا يفارقنى البكاء فإنى لو تكلفني كلاما * لعف الكلم وانكشف الغطاء وان معاشرى ورجال قومي * حتوفهم الصبابة واللقاء إذا العذارى مات حليف قوم * فذاك العبد تبكيه الرشاء فقلت يا أبا المسهر انها ساعة يضرب إليها أكباد الابل من شرق الارض وغربها فلو دعوت كنت تتمنى أن تظفر بحاجتك قال فتركني وأقبل على الدعاء فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا منه سمعته يتكلم بشئ فأصغيت إليه فإذا هو يقول يا رب كل غدوة وروحة * من محرم يشكو الضنا ولوحة أنت حسيب الخطب يوم الدوحة فقال وما يوم الدوحة فقا: والله لاخبرنك ولو لم تسألني وتيممنا نحو مزدلفة فأقبل على وقال انى رجل ذو مال من نعم وشأ وذو المال لا يعذره القل ولا يرويه الثمار وانى خشيت عام الاول على مالى التلف ونصر الغيث أرض كلب فانتجعت اخوالي منهم فأوسعوا لى عن صدر المجلس

وسقونى حمة الماء وكنت معهم في خير أحوال، ثم انى عزمت على مرافقة إبلى بماء لهم يقال له الحردان فركبت فرسى وسمطت خلفي شرابا كان أهداه إلى بعضهم ثم مضيت حتى إذا كنت بين الحى ومرعى الغنم رفعت لى دوحة عظيمة فنزلت عن فرسى وشددته بغصن من أغصانها وجلست في ظلها فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحى ثم رفعت لى شخوص ثلاثة ثم تبينت فإذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فتأملته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خز

سوداء وإذا فروع شعره تضرب خصريه فقلت غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جاز على إلا يسيرا حتى طعن المسحل وثنى طعنة للاتان فصرعهما وأقبل راجعا نحوى وهو يقول: نطعنهم سلكى ومخلوجة * كرك لامين على نابل (١) فقلت إنك قد تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس فجعل يحدثنى حديثا ذكرت به قول أبى ذؤيب. وإن حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل في البان عوذ مطافل فقمت إلى فرسى أصلحت من أمره ثم حسر العمامة عن رأسه فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش. فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك فقال لى مم ذاك قلت مما راعني من جمالك وبهرنى من نورك قال وما الذى يروعك من حبيس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدرى بعد ذلك أينعم أم ييأس قلت لا يصنع الله بك إلا خيرا ثم تحدثنا ساعة فأقبل على فقال: ما هذا الذى أرى قد سمطت في سرجك فقلت شراب أهداه لى بعض أهلك فهل لك فيه من أرب قال أنت وذاك فأتيته به فشرب منه وجعل والله ينكث بالسوط أحيانا على ثناياه فجعل والله يتبين لى أثر السوط فيهن فقلت مهلا فإنى خائف أن تكسرهن قال ولم قلت لانهن رقاق عذاب فرفع عقيرته يتغنى وأنشد: إذا قبل الانسان آخر يشتهى * ثناياه لم يأثم وكان له أجرا فإن زاد زاد في حسناته * مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا قال ثم قام إلى فرسه فأصلح أمره ثم رجع قال فبرقت لى بارقة من تحت الدرع فإذا الذى كأنه حق عاج. فقلت نشدتك الله: امرأه أنت ؟ قالت نعم والله (٢) إلا أنها تكره الغارة وتحب الغزل ثم أجلستها فجعلت تشرب معى

(١) الزيادة عن الاغانى. (٢) الذى في الاغانى إلا أنى أكره العشير وأحب الغزل (ولعل الصواب العزلة) ثم جلست.

ما أفقد من أنسها شيئا حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهاة مذعورة فو الله ما راعني إلا ميلها على الدوحة سكرى فزين لى والله الغدر وحسن في عينى ثم إن الله عزوجل عصمني منه فجلست حجرة منهما فما لبثت إلا يسيرا حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها برأسها وجالت في متن فرسها وقالت جزاك الله عن الصحبة خيرا. قلت ألا تزودينى منك زاد فناولتني يدها فقبلتها فشممت منها والله رائحة الشباب (١) المطلول وذكرت قول الشاعر: كأنها إذ تقضى النوم وانتبهت * سحابة مالها عين ولا أثر فقلت لها وأين الموعد قالت إن لى إخوة شوسا وأبا غيورا ووالله لان أسرك أحب إلى من أن أضرك وانصرفت فجعلت أتبعها بصرى حتى غابت فهى والله يا ابن

أبى ربيعة أحلتني هذا المحل وأبلغتني هذا الموضع فقلت له يا أبا المسهر إن الغدر بك مع ما تذكر لمليح فبكى واشتد بكاؤه فقلت لا تبك فما قلت لك ما قلت إلا مازحا ولو لم أبلغ حاجتك بمالى لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه فقال لى خيرا فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامي فشد على بعير له وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لابي ربيعة المخزومى وحملت معى ألف دينار ومطرف خز وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب فنشدنا عن أبى الجارية فوجدناه في نادى قومه وإذا هو سيد الحى وإذا الناس حوله فوقفت على القوم وسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال من الرجل ؟ قلت: عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى قال: المعروف غير المنكر فما الذى جاء بك قلت خاطبا قال الكف، والرغبة قلت إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ولكني أتيت في حاجة ابن أخيكم (٢) هذا العذري وها هو ذاك فقال والله أنه لكفء الحسب رفيع البيت غير أن بناتى لم يتفقن (٣) إلا في هذا الحى من قريش

---

(١) الذى في الاغانى المسك المفتوت. (٢) الذى في الاغانى أختكم. (٣) الذى في الاغانى يقعن ولعل الصواب يقمن.

فوجمت لذلك وعرف التغير في وجهى فقال أما اني صانع بك ما لم أصنع بغيرك قلت مثلى من شكر فما ذلك قال أخيرها فهى وما اخترت قلت ما انصفتني إذ تختار لغيري وتولى الخيار غيرك فأشار إلى العذري أن دعه يخيرها فأرسل إليها أن من الامر كذا وكذا فأرسلت إليه ما كنت لاستبد برأى دون القرشى فالخيار في قوله وحكمه فقال لى إنها قد وكلتك فاقض ما أنت قاض فحمدت الله تعالى وأثنيت عليه بما هو أهله وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وقلت اشهدوا أنى قد زوجتها من الجعد ابن مهجع وأصدقتها هذه الالف دينار وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسألته أن يبنى (١) عليها من ليلته فأرسل إلى أمها فأبت وقالت أتخرج ابنتى كما تخرج الامة. فقال الشيخ: فعجلى في جهازها فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحريم وأهديت إليه ليلا وبت أنا عند الشيخ فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج إلى وقد أثر السرور فيه فقلت كيف كنت بعدى وكيف هي بعدك فقال لى أبدت لى والله كثيرا مما كانت تخفيه عنى يوم لقيتها فسألتها عن ذلك فأنشات تقول هذه الابيات. كتمت الهوى لما رأيتك جازعا * وقلت فتى بعض الصديق يريد وإن تطرحني أو تقول فتية * يضر بها برح الهوى فيعود فواريت (٢) ما ألقى وفي داخل الحشا * من الوجد جرح فاعلمن شديد (٣) فقلت أقم على أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول. كفيت أخى العذري ما كان نابه * وانى لاعباد النوائب حمال أما استحسنت منى المكارم والعلا * إذا طرحت إنى لما لى بذال (٤) فقال العذري:

---

(١) الذى في الاغانى بها عليه في ليلته. (٢) رواية الاغانى فوريت عما بى (٣) رواية الاغانى برح (٤) الزيادة عن الاغانى

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه * فأف لدنيا ليس من أهلها عمر
فلاحى فتيان الحجازين بعده * ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر
أخبرني أبو الفرج الاصبهاني إجازة قال: أخبرني عمى الحسن بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعى قال حدثنى معبد الصغير المغنى مولى على بن يقطين قال: كنت منقطعا إلى البرامكة فبينما أنا ذات يوم في منزلي إذا بابى يدق فخرج غلامي ثم رجع إلى فقال على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك فأذنت له فدخل على شاب فما رأيت أحسن وجها ولا أنظف ثوبا ولا أجمل زيا منه من رجل دنف (١) عليه اثر السقم ظاهر فقال لى إنى أحاول لقاك مذ مدة فلا أجد إليه سبيلا وإن لى حاجة. قلت: ما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار ووضعها بين يدى ثم قال أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تغنيني به فقلت له هاتهما فأنشدني. بالله يا طرفي الجاني على بدنى * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن أولا أبوحن حتى يحجبوا سكنى * فلا أراه ولو أدرجت في كفني قال فصنعت له فيهما لحنا من الثقيل الاول مطلقا في مجرى الوسطى ثم غنيته إياه فأغمى عليه حتى ظننته قد مات ثم أفاق فقال: أعد فديتك: فناشدته الله في نفسه وقلت أخشى أن تموت فقال هيهات أنا أشقى من ذلك وما زال يخضع لى ويتضرع حتى أعدته عليه فصعق صعقة أشد من الاولى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت فلما أفاق رددب الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنى فقد قضيت حاجتك وبلغت وطرا مما أردته ولست أحب أن أشرك في دمك فقال لا حاجة لى في الدنانير وهذه مثلها ثم أخرج ثلثمائة دينار أخرى وقال اعد على الصوت مرة أخرى وخذها فقلت لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط قال وما هن قلت أولها أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي والثانية أن تشرب أقداحا من النبيذ تشد قلبك ويسكن ما بك. والثالثة تحدثني بقضيتك. فقال: أفعل ما تريد فأخذت

(١) الزيادة عن الاغانى

الدنانير ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة معذر ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحا، وغنيته بشعر غيره في معناه، وهو يشرب ويبكى. ثم قال: أعزك الله أعد على صوتي. فغنيته صوته، فجعل يبكى أحر بكاء وينشج أشد نشيج وينتحب فلما رأيته (١) قد خف عما كان يلحقه، والنبيذ قد شد من قلبه كررت عليه صوته مرارا ثم قلت له: حدثنى حديثك. فقال: أنا رجل من المدينة خرجت متنزها في ظاهرها - وقد سال العقيق - في فئة من أقاربي (٢) فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى، تنظر بعين ما ارتد طرفها إلا بنفس ملاحظها فأطلن وأطلنا حتى تفرق الناس وانصرفن وانصرفنا، وقد أبقت بقلبي جرا بطيئا اندماله فعدت إلى منزلي وأنا وقيذ وخرجت من الغد إلى العقيق وليس فيها أحد فلم أر لها ولا لصواحباتها أثرا ثم جعلت أتتبعها في طرق المدينة وأسواقها فكأن الارض قد ابتلعتها فلم أحس لها بعين ولا أثر وسقمت فقمت حتى أيس منى أهلى، ودخلت بيت ظئر لي فسألتني عن حالى وضمنت لى حالها، والسعى فيما أحبه منها فأخبرتها بقصتي فقالت: لا بأس عليك هذه أيام الربيع، وهى سنة خصب وأنواء، وليس يبعد عنك المطر فيمد (٣) العقيق والنسوة سيجئن فإذا رأيتها اتبعها حتى أعرف خبرها وموضعها، وأسعى لك في تزويجها فكأن نفسي اطمأنت وتراجعت وجاء المطر فسال العقيق فخرجت مع إخوانى إليها فما جلسنا مجلسنا الاول كما كنا إلا والنسوة أتين كفرسي رهان فأومأت إلى ظئرى جلست حجرة

قريبة منا ومنهن، فأقبلت على إخوانى فقلت لهم أحسن القائل:
رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت * وقد غادرت جرحا بها (٤) وندوبا

---

(١) في الاغانى رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه ورأيت النبيذ. (٢) في الاغانى من أقراني وأخذني فبصرنا بقينات. (٣) في الاغانى وهذا العقيق ثم فيه اختلاف في العبارة فيما سيأتي أيضا. (٤) رواية الاغانى به.

فأقبلت هي على صواحبها فقالت: أحسن والله القائل، وأحسن من أجابه حيث يقول: بنا مثل ما تشكوا فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفى السقام قريبا فأمسكت عن الجواب خوفا من أن يظهر منى ما يفضحنى وإياها، وعرفت ما أرادت ثم تفرق التاس وانصرفنا، وتبعتها ظئرى حتى عرفت منزلها، وصارت إلى فأخذت بيدى ومضينا إليها فم تزل تتلطف حتى وصلنا إليها فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة، وشاع حديثى وحديثها، حتى ظهر ما بينى وبينها فحجبها أهلها، وتشدد عليها أبوها. فلم أقدر عليها فشكوت إلى أبى ما نالنى وشدة ما ألقى وسألته خطبتها لى فمضى أبي ومشيخة أهلى إلى أبيها وخطبوها، فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يشهرها لاسعفته بحاجته وبما التمس، ولكنه قد فضحها فلم أكن لاحقق قول الناس بتزويجها إياه. فانصرفنا على يأس منها ومن نفسي، قال معبد: فسألته أين تنزل ؟ فخبرني. فصارت بيننا عشرة، ثم جلس جعفر بن يحيى يوما للشرب فأتيته فكان أول بيت غنيته به شعر الفتى وصوتي الذى صنعته فيه فطرب منه طربا شديدا وقال: ويحك لمن هذا ؟ فقلت: إن للصوت حديثا. فقال: ما هو ؟ فحدثته فأمر بإحضار الفتى فأحضر من وقته، واستعاده الحديث فأعاده عليه فقال: هي في ذمتي حتى أزوجكها. فطابت نفسي ونفس الفتى فأقمنا ليلتنا حتى أصبح، وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وأمر بإحضارنا جميعا وأمر بأن أغنيه الصوت فغنيته فشرب عليه وسمع حديث الفتى وأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز باشخاص الرجل وابنته وسائر أهله إلى حضرته فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى حضروا فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصله وخطب إليه الجارية للفتى فأجابه وزوجه إياها، وحمل الرشيد إليه ألف دينار لمهرها وألف دينار لجهازها وألف دينار لنفقة الطريق وأمر للفتى بألفى (١) دينار وكان المدنى بعد ذلك في جملة ندماء جعفر.

---

(١) في الاغانى بألف. (*)

أخبرنا أبو الحسين محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك في رسالة في فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات العرب وردة: شرحبيل التنوخى، وعابد الطائى، وهى التى كان داود التيمى عاشقا لها فاستقبل النعمان بن المنذر في يوم بؤسه - وقد خرج يريدها وهو لا يعلم بيوم النعمان - فقال: ما حملك على استقبالي في يوم بؤسى ؟ قال: شدة الوجد، وقلة الصبر. فقال ألست القائل ؟: وددت وكانت الحسنات أنى * أقارع نجم وردة بالقداح على قتلى بأبيض مشرفى * وكوني ليلة حتى الصباح فان تكن القداح على تلقى * ذبحت على القداح بلا جناح وإن كانت على بيمن خدى * لهوت بكاعب خود رزاح قال: بلى. قال: فإنى مخيرك

إحدى اثنتين فاخبر لنفسك. قال ما هما ؟ أبيت اللعن. قال: أخلى سبيلك أو أمتعك سبعة أيام ثم أقتلك. قال: بم تمتعني ؟ قال: بوردة. قال: قبلت الثاني فساق النعمان مهرها إلى عمها وجمع بينهما. فلما انقضت الايام أقبل على النعمان وهو يقول: إليك ابن ماء المزن أقبلت بعدما * مضت لى سبع من دخولي على أهلى مجئ مقر لاصطناعك شاكر * مننت عليه بالكريم من الفعل لتقضى فيه ما أردت قضاءه * من العفو أهل العفو أو عاجل القتل فان يك عفوا كنت أفضل منعم * وإن تكن الاخرى فمن حكم عدل فأحسن جائزته وخلى سبيله وأنشد النعمان يقول: إذ حوى من كان يهوى * ونجى من كل بؤس وكذاك الطير يجرى * بسعود ونحوس قال مؤلف الكتاب: ووجدت كتابا لاحمد بن أبى طاهر سماه كتاب: " فضائل الورد على النرجس " أكثر قدرا وأغزر فائدة من رسالة ابن لنكك فوجدته وقد ذكر فيه الخبر. قال: وممن سمى بنته وردة شرحبيل بن مسعود

الشرجى، وهو صاحب العين على مسيرة يوم وليلة من مسيرة يوم وليلة من مسح. وبها التقى سليمان بن مبرد أمير الجيش الذى يقال لهم البوابون للطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما وخيل عبيد الله بن زياد. وسمى عائد الطائى بنته وردة وهى التى كان داود بن موسى التميمي ثم السعدى عاشقا لها، وساق الخبر كما ذكره ابن لنكك والله تعالى أعلم.

الباب الرابع عشر ما اختير من ملح الاشعار في أكثر معاني ما تقدم من الامثال والاخبار قال لقيظ بن زرارة التميمي. قد عشت في الناس أطوار على طرق * شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا كلا لبست فلا النعماء تبطرني * ولا تجزعت من لاوائها جزعا لا يملا الامر صدري قبل موقعه * ولا أضيق به ذرعا إذا وقعا ما سد مطلع ضاقت ثنيته * إلا وجدت وراء الضيق متسعا وقال أبو ذويب الهذلى: فانى صبرت النفس بعد ابن عنبس * وقد لج من ماء الشؤن لجوج لاحسب (٢) جلدا أو ليخبر شامت * وللشر بعد القارعات فروج ويروى لامير المؤمنين على رضى الله عنه: إنى أقول لنفسي وهى ضيقة * وقد أناخ عليها الدهر بالعجب صبرا على شدة الايام إن لها * عقبى وما الصبر إلا عند ذى الحسب وروى لعثمان بن عفان رضى الله عنه: خليلي لا والله ما من ملمة * تدوم على حى وإن هي جلت وإن نزلت يوما فلا تخضعن لها * ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت فكم من كريم قد بلى بنوائب * فصابرها حتى مضت واضمحلت فكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت وأنشد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه: ولا تيأسن واستعون الله إنه * إذا الله يسر عقد شئ تيسرا لابي دهبل الجمحى من قصيدة له:

---

(١) ليعلم أن كافة التعاليق الموجودة بهامش هذا الكتاب هي بقلم صاحب فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ عبدالغنى عبد الخالق المدرس بكلية الشريعة بالازهر (٢) رواية اللسان ليحسب

عست كربة أمسيت فيها مقيمة * يكون لنا منها رخاء ومخرج فيكبت أعداء ويجذل آلف * له كبد من لوعة الحب تلعج وإنى لمحزون غداة ازورها * وكنت إذا ناديتها لا أعرج لجارية بن بدر الغدائى: قل (١) للفؤاد إذا نزا بك نزوة * من الهم أفرخ أكثر الروع باطله لتوبة بن الحمير العقيلى الخفاجى: وقد (٢) تذهب الحاجات يطلبها الفتى * شعاعا وتخشى النفس مالا يضرها لجرير: يعافى الله (٣) بعد بلاه جهدا * وينهض بعد ما يبلى السقيم لزياد بن عمر من بنى الحارث بن كعب - وقيل لزيادة بن زيد العذري - من أبيات: إذا مذهب سدت عليك فروجه * فإنك لاق لا محالة مذهبا فلا تجعلن كرب الخطوب إذا عرت * عليك رتاجا لا يزال مضببا وكن رجلا جلدا إذا ما تقلبت * به صيرفيات الهموم تقلبا ذكر ابو تمام الطائى في كتاب الحماسة لجابر بن ثعلب الطائي: كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى * ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا ولم يك في بؤس إذا بات ليلة يناغى غزالا ساجى (٥) الطرف أكحلا وقريب منه ما أنشدني أبى عن أبى بكر بن دريد عن عبد الرحمن

---

(١) رواية اللسان فقل للفؤاد إن من الخوف. (٢) رواية تزيين الاسواق. وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس مالا يضيرها (٣) رواية الديوان بعد بلاء سوء ويبرأ. (٤) في الارج زيد بن عمر، وفى حل العقال زياد بن عمرو العذري. (٥) رواية الحماسة فاتر.

ابن أخى الاصمعي عن عمه الاصمعي رحمهم الله: كأن قوما إذا ما بدلوا نعما * بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا ومثله أيضا: إن البطون إذا جاعت متى شبعت * كأنما لم يقاس الجوع طاويها لسعيد بن رمضان الاسدي: فما نوب الحوادث باقيات * ولا بؤس يدوم ولا نعيم كما يمسى سرورك وهو هم * كذلك ما يسوءك لا يدوم فلا تهلك على ما فات وجدا * ولا تغررك بالاسف الهموم وقريب منه لكثير في ابن محمد بن الحنفية رضى الله عنه لما حبسه عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه - من أبيات: تحدث من لاقيت أنك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عادم فما ورق الدنيا بباق لاهلها (١) * وما شدة (٢) الدنيا بضربة لازم فزاد فيه بعض إخواننا: لهذا وهذا مدة سوف تنقضي * ويصبح ما لاقيته حلم حالم لاعرابي: فلا تحسبن سجف اليمامة دائما * كما لم يدم عيش بسفح أبان مغرس الاسدي: ولا تيأسن من صالح إن ماله * وإن كان قدما (٣) بين أيد تبادره حوط بن ريان الاسدي: تعلمني بالعيش عرسي كأنها * تعلمني الشئ الذى أنا جاهله يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغني * وكل كأن لم يلق حين يسائله وقريب منه:

---

(١) رواية اللسان لاهله. (٢) رواية اللسان البلوى. (٣) كذا بالاصل.

يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغني * وكل كأن لم يلقه حين يذهب كأنك لم تعدم من الدهر لذة * إذا أنت أدركت الذى كنت تطلب للاضبط بن قريع من جملة أبيات (١): لكل (٢) ضيق من الامور سعه * والمسا والصباح لا فلاح معه لا تحقرن (٣) الوضيع علك أن * تلقاه يوما والدهر قد رفعه قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه قال مؤلف هذا الكتاب في المعنى: اصبر فليس الزمان مصطبرا

* وكل أحداثه فمنقشعه كم من فقير غناه في شبع * قد نال خفضا في عيشه ودعه ومن جليل جلت مصائبه * ثم تلافاه بعدما وضعه فعاد بالعز آمنا جذلا * وعاد أعداؤه له خضعه أنشد أبو العباس ثعلب: رب ريح لاناس عصفت * ثم ما إن لبثت أن ركدت وكذاك الدهر في أفعاله * قدم زلت وأخرى ثبتت وكذا الايام من عادتها * أنها مفسدة ما أصلحت ثم يأتيك مقادير بها * فترى ملصحة ما أفسدت للحسين بن مطير الاسدي: إذا يسر الله الامور تيسرت * ولانت قواها واستقاد عسيرها فكم طامع في حاجة لا ينالها * وكم آيس منها أتاه يسيرها (٤) وكم خائف صار المخوف ومقتر * تمول والاحداث يحلو مريرها

---

(١) موجودة في أمالى القالى ج ١ ص ١٠٧. (٢) رواية الامالى لكل هم من الهموم... والمسى والصبح. (٣) رواية الامالى ولا تعاد الفقير... تركع يوما والمشهور في كتب اللغة والنحو ولا تهين الفقير. (٤) رواية حل العقال والارج بشيرها.

وقد تغدر الدنيا فيمس غنيها * فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها وكم قد رأينا من تكدر عيشة * وأخرى صفا بعدا كدرار غديرها فلا تقرب الامر الحرام فإنه * حلاوته تفنى ويبقى مريدها (١) لمسكين الدارمي: وإنى لارجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع أنشدني محمد بن الحسين قال أنشدني ثعلب (٢): إلى الله كل الامر في الخلق كله * وليس إلى المخلوق شئ من الامر إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرهت منه طال عتبى على الدهر ووسع صدري للاذى كثرة الاذى * وإن كان أحيانا يضيق به صدري وصيرني يأسى من الناس واثقا * بحسن صنيع الله من حيث لا أدرى تعودت مع مس الضهر حتى ألفته * أسلمني حسن العزاء إلى الصبر غيره: إذا ضاق صدري بالامور تفرجت * لعلمي بأن الامر ليس إلى الخلق غيره: يضيق صدري بغم عند حادثة * وإنما الخير لى في الغم أحيانا ورب يوم يكون الغم أوله * وعند آخره روحا وريحانا ما ضقت ذرعا بغم عند نائبة * إلا ولى فرج قد حل أو حانا للزبير رضى الله عنه. لا أحسب الشر جارا لا يفارقنى * ولا أحز على ما فاتني الودجا ولا لقيت من المكروه نازلة * إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا ولا تراني لما قد فات مكتئبا * ولا تراني بما قد نلت مبتهجا لاعرابي: ما كل وجه يضيق إلا * ودونه مطلب فسيح

---

(١) الزيادة عن الاغانى والارج. (٢) قيل لما حوصر عثمان رضي الله عنه أنشد هذه الابيات.

من روح الله عنه هبت * من كل وجه إليه ريح لسليمان بن مهاجر البجلى من جملة أبيات: إن المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا عن المارستانى قال أنشدني إبراهيم بن العباس الصولى وهو في مجلسه في ديوان الضياع: ربما تكره النفوس من الام * ر له فرجة كحل العقال (١) ونكت بقلمه ثم قال: ولرب نازلة يضيق بها الفتى * درعا وعند الله منها المخرج كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج لابي العتاهية: ولربما استيأست ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاح كريم أنشدني أحمد بن عبد الله الوراق، قال: أنشدنا دعبل قصيدته (مدارس آيات) فذكر القصيدة إلى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قوله: فلو

لا الذى أرجوه في اليوم أو غد * تقطع قلبى إثرهم حسرات (٢) فيا نفس طيبى ثم يا نفس أبشرى * فغير بعيد كل ما هو آت ولا تجزعي من دولة الجور إننى * كأنى بها قد آذنت ببيات عسى الله أن يرتاح للخلق إنه * إلى كل حى دائم اللحظات لعلى بن الجهم من ضمن قصيدة له: غير الليالى باديات عود * والمال عارية يباد وينفد ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما تحمد لا يؤيسنك من تفرج كربة * خطب رماك به الزمان الانكد كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

---

(١) البيت لامية بن أبى الصلت وقبله. لا تضيقن في الامور فقد تكرر شف غماؤها بغير احتيال (٢) رواية معجم الادباء لقطع قلبى إثرهم حسراتي.

لغيره في مثله: قد يصح المريض بعد إياس * كان منه ويهلك العواد ويصاد القطا فينجو سليما * بعد هلك ويهلك الصياد لعبد الله بن المعتز: وكم نعمة لله في صرف نقمة * ومكروه أمر قد حلا بعد إمرار وما كل ما تهوى النفوس بنافع * وما كل ما تخشى النفوس بضرار لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب من أبيات: لا تعجلن فربما * عجل الفتى فيما يضره فالعيش أحلاه يعو * د على حلاوته أمره ولربما كره الفتى * أمرا عواقبه تسره لاعرابي: كم مرة حفت بك المكاره * خار لك الله وأنت كاره آخر ويروى لامير المؤمنين على رضى الله عنه: لا تكره المكروه عند نزوله * إن المكاره لم تزل متباينه كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله في جنب المكاره كامنه غيره: رب أمر تزهق النفس له * جاءها من خلل اليأس فرج لا تكن من روح ربى آيسا * ربما قد فرجت تلك الفرج بينما المرء كئيب موجع * جاءه الله بروح فبهج رب أمر قد تضايقت له * فأتاك الله منه بالفرج غيره: البؤس يعقبه النعيم وربما * لاقيت ما ترجوه مما ترهب غيره: أتى من حيث لا ترجوه صنع * ويأبى أن تهم به الظنون فحيث تراك تيأس فارج خيرا * فإن الغيث محتجب مصون وكن أرجى لامر لست ترجو * من المرجو أقرب ما يكون

لعبيدالله بن عبد الله بن طاهر: أراها تمتخض بالمعضلات * ألا يا ليت شعرى ما الزبده ألا إن زبدتها فرجة * تحل العقال من العقده لابي إسحاق إسماعيل بن القاسم الملقت بأبى العتاهية: إنما الدنيا هبات * وعوار مستردة شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شدة وله (١) أيضا: الناس في الدين والدنيا ذوو درج * والمال ما بين موقوف ومختلج من ضاق عنك فأرض الله واسعة * في كل ضيق وهم (٢) وجه منفرج قد يدرك الراقد الهادى برقدته * وقد يخيب أخو الروحات (٣) والدلج خير المذاهب في الحاجات أنجحها * وأضيق الامر أدنا إلى الفرج غيره: يا صاحب الهم إن الهم منقطع * أبشر بذاك كأن قد فرج الله اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فإن الكافي الله الله حسبك مما عذت منه به * وأين أمنع ممن حسبه الله من البلايا ولكن حسبك الله * والله حسبك في كل لك الله هون عليك فإن القادر الله * والخير أجمع فيها يصنع الله فرب مسصعب قد سهل الله * ورب شر كثير قد كفى الله إذا بليت فثق بالله وارض به * إن الذى يكشف البلوى هو الله الحمد لله شكرا لا شريك له * ما أسرع اليسر جدا إن يشا الله لمحمد بن حازم الباهلى: طوبى لمن يتولى الله خالقه * ومن إلى الله يلجا يكفه الله

(١) نسب في الارج هذه الابيات إلى هلال بن العلاء الرقى. (٢) رواية الديون والارج في وجه كل مضيق. (٣) في الاصل إخاء الراح والتصحيح عن الديوان والارج.

ورب خائف أمر يستكين له * ينجو وخيرته ما قدر الله ليحيى بن خالد بن برمك من أبيات: ألا أعلم إنما الدنيا غرور * وليس بدائم فيها نعيم سينقطع التلذذ عن أناس * إذا ماتوا وتنقطع الهموم أنشدني أبى رحمه الله من قصيدة لسلم بن عمرو الخاسر: إذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله (وقرب ما كان مستبعدا * ورد الغريب إلى أهله يفوز الجواد بحسن الثناء * ويبقى البخيل على بخله (١) فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله ووجدت مكتوبا بخط عمى القاضى أبى جعفر أحمد بن محمد بن أبى الجهم التوخى: إذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح بها يركض فان عاق من دونها عائق * أتى دونها عارض يعرض أنشدني عبيد الله بن محمد بن الحسن العتبى المعروف بالبصرى لنفسه: إذا أذن الله في حاجة * أتاك الجناح بغير احتباس فيأتيك من حيث لا تدره * مرادك للنجح بعد الاياس لمحمد بن حازم الباهلى: وأرحل إذا أجدبت بلاد * منها إلى الخصب والربيع لعل دهرا غدا بنحس * بكر بالسعد في الرجوع لابي تمام الطائى: وما من شدة إلا سيأتي * لها من بعد شدتها رخاء وأنشدني الامير أبو الفضل جعفر المكتفى بالله قال أنشدني بعض أصحابنا منسوبا (٢)

(١) الزيادة عن حل العقال وحواشي معجم الادباء. (٢) نسب في حل العقال هذه الابيات إلى قيس بن الخطيم والاول منها مع أبيات أخرى منسوبة إلى قيس أيضا في الحماسة ونقل التبريزي عن أبى الرياش أنها للربيع بن أبى الحقيق اليهودي.

وكل شديدة نزلت بقوم * سيأتي بعد شدتها رخاء فان الضغط يحويه (١) وعاء * ويتركه إذا فرغ الوعاء وما ملئ الاناء وشد إلا * ليخرج ما به امتلا الاناء أنشدت: متى تصفو لك الدنيا بخير * إذا لم ترض منها بالمزاج ألم تر جوهر الدنيا المصفى * ومخرجه من البحر الاجاج ورب مخيفة فجأت بهول * جرت بمسرة لك وابتهاج ورب سلامة بعد امتناع * ورب مثقف (٢) بعد اعوجاج غيره: لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * نوائب هذا الدهر أم كيف يحذر يرى الشئ مما يتقى فيخافه * وما لا يرى مما يقى الله أكبر وما عسر رمى الفتى بشماله * بل الدهر إلا ما وقى الله أعسر لمحمد بن عبد المهلبى: إنى لرحال إذا الهم برك * رحب اللسان عند ضيق المعترك عسرى على نفسي ويسرى مشترك * لا تهلك النفس على شئ هلك فليس في الهم إذا فات درك * ولم يدم شئ على دور الفلك رب زمان ذله أرفق لك * لا عار إن ضاقك دهر أو ملك آخر غيره: لكل غم فرج عاجل * يأتيك في المصبح والممسا لا تتهم ربك فيما قضى * وهو الامر وطب نفسا لعبد الله بن المعتز (٣): سواء على الايام حفظ وإعقال * وتارك سعى واحتيال ومحتال

(١) في الاصل يحوى وفى حل العقال قد يحوى. (٢) في حل العقال تقوم. (٣) البيتان غير مثبتين بديوانه.

ولا هم إلا سوف يفتح قفله * ولا حال إلا بعدها للفتى حال آخر غيره: جزعت كذا ذو الهم يجزع قلبه * ألا رب يأس جاء من بعده فرج كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه * وذو الهم من بين المضايق قد خرج عن أبى بكر بن أبى الدنيا قال: أنشدني رجل من قريش: ألم تر أن ربك ليس تحصى * أياديه الحديثة والقديمه تسل عن الهموم فليس شئ * يقيم ولا همومك بالمقيمه لعل الله ينظر بعد هذا * إليك بنظرة منه رحيمه آخر غيره (١): بينى وين الدهر فيك عتاب * سيطول إن لم يمحه الاعتاب (٢) يا غائبا بمزاره وكتابه * هل يرتجى من غيبتيك إياب لولا التعلل بالرجاء تقطعت * نفس عليك شعارها الاوصاب لا يأس من روح الاله فربما * يصل القطوع ويقدم الغياب (وإذا دنوت مواصلا فهو المنى * سعد المحب وساعد الاحباب وإذا نأيت فليس لى متعلل * إلا رسول بالرضا وكتاب) (٣) آخر غيره: فلا تيأس وإن أعسرت يوما * فقد أيسرت في الدهر الطويل (ولا تيأس فإن اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل ولا تظنن بربك ظن سوء * فإن الله أولى بالجميل فإن العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول) (٤) آخر غيره (٥):

---

(١) هو أبو الحسن على بن هارون المنجم كما في الارج والمعجم (٢) في الاصل تحمه (٣) الزيادة عن معجم الادباء (٤) الزيادة عن حل العقال (٥) هو جحظة كما في الارج.

فلا تيأس وإن صحت * عزيمتهم على الدلج فإن إلى غداة غد * سيأتي الله بالفرج فتصبح عيسهم عرجا * وقد كانت بلا عرج آخر غيره: ربما يطلع التفرج للكر * بة كالبدر من خلال السحاب وتزول الهموم في قدر الزر * يعرى عن عروة الجلباب آخر غيره: رميت بالهم لما رميت به * ولم أقم عرضا للخطب يرمينى ولست آيس من روح ومن فرج * ومن لطائف صنع سوف تكفيني وقل ما كان من دهري إلى سوى * ما سلم الله من أحداث دينى آخرى غيره: وكم من ضيقة كدت بغم * وكان عقيبها فرج مفاجى فأضيق ما يكون الامر أدنى * وأقرب ما يكون إلى انفراج للعكوك (على بن جبلة): عسى فرج يكون عسى * نعلل أنفسنا بعسى فلا تقنط وإن لا قي * ت هما يغيظ النفسا فأقرب ما يكون المر * ء من فرج إذا أيسا لبعضهم: لعمرك ما المحبوب من يتقى * ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع وأكثر خوف النفس ليس بكائن * فما (١) درك الهم الذى ليس ينفع أنشدني أبو يوسف السهيلي عن المنجع الشاعر: لا البؤس يبقى ولا النعيم ولا * حلقة ضيق ستفرج الحلقه صبرا على الدهر في تجوره * كم فتح الصبر مرة علقه غيره:

---

(١) كذا بالاصل.

جديد همك يبليه الجديدان * فاستشعر الصبر إن الدهر يومان يوم يسوء فيسليه ويذهبه * يوم يسر وكل زائل فان مفرد: لا تعجلن هما بما لست تدرى * إن تراخى يكون أولا يكون غيره: عادني الهم فاعتلج * كل هم إلى فرج آخر غيره: الغم فضل والقضاء مغالب * وصروف أيام الفتى تتقلب لا تيأسن وإن تضايق مذهب * فيما تحاول أن تعذر مطلب وانظر إلى عقبى الامور فعندها * لله عادة فرجة تترق لسعيد بن حميد: يوم عليك مبارك * ما شئت (١) من فرج وطيب. عاد الحبيب لوصله * وحجبت عن عين الرقيب (وكذا الزمان يدور بال * أفراح من بعد الركوب) (٢) فاشرب شرابا نقله * تقبيل سالفة الحبيب ودموع الهموم فانها * تنأى عن الصدر الرحيب لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب من إنشاد ابن هانئ المغنى على الطنبور: علل همومك بالمنى * إلى فرج قريب لابد من صنع قريب * يأتيك بالعجب العجيب لا تيأسن وان ألح * ح الدهر من فرج قريب روح فؤادك بالرضا * ترجع إلى روح وطيب غيره: ليس لى صبر ولا جلد * قد برانى الهم والسهد

---

(١) في حل العقال ما عشت في (٢) الزيادة عن حل العقال

من ملمات تؤرقني * مالها من كثره عدد ولعل الله يكشفها * فيزول الحزن والكمد أنشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان لنفسه: هاكها صرفا تلالا * لم يدنسها المزاج واترك الهم لشاني * ك فللهم انفراج يا أبا وهب صديقى * كل ضيق إلى انفراج اسقنى صهباء صرفا * لم تدنس بمزاج آخر غيره: رضت بالله ان يعطى شكرت وإن * يمنع قنعت وكان الصبر من عددي إن كان عندك رزق اليوم فاطرحن * عنك الهموم فعند الله رزق غد آخر غيره: سهل على نفسك الامور * وكن على مرها وقورا فان ألمت صروف دهر * فلا تكن عندها ضجورا فكم رأينا أخا هموم * أعقب من بعدها سرورا ورب عسر أتى بيسر * فسار معسوره يسيرا آخر غيره: تعز ولا تأسى على وتبتئس * فجدى محظوظ وأمري مقبل لعل الليالى أن تعود كعهدنا * ويجمعنا حال يسر ويجذل ويعقب هذا البؤس نعمى وهمنا * سرور وبلوانا سراح معجل أنشدني سعد بن محمد " الازدي " البصري " البغدادي " لنفسه: ان الزمان غرور * له صروف تدرو * فاصبر فرب اغتمام * يأتيك منه سرور قال مؤلف الكتاب وفى محنة لحقتني فكشفها الله تعالى فقلت: هون على قلبك الهموم فكم * قاسيت هما أدنى إلى الفرج ما الشر من حيث تتقيه ولا * كل مخوف يفضى إلى الترح

ولآخر من قصيدة أولها: هل مشتكى لغريب الدار ممتحن * أو راحم لضعيف الاسر مرتهن (١) يقول فيها: كأن جلدى سجن فوق أعظمه * والروح محبوسة للهم في بدنى فالحمد لله حمد الصابرين على * ما سأنى في قضاياه وأفجعني لعل دهري بعد اليأس يسعفنى * بما أحب وما أرجو ويعرفنى وأن أنال المنى يوما وإن طويت * من فوق جثمانى من كفني ولآخر (٢) غيره: وما زال هذا الدهر يأتي بأضرب * تسر وتبكى كلها تتنقل فلا حزن يبقى على ذى كآبة * ولا فرح يحظى من يؤمل ولآخر غيره: في ذمة الله من سارت بسيرهم * مسرتي وأقام الخوف والحرق لئن أشطهم دهر قضى شططا * وأزهق النفس هم حكمه الزهق لقد أناب بعينى بعد غيبتهم * نجب

عوائقها وامتدت العلق ولآخر غيره: يا قارع الباب رب مجتهد * قد أدمن القرع ثم لم يلج ورب مستفتح (٣) يوم على مهل * لم يشق في قرعة ولم يهج علام يشقى الحريص في طلب الرزق بطول الرواح والدلج وهو إن كف عنه طالبه الرزق وإن عاج عنه لم يعج فاطو على الهم كشح مصطبر * فآخر الهم أول الفرج غيره:

---

(١) في الاصل أو راحم له لم يبق الاسر مرتهن. (٢) هو أبو الفرج الاصبهاني كما في حل العقال. (٣) في الاصل مستورد وما أثبتناه رواية الارج.

إصحب الدنيا مياومة * وادفع الايام تندفع وإذا ما ضيقة عرضت * فالقها بالصبر تتمتع غيره (١) درج الايام تندرج * وبيوت الهم لا تلج رب أمر عز مطلبه * قربته (٢) ساعة الفرج غييره: كما لم يكن عصر العصارة باقيا * كذلك عصر البؤس ليس بثابت وأنشدني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الكاتب البغدادي لنفسه: تسل عن الهموم مصطبرا * وكن لما كان غير منزعج فكل ضيق يتلوه متسع * وكل هم يفضى إلى فرج ولآخر: إذا ضيقت أمرا ضاق جدا * وإن هونت ما قد عز هانا فلا تهلك لما قد فات غما * فكم شئ تصعب ثم لانا ولآخر غيره: لا يؤيسنك من مخبأة * أمر تغلظه وإن جرحا عسر النساء إلى مياسرة * فالصعب يمكن بعدما جمحا ولآخر غيره: عرضن للذى يحب بحب * ثم دعه يروضه إبليس فلعل الزمان يدنيك منه * إن هذا الهوى نعيم وبوس ولآخر غيره: تحبب فإن الحب داعية الحب وكم * من بعيد الدار مستوجب القرب تبين فان حدثت أنا أخا هوى * نجاسا لما فارج النجاة من الكرب

---

(١) كان الامام مالك رحمه الله يتمثل بهذين البيتين. (٢) في الاصل هونته وما أثبت رواية حل العقال.

(وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب (١) إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى * فأين حلاوات الرسائل والكتب للعباس بن الاحنف: تعز وهون عليك الامورا * عساك ترى بعدهم سرورا لعل الذى بيديه الامو * ر سيجعل في الكره خيرا كثيرا (أكاتم ما بى فلا أستطيع * مع من شدة الوجد أن أستشير) (٢) أما تحسبيني أرى العاشقي * ن مثلى ولست أرى لى نظيرا ولآخر غيره قربت لى أملا فأصبح حسرة * ووعدتني وعدا فصار وعيدا فلاصبرن على شقائي في الهوى * فلربما عاد الشقى سعيدا ولآخر (٣) غيره: أيا سروة البستان طال تشوقي * فهل لى إلى ظل لديك سبيل متى يلتقى من ليس يقضى خروجه * وليس لمن يهوى إليه وصول عسى الله أن نرتاح من كربة لنا * فيلقى اغتباطا خلة وخليل ولآخر غيره: لعل التلاقي في ليال * وأيام من الدنيا بقينا حبيبا نازحا أمسيت منه * على يأس وكنت به فتينا ولآخر غيره: لئن درست أسباب ما كان بيننا * من الوصل ما تتوقى اليك بدارس وما أنا من أن يجمع الله بيننا * كأحسن ما كنا عليه - بآيس ولآخر (٤) غيره:

---

(١) الزيادة عن زهر الآداب وهو وما عبد منسوبان فيه للعباس بن الاحنف وإن كان وما قبلهما غير موجودة بالديوان. (٢) الزيادة عن الديوان. (٣) هي علية بنت المهدى. (٤) هو قيس بن الملوح مجنون بنى عامر وهذا البيت من قصيدة طويلة مثبتة في تزيين الاسواق.

وقد يجمع الله الشتيتين بعد * ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا غيره:
وما أنا منه بعد ذاك بآيس * بأن يأذن الله لى في اجتماع فاتعس حد النوى باللقا * وأرغم بالقرب أنف الزماع أنشدني سعد بن محمد (الازدي) البصري (البغدادي) الوحيد (١) الشاعر: كانت على رغم العدى أيامنا * مجموعة النشوات والاضطراب ولقد عتبت على الزمان لبينهم * ولعله سيمن بالاعتاب ومن الليالى أن علمت أحبة * وهى التى تأتيك بالاحباب وله أيضا: إن راعني منك الصدود * فلعل أيامى تعود إذ لاتنا ولنا يد النع * ماء إلا ما نريد ولعل عهدك باللوى * يحيا فقد تحيا العهود والغصن يبيس مرة * وتراه مخضرا يميد إنى لارجو عطفة * يكبى لها الواشي الحسود فرجا تقربه العيو * ن من فينجلي عنها السهود مما أنشده على بن مقلة في نكبته عقيب الوزارة الاولى: إذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست في أماكنها الخطوب (ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب) (٢) أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب فكل الحادثات إذا تناهت * فموصول بها الفرج القريب ولغيره. (وهو جعفر بن ورقاء الشيباني):

(١) في الاصل الوجيه وهو خطأ لان المعروف بالوجيه هو المبارك بن المبارك أحد أدباء القرن السادس كما في المعجم وأيضا فقد صرح ياقوت في ترجمة سعد هذا بأنه المعروف بالوحيد. (٢) الزيادة عن الارج وهذه الابيات لسيدنا على رضى الله عنه.

الحمد لله على ما قضى * في المال لما حفظ المهجة ولم تكن من ضيقة هكذا * إلا وكانت بعدها فرجه للحسين بن عبد الرحمن: لعمر بنينى الذين أراهما * جزوعين إن الشيخ غير جزوع إذا ما الليالى أقبلت باساءة * رجونا بأن تنأى بحسن صنيع عن ابن أبى الدنيا (لرجل من قريش) حلبنا الدهر أشطره ومرت * بنا حقب (١) الشدائد والرخاء فلا (٢) تأسف على دنيا تولت * ولا تفزع إلى غير الدعاء هي الايام تكلمنا وتأسو * وتأتى بالسعادة والشقاء توكلت على رب السماء * وسلمنا لاسباب القضاء ولغيره: عسى فرج من حيث تأتى مكارهي * يجئ به من جاءني بالمكاره سيرتاح لى مما أعاني بفرجة * فينتاشنى منه بحسن اقتداره عسى منقذ موسى بحسن جواره * وقد طرحته أمه بالمكاره لمحمود الوراق: إذا من بالسراء عم سرورها * وإن مس بالضراء أعقبها الاجر وما منهما إلا له فيه منة * تضيق بها الاوهام والبر والبحر (٣) للعباس بن الاحنف (٤): قالوا لنا إن باللقاطول مشتانا * ونحن نأمل صنع الله مولانا والناس يأتمرون الرأى بينهم * والله في كل يوم محدث شانا وقال مؤلف هذا الكتاب: لئن عدانى الدهر عنك يا أملى * وسل جسمي بالاسقام والعلل وشت شمل تصافينا والفتنا * الدهر ذو غير والدهر ذو دول

(١) في الاصل عقب (٢) في الفرج لابن أبى الدنيا فلم ولم (٣) في حل الغقال والوصف والشكر (٤) البيتان غير مثبتين بديوانه

الحمد لله حمد الشاكرين على ما * شاء من حادث يوهى قوى الامل قد اشتكت لصروف الدهر والتحقت * على فيك غواشي الحزن والوجل واعتضت منك بسقم شانه خلل * ومن وصالك بالهجران والملل وبعد أمنى من عذر ومثنية * عذار يسرح بالالفاظ والرسل ومن لقائك لقى الطب أرحمهم * فظ وأرفقهم يدنى إلى الاجل فلست آيس من رجع الوصال ولا * عود العوافي ولا آمن من السبل وله في محنة لحقته من قصيدة: أما للدهر من حكم رضى * يدال به الشريف من الدنى ويستعلى الرؤوس من الذنابى * وينتصف الذكى من الغبى ومن عاصاه دمع في بلاء * فليس بكاء عينى بالعصى وما أبكى لوفر لم يفده * زمان خان عهد فتى وفى ولا آسى على زمن تولى * بعيش ناضر غض ندى ومن حدث تفوتنى المعالى * على عهد بها حدث وفى (١) وإن يدى لتقصر عن هلاك ال * عدو وعن مكافأة الولى وما تلقى الحوادث إن ألمت * سوى قلب عن الدنيا سخى وصبر ليس تنزحه الليالى * كنزح الدلو صافية الركى وليس بآيس من كان يخشى * ويرجو الله من صنع قوى وله عند صرفه من تقلده القضاء بالاهواز وقبض صيغة من صياغه وحضوره إلى بغداد: لئن أشمت الاعداء صرفي ورحلتي * فما صرفوا فضلي ولا انصرف المجد مقام وتر حال وقبض وبسطة * كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد وما زلت جلدا في المهمات (٢) قبلها * ولا غر وفي الاحيان أن يغلب الجلد فكم ليث غاب شردته ثعالب (٢) * وكم من حسام فله غيلة غمد

(١) بالاصل: حدث في ولعل الصواب ما اثبتناه (٢) في حل العقال الملمات (٣) في الاصل يدلها وما أثبت رواية حل العقال (*)

وكم جيفة تعلو وترسب درة * ومنحسة تقوى إذا ضعف السعد ألم تر أن الغيث يجرى على الربا * فيحظى به إن جاد صيبه الوهد وكم فرج والخطب يعتاد (١) نيله * يجئ على يأس إذا ساعد الجد لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن * أساء اقتضاء فالقروض لها رد فكم فرحة تأتى على إثر ترحة * وكم راحة تطوى إذا اتصل الكد وكم منحة من محنة تستفيدها * ومكروه أمر فيه للمرتجى وفد على أننى أرجو لكشف الذى غدا * مليكا له في كل نائبة رفد فيمنع منا الخطب والخطب صاغر * وتمسى عيون الدهر عنا هي الرمد ونعتاض باللقيا من البين أعصرا * مضاعفة تبقى ويستهلك البعد أنشدني سعد بن محمد الشاعر الوحيد رحمه الله: يا نفس كونى لروح الله ناظرة * فإنه للاماني طيب الارج كم لحظة لك مخلوس تقلبها * كانت تردد بين اليأس والفرج ولآخر غيره: أتيأس أن يساعدك النجاح * فأين الله والقدر المتاح هي الايام والنعمى ستجزى * يجئ بها غدو أو رواح ولآخر غيره (٢): إذا اشتد عسر فارج يسرا * فإن قضاء الله أن العسر يتبعه يسر عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى * له فرجا يوما يجئ به العسر (إذا ما ألمت شدة فاصطبر لها * فخير سلاح المرء في الشدة الصبر وإنى لاستحيى من الله أن أرى * إلى غيره أشكو وإن مسنى الضر) (٣) عسى فرج يأتي به الله إنه * له كل يوم في خليقته أمر فكن عندما يأتي به الدهر حازما * صبورا فإن الخير مفتاحه الصبر

(١) في حل العقال يعتاف. (٢) هو - كما في الارج - أبو على محمد بن محمد بن الشاطر الانباري. (٣) الزيادة عن الارج وحل العقال.

فكم من هموم بعد طول تكشفت * وآخر معسور الامور له يسر ولغيره: وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا * فإن صدقت حادت بصاحبها العذرا (١) وآخر إحسان الليالى إساءة * على أنها قد تتبع العسر باليسر (٢) ولغيره: لا تجزعن فإن العسر يتبعه * يسر ولا بؤس إلا بعده ريف وللمقادير وقت لا تجاوزه * وكل أمر على الاقدار موقوف ورب من كان معزولا فيعزل من * ولى عليه وللاحوال تصريف ولغيره: من ذا رأيت الزمان أيسره * فلم يشب يسره يرما بتعسير أم هل ترى عسرة تمت على أحد * دامت فلم تنكشف إلا بتيسير ولغيره: الدهر (٣) لا يبقى على حالة * والعسر قد يتبعه يسر ولغيره: صبرا قليلا فإن الدهر ذو غير * مادام عسر على حال ولا يسر قد يرحم المرء من يرضى (٤) بمحنته * وليس يعلم ما يخبى له القدر والدهر حلو ومر في تصرفه * وخير وشر وفيه العسر واليسر ولغيره: كل الامور إلى * من قد يتم الامور وافزع إليه إذا لم * يجرك عجزا مجير فكل صعب عسير * عليه سهل يسير

---

(١) كذا بالاصل فليحرر. (٢) في الاصل باليسرا. (٣) في الاصل المرء. (٤) في الاصل يغلظ

ولغيره: أيها الانسان صبرا * إن بعد العسر يسرا أشرب الصبر وإن * كان من الصبر أمرا ولغيره: كن عن همومك معرضا * وكل الامور إلى القضا وابشر بطول سلامة * تسليك عما (١) قد مضى (فلربما اتسع المضيِ * ق وربما ضاق الفضا ولرب أمر مسخط * لك في عواقبه رضا الله يفعل ما يشا * ء فلا تكن متفرضا) (٢) ولغيره: صبرا وامهالا فكل ملمة * سيكشفها الصبر الجميل فأمهل ولغيره: فقد يأمل الانسان مالا يناله * ويأتيه رزق الله من حيث ييأس ولغيره: إذا استصعبت من دنياك حالا * ففكر في صروف كنت فيها وأحدث شكر من نجاك منها * وابدلها بنعمى ترتضيها ولآخر غيره: الدهر اعراض واقبال * وكل حال بعدها حال ما أحسن الصبر ولاسيما * بالخر إن حالت به الحال فصاحب الايام في غفلة * وليس للايام إغفال أنشدني نصير بن محمد الازدي مولى الازد: إنى رأيت - وفى الايام تجربة - * للصبر عاقبة محمودة الاثر فاصبر على مضض الادلاج في السحر * وفى الرواح إلى الحاجات والبكر

---

(١) رواية الارج بخير عاجل تنسى به ما. (٢) الزيادة عن الارج وحل العقال

لا يعجزنك ولا يضجرك مطلها * فالنجع يتلف بين العجز والضجر وقل من جد في أمر يحاوله * واستصحب الصبر إلا فان بالظفر لغيره: قد فرج الله من الهجر * ونلت ما أمل بالصبر في ساعة اليأس أتانى المنى * كذاك تأتى دول الدهر لغيره: فصبرا أبا جعفر إنه * مع البر

نصر من الصانع فلا تيأسن أن تنال الذى * يؤمك من فضله الواسع ولغيره: إذا ضاق زمن بامرء * كان فيه بعض ضيق متسع ولغيره: قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويبتلي الله بعض القوم بالنعم محمود الوراق: صابر الصبر على كر النوائب * من كنوز الصبر كتمان المصائب والبس الدهر على علاته * تجد الدهر مليئا بالعجائب أنشدني الوحيد لنفسه: عليك رجاء الله ذى الطول واللطف * بجملة ما تبدى (١) من الامر أو تخفى (١) فقد خلق الايام دائرة بنا * تقلبنا من كل (٢) صرف إلى صرف وكم فرج لله يأتي مرفرفا * على خافق (٣) الاحشاء في تلف مشف (٣) فلا تمكنن من قلبك اليأس والاسى * لعل الذى ترجوه في مرجع الطرف وصبرا جميلا إن للدهر عادة * مجربة إتباعه العسف بالعطف لابن بسام:

---

(١) في الاصل يبدى. يخفى وما ثبت رواية حل العقال (٢) في حل العقال. كر. (٣) في الاصل تلف. شف وما ثبت رواية حل العقال.

ألا رب ذل ساق للنفس عزة * ويا رب نفس بالتعزز ذلت (١) ينزل تبارك (٢) رزاق البرية كلها * على ما رآه لا على ما استحقت وكم ماجد (٣) في القيد والباب دونه * ترقت به أحواله وتعلت تشوب القذا بالصفو والصفو بالقذى * فلو أحسنت في كل حال لملت سأصدق نفسي إن في الصدق راحة * وأرضى بدنيائى وإن هي قلت وإن طرقتني الحادثات بنكبة * تذكرت ما عوفيت منه فقلت (وما محنة إلا ولله نعمة * إذا قابلتها أدبرت واضمحلت (٤)) ولآخر غيره: كأنك بالايام قد زال بؤسها * وأعطتك منها كل ما كنت تطلب فترجع عنها راضيا غير ساخط * وتحمدها من بعدما كنت تعتب حدثنى الحسن بن صافى قال: رأيت على حائط مسجد مكتوبا بالفحم: ليس من شدة تصيبك إلا * سوف تمضى ويكشف الضر كشفا لا يضيق ذرعك الرحيب فان * النار يعلو لهيبها ثم تطفا قد رأينا من كان أشفى على الهلا * ك فجاءت نجاته حين أشفى ولآخر غيره: الدهر خدن مصاف ذو مخادعة * لا يستقيم على حال لانسان حلو ومكر وذو من ذو قرف * يخالط السوء منه فرط إحسان ولغيره (٥): لئن قدمت قبل رجال لطالما * مشيت على رسلي فكنت المقدما

---

(١) في الاصل بالتذلل عزت. وفى حل العقال. للتعزز ذلت. (٢) في الاصل تنزل أرزاق وما ثبت عن حل العقال. (٣) في حل العقال فكم حائل. (٤) الزيادة عن حل العقال. (٥) هو القاضى على بن عبد العزيز الجرجاني والبيتان من قصيدته المشهورة في فضل العلم.

ولكن هذا الدهر يعقب صرفه * فيبرم منقوضا وينقض مبرما وأنشدني أبو الفرج الببغاء لنفسه: كم كربة ضاق وسعى عن تحملها * فملت عن جلدى فيها إلى جزعى ثم استكنت فأدنتني إلى فرج * لم يجر بالظن في يأسى ولا طمعي أنشدني سيدوك الواسطي من قصيدة: أبى الله إلا أن يعيظ (١) عباده * فجلسته تحت الشراع المطنب إلى أن يموت المرء يرجى ويتقى * ولا يعلم الانسان ما في المغيب ولآخر غيره: ما أحسن الصبر في مواطنه * والصبر في كل موطن حسن حسبك من حسنه عواقبه * عاقبة الصبر مالها ثمن وقال غيره: إن ضقت من خطب ألم فعنده * فرج يرجى عنده ويخاف

فاصبر على قحب النوائب مثل ما * صبرت لها آباؤك الاشراف أنشدت لعمرو بن معد يكرب الزبيدى: وكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت وكم غمرة دافعتها بعد غمرة * تجرعتها بالصبر حتى تولت (٢) لابي العتاهية: الدهر لا يبقى على حالة * لابد ما يقبل أو يدبر فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر لعلى بن الجهم: هي النفس ما إن حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأجمل أخلاق الرجال التحمل ولآخر غيره: لا تعتبن على النوائب * فالدهر يرغم كل عاتب

---

(١) كذا بالاصل (٢) هذه رواية حل العقال وفى الاصل عنها فولت

واضبر على حدثانه * إن الامور لها عواقب فلكل صافية قذى * ولكل خالصة شوائب (والدهر أولى ما صبر * ت له على رنق المشارب كم نعمة مطوية * لك تحت أنياب النوائب ومسرة قد أقبلت * من حيث تنتظر المصائب) (١) ولآخر غيره: فاصبر على حلو القضاء ومره * فان اعتياد الصبر أدى إلى البر خير الامور خيارهن عواقبا * وكم قد أتاك النفع من جانب الضر وقال غيره: وإنى لارجو الله يكشف كربتي * ويسمع للمظلوم دعوة مضطر لقد عجمتنى العاجمات مثقفا * إذا ضاق أمر قد تناهى إلى الصبر وما حزنى أن كر دهر بصرفه * على ولكن أن يفوت به وترى فان فاتني وترى فأيسر فائت * إذا أنا عوضت الثواب من الوفر ولطف كفايات الاله مبشر * بنيل الذى أملت لا بيد صفر فإن يهل الامر امرا فهو آمل * بلوغ الغنى فيما يهول من الامر ورب مضيق بالقضاء ووارط * رأى مخرجا بين المثقفة السمر آخر غيره: ليس لما ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر والصبر مر ليس يقوى به * غير رحيب الباع والصدر ولآخر غيره: وما التحف المرء بالصبر إلا * وكفت عنه أيدى النائبات وذو الصبر الجميل يفيد عزا * ويكرم في الحياة وفى الممات ولآخر غيره: الصبر مفتاح ما يرجى * وكل خير به يكون (٢)

---

(١) الزيادة عن حل العقال (٢) رواية حل العقال وكل صعب به يهون

فاصبر وإن طالت الليالى * فربما طاوع الحرون (١) وربما نيل باصطبا * ر ما قيل هيهات لا يكون لابي الحسن الاطروش المصرى من أبيات: ما زلت أدفع شدتي بتصبرى * حتى استرحت من الايادي والمنن فاصبر على نوب الزمان تكرما * فكأنما ما كان منه لم يكن ومما وجد على حجر قبر مكتوب: اصبر لدهر نال من * ك فهكذا مضت الدهور فرح وحزن تارة * لا الحزن دام ولا السرور ولآخر غيره (٢): اصبر على الدهر إن أصبحت منغمسا * بالضيق في لجج تهوى إلى لحج فإن تضايق باب (٣) عنك مرتتج * فاطلب لنفسك بابا غير مرتتج لا تيأسن إذا ما ضقت من فرج * يأتي به الله في الروحات والدلج فما تجرع كأس الصبر معتصم * بالله إلا أتاه الله بالفرج ولآخر غيره: وألزمت نفسي الصبر في كل محنة * فعادت بإحسان وخير عواقبه ومن لم ينط بالصبر والرفق قلبه * يكن عرضا أودت بليل جوانبه ولغيره (٤): وإنى لاغضى مقلتي على القذى * والبس ثوب الصبر أبيض أبلجا وإنى لادعو الله والامر ضيق * على فما ينفك أن يتفرجا وكم

من (٥) فتى سدت عليه وجوهه * أصاب لها في دعوة الله مخرجا
(أبو جعفر) محمد بن بشير (الحميرى:

---

(١) رواية الارج. ساعد (٢) هو كما في حل العقال - عبيد الله الحارثى (٣) كذا في الارج وفى الاصل وحل العقال أمر (٤) هو كما في الارج وحل العقال أبو إسحق الثعلبي المفسر (٥) في الارج ورب

إن الامور إذا اشتدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما أرتتجا لا تيأسن - وإن طالت مطالبة * إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا (أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا) (١)
لمدرك بن محمد الشيباني: مستعمل الصبر مقرون به الفرج * يبلى ويصبر والاشياء ترتج حتى إذا بلغت مكنون غايتها * جاءتك تزهر في ظلماتها السرج فاصبر ودم واقرع الباب الذى طلعت * منه المطالع فالمغرى به يلج بقدرة الله فارج الله وارض به * فعن إرادته الغماء تنفرج ولآخر غيره: ثبوت الخطب أوله غليل * وآخره شفاء من عليل فكم من علة كانت إلى ما * يجيش عتابه أهدى سبيل ورب منيحة بفناء قوم * من الاحداث فهى إلى رحيل كلا نجمى صروف الدهر خيرا * وشرا لابس ثوب الافول ولغيره (٤): قل من سره رضا الدهر إلا * ساء سخله بما لا يطاق وكذا عادة الزمان شتات * والتثآم وألفة وافتراق لابي أحمد يحيى بن على المنجم إلى أبى على محمد بن عبيدالله بن خاقان لما ولى الوزارة من أبيات: لقد كذبت فيك العدو ظنونه * وقد صدقت فيك الصديق المواعد وقد تحسن الايام بعد إساءة * وإن كان في الامرين منها تباعد ولغيره: بيد الذى شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم كرب بقلبي ليس يكشفه * إلا مليك عادل الحكم

---

(١) الزيادة عن الارج وحل العقال (٢) هو - كما في حل العقال - عبيد الله الحارثى.

ولغيره: أألفة الحبيب كم افتراق * أظل وكان داعيه اجتماعي وليست فرجة إلا وتأتى * لموقوف على نزح الوداع ولغيره: ولله لطف برتجى ولعله * سيعقبنا من كسر أيدى الندا جبرا ورب أمر (١) مرتج بابه * عليه إن يفتح أقفال (٢) ضاقت بذى الحيلة في فتحه * حيلته والمرء محتال ثم تلقته مفاتيحه * من حيث لا يخطره البال لعبد الله بن طاهر من أبيات جوابا: دعوت مجيبا يا أبا الفضل سامعا * ويا رب مدعو وليس بسامع فأوقعت شكواى الزمان وصرفه * إليه بحق في أحق المواقع فصبرا قليلا كل هذا سينجلى * ويدفع عنه السوء أقدر دافع فما ضاق أمر قط إلا وجدته * يؤول إلى أمر من الخير واسع لمحمد بن حازم الباهلى: إذا نابنى خطب فزعت لكشفه * إلى خالقي من دون كل حميم وإن من استغنى وإن كان معسر * على ثقة بالله - غير ملوم ألا رب عسر قد أتى اليسر بعده * وغمرة كرب فجرت لكظيم وله أيضا رحمه الله: ألا رب أمر قد أضاق وحاجة * لها بين أحشاء الضلوع عويل فلم تلبث الايام أن عاد عسرها * بيسر ونجح والامور تحول ولغيره (٣): كن لما لا ترجو من الامر أرجى * منك يوما لما له أنت راجى

---

(١) كذا في حل العقال وفى الاصل امرئ. (٢) في حل العقال عليه إغلاق واقفال. (٣) هو - كما في الارج - وهب بن ناجية المرى.

إن موسى مضى ليقبس نارا * من شعاع يلوح (١) والليل داجى فانثنى راجعا وقد كلم الله * وناجاه وهو خير مناجى وكذا الامر حين (٢) يشتد بالمر * ء يؤدى إلى سرعة الانفراج ولغيره: إصبر على مضض الزما * ن وإن رمى بك في اللجج فلعل طرفك لا يعو * د إليك إلا بالفرج ولغيره: فيا صاحبي رحلى على أن أراكما * كما كنتما إن الزمان ينوب ولا تيأسن من فرحة بعد ترحه * فللدهر لغز حادث وخطوب سيرحمنا مولى شعيب وصالح * وأرحامنا تدلى بنا فتجيب ولغيره: خاف من فقر تعجله * والغنى أولى لمنتظره ليس منكورا ولا عجبا * أن يعود الماء في نهره ولغيره: ألا أيها الشاكي الذى قال مفصحا * لقد كاد فرط اليأس أن يتلف المهج رويدك لا تيأس من الله واصطبر * عسى أن يوافينا على غفلة فرج ولغيره: من صاحب القدر اقتدر * أولى بفوز من صبر ولغيره: إن سأل الزمان سر * الصبر عنوان الظفر ولغيره:

(١) رواية الارج من ضياء رآه. (٢) رواية الارج ربما ضاق بالمر * ء فيتلوه سرعة.

إنى وإن عصفت بالعيش نائبة * سبط التبختر بين اليأس والطمع لا أستذم إلى صبر بهجرته * ولا أسوء زمان السوء بالجزع كم نكبة في حشاها نعمة ويد * لله نأملها من هول مطلع وكم فزعت من الايام ثم أتت * تمد أيديها نحوى من الفزع إذا بدت نكبة فالحظ آخرها * فانظر إلى فرج للكرب ممتنع ولغيره: يا هاربا من زمن جائر * يجنى الملمات على الحر اصبر فما استمتعت في مطلب * بشافع خير من الصبر وابشر فإن اليسر يأتي الفتى * أقنط ما كان من اليسر أنشدني سعد بن محمد الازدي لنفسه: لا يوحشنك من جميل تصبر * خطب فإن الصبر فيه أحزم العسر أكرمه ليسر بعده * ولاجل عين ألف عين تكرم لم يشك منى عسرة يوما ولا * جورا ولا قلنا على ما يحكم والمرء يكره بؤسه ولعله * يأتيه فيه سعادة لا تعلم ولغيره (١): كانت إليك من الحوادث ذلة (٢) * فاصبر لها فعلها تستغفر إنا لنتهض (٣) الخطوب بصبرنا * فالخطب ممتهن لمن لا يصبر ولرب ليل بت فيه بكربة * وغدا بفرجتها الصباح المسفر ولغيره: أدبتني طوارق الحدثان * فتجافيت عن ذنوب زماني كنت أشكو من الزمان خطوبا * أظهرت لى جواهر الاخوان فتبينت منهم الخير والشر * وأهل الوفاء والخلان وتوكلت في أمورى على الله اللطيف الميهمن المنان

(١) هو - كما في حل العقال - سعد بن محمد الازدي. (٢) في حل العقال زلة. (٣) في حل العقال لنمتهن.

وتيقنت أنه سوف يكفي * نبي صروف الدهور والازمان ثم يمحو بالعسر يسيرا وبالـ * عمة ضرا كما أتى في القران إن تصبرت وانتظرت غياث الله * وافى كاللمح في الاحيان هو عوني في كل خطب ملم * عدمت فيه نصرة السلطان ولغيره: إن يكن خاننى اجتهادى (١) فما ذا * ك على مطلب الكريم بعاد يحرم الليث صيده وهو منه * بين حد الانياب والاظفار ويزل السهم السديد عن القص * د وما تلك زلة الاسوار ليس كل الاقطار يروى من الغي * ث وإن عمها بصوت القطار (٢) إن يخنى رشاء دلوى فقد * أحكمت اكرابه بعقد مغار (٣) أو يعد فارغا إلى فما * ألقيت إلا إلى المياء الغزار (٤) إن أساء الزمان بى فلقد * أحسنت صبرا وما أساء اختياري وعسى فرجة تفتح نحوى * ناظر اليسر (٥) بعد طول انتظار ما لقيت الاعسار بالصبر * بشرتني وجوهه باليسار ولغيره: صرا فقد تتحقق الآمال * وتحول عما تكره الاحوال إن كان قد ظفر الصدود بوصلنا * فلسوف يظفر بالصدود وصال ولغيره: فالامر في معناهما واحد * لذاك شكر ولذاك صبر حتى أرى الاقدار قد فرجت * وكل عسر فله يسر

---

(١) كذا في حل العقال وفى الاصل إن أكن خبث إذا سألت. (٢) في حل العقال بثوب. (٣) كذا في حل العقال وفى الاصل اكرامه. (٤) كذا في حل العقال وفى الاصل القرار. (٥) كذا في حل العقال وفى الاصل ناصر النصر.

لغيره: إن يأذن الله فيما بت آمله * أتى النجاح حثيثا غير ممطول مالى سوى الله مأمول لنائبة * والله أكرم مسئول ومأمون لغيره: حزنت وذو الاحزان يجرح صدره * ألا رب حزن جاء من بعده فرج كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه * وباليسر من بين المضايق قد خرج لابن الرومي رحمه الله: لعل الليالى بعد سخط من النوى * ستجمعنا في ظل تلك المآلف ألا إن للايام بعد انصرافها * عواطف من إحسانها المتضاعف وله أيضا: ورب جلباب هم * له من الصنع جيب وكل خير وشر * دون العواقب غيب ولغيره: أقول قول حكيم * فاعرف بفهمك شرحه كم فرجة إثر ضيق * وفرحة بعد ترحه فالعسر يعقب يسرا * والهم يعقب فرحه والعيش فاعلم ثلاث * غنى وأمن وصحه لمؤلف الكتاب: قل لمن أودى به الترح * كل هم بعده فرح لا تضق ذرعا بنازلة * وارمها بالصبر تنفسح غالط الاحداث مجتهدا * كل ما قد حل منتزح وأزح بالراح طارقها * فجلاء الكربة القدح ألقى بالمزج المريح أذى * حدها إن شئت تسترح ولغيره: وكأن يرى من ذى هموم تفرجت * وذى غربة عن داره وهو مسعود

ولغيره: لا يرعك الشر إن ظهرت * بتهاويل (١) مخائله رب أمر سر آخره * بعد ما ساءت أوائله ولغيره (٢): فلا تجزع وإن أعسرت يوما * فقد أيسرت في زمن طويل ولا تيأس فإن اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل ولغيره: هل الهم إلا فرجة تتفرج * لما معقب يجرى إليه ويزعج أبى لى اغضاء الجفون على القذا * يقين بأن لا عسر إلا مفرج أخطط في ظهر الحصير كأنني * أسير يخاف القتل والهم يفرج ويا ربما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الاسنة مخرج ولغيره: أجارتنا أن التعفف بالباس * فقير على استدرار دنيا بأساس جدير بأن لا يؤذيا بمذلة * كريما فان لا يحوجاه إلى الناس ولى مقلة تنفى القذا عن جفونها * وتأخذ من إيحاش دهر وإيناس أجارتنا إن القداح كواذب *

وأكثر أسباب النجاح مع الياس ولغيره: ولا تحسبون الخير لا شر بعده * ولا تحسبون الشر ضربة لازب ولغيره: ألا لا تموتن إغتماما وحسرة * وهما إذا ما سارح الهم أجذبا وصبرا إذا ما الجذب ليس بدائم * كما لم يدم عشب لمن كان أعشبا ولغيره: إستقدر الله خيرا وأرضين به * فبينما العسر إذا دارت مياسير

---

(١) في الارج بتأويل (٢) تقدمت هذه الابيات

ولغيره: أما علمت بأن العسر يتبعه * يسر كما الصبر مقرون به الفرج ولغيره: إذا ما البين أحوجنى * فليس على النوى حرج دعى لومى على صلتي * سيقطع بيننا حجج سأركب هول مظلمة * أفرجها فتنفرج ولغيره: عدا للبين موعدنا * فإن إلى غد فرج دنى الهجر (١) والدلج * فقصدي للمنى يلج ولى هم يؤرقني * على بحر له لجج أطاف بحالك وضح * عليه من البلى بهج أقول لنفس مكتئب * عليه من الردى ثبج رضا مادمت سالمة * فإن العيش مندعج ولا تستخفين بها * فوجه الحق منبلج وزور الحق ممتهن * إذا دارت به اللجج وقائلة تعاتبني * وجنح الفجر منبلج فقلت رويد معتبتي * لكل ملمة فرج ذريني خلف قاصية * تضايق بى وتنفرج أسرك أن أكون رفعت * حيث الامر والمهج وأنى بت يصهرنى * بحر جهنم وهج فأدرك ما قصدت له * ويبقى العار والحرج إذا أكدت حائلة * فلى في الارض منعرج

---

(١) في الاصل التهجر وهو يخل بالوزن، وفى هذه القصيدة تحريف كثير أصلحناء حسب الامكان.

ولغيره (١) عسى مشرب يصفو فيرى ظلمأة * أطال صداها المهل المتكدر عسى بالجنوب الغاديات سنلتقي * وبالمستلذ المستطاب سنظفر عسى جابر العظم الكسير بلطفه * سيرتاح للعظم الكسير فيجبر عسى صور أمسى لها الجور دافنا * سيبعثها عدل يجئ فتظهر عسى الله لا تيأس من الله إنه * يهون عليه ما يعز ويكبر (٢) ولغيره: نحاول إذلال العزيز لانه * رمانا بظلم واستمرت مرائره ولغيره: كفاك بهذا أيها المتجبر * وإن قال فيك القائلون وأكثروا ولغيره: ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه * إلا أتانى وشيكا بعده الفرج ولغيره: إنى رأيت مغبة الصبر * تفضى بصاحبها إلى اليسر لابد من عسر ومن يسر * بهما تدور دوائر الدهر فكما يلذ اليسر صاحبه * فكذاك فليصبر على العسر ولغيره (٣): غنى النفس يكفى النفس حتى يكفها * وإن أعسرت حتى يضربها الفقر فما عسرة - فأصبر لها إن لقيتها * بدائمة حتى يجئ لها يسر ولغيره:

---

(١) هو كما في الارج - على بن محمد بن عبد الله الحسنى. (٢) في الارج ويعسر. (٣) هو كما في الارج وحل العقال - عثمان بن عفان رضى الله عنه وفيهما اختلاف كلمات البيتين.

ولغيره (١): لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه إذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعه ولغيره (٢): يقولون صبرا والتصبر شيمتي * ألم يعلموا أن الكريم صبور هل الدهر إلا نكبة وسلامة * وإلا فبؤس مرة وحبور ولغيره: وكل كرب وإن طالت بليته * يوما يفرج غماه فينكشف ولغيره: مفتاح باب الفرج الصبر * وكل عسر بعده يسر والدهر لا يبقى على حالة * فكل أمر بعد أمر والكره (٣) تفنيه الليالى التى * يفنى عليها الخير والشر وكيف يبقى حال من حاله * يسرع فيه النفع والضر ولغيره: عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب ولغيره: فياليت الرياح مسخرات * لحاجتنا تصبح أو تنوب فتخبرنا الشمال إذا أتينا * ويخبر أهلها عنا الجنوب ولغيره: الحمد لله حمدا لا شريك له * إن الزمان لذو جمع وتفريق

---

(١) هو كما في الارج - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ولغيره: فياليت الرياح مسخرات * لحاجتنا تصبح أو تنوب فتخبرنا الشمال إذا أتينا * ويخبر أهلها عنا الجنوب ولغيره: الحمد لله حمدا لا شريك له * إن الزمان لذو جمع وتفريق

---

(١) هو كما في الارج - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (٢) هو كما في حل العقال - محمد بن يعقوب (٣) في الارج. والكرب

قد ينقل المرء من ضيق إلى سعة * ويسلس الامر يوما بعد تعويق والدهر يأتي على كل بأجمعه * وليس من سعة تبقى ولا ضيق ولغيره: ألا فاصبرن مادام في النفس مسكة * عسى فرج يأتي به الله في غد وإن امرا رب السماء وكيله * حرى بحسن الظن غير مبعد ولغيره: خلقان لا أرضى فعالهما * تيه الغنى ومذلة الفقر فإذا غنيت فلا تكن بطرا * وإذا افتقرت فته على الدهر واصبر فلست بواجد خلقا * أدنى إلى فرج من الصبر غيره: النسل من واحد والشكل مختلف * والدهر فيه بنو الدنيا على درج إذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه إلى الفرج تم الكتاب والحمد لله

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية